مِن المُقامات الحریری

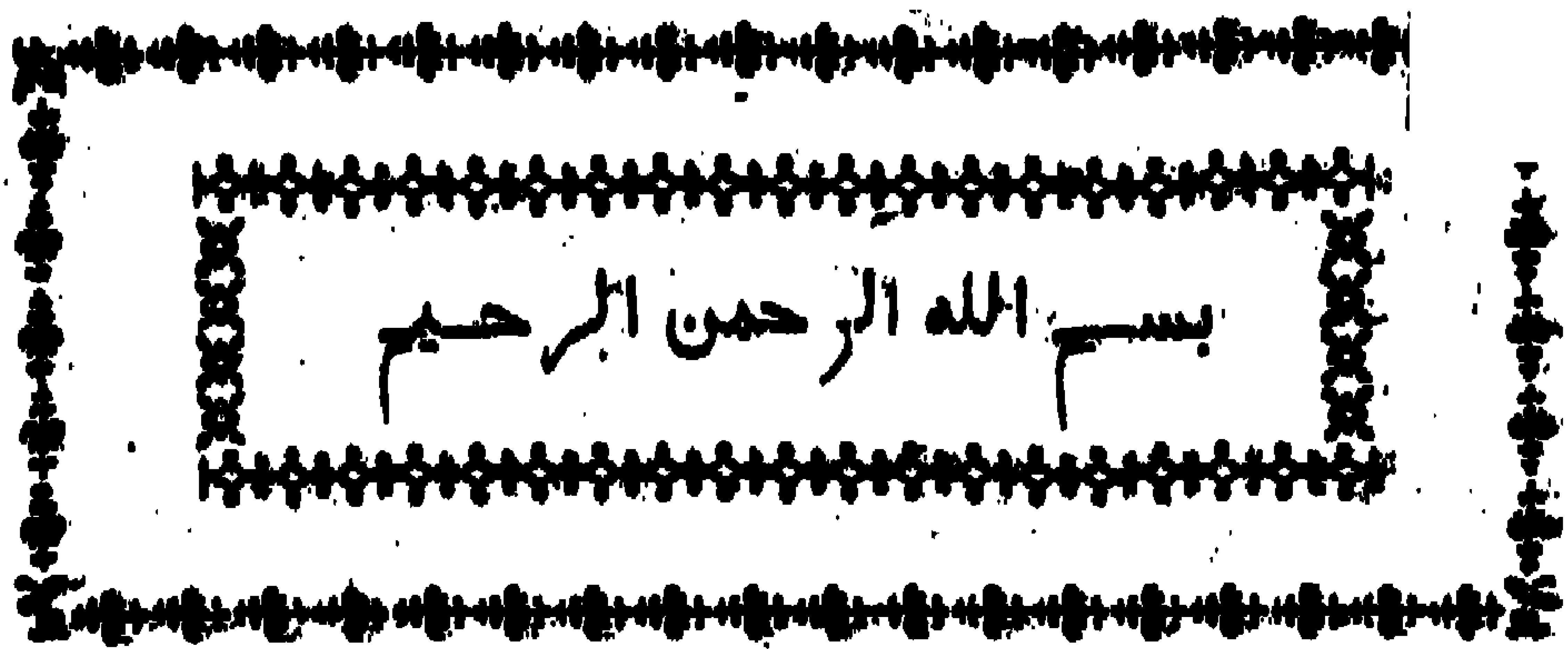
ابومحمد قاسم بن علی

کلکتہ ۱۸۰۹ (بلاغت عربی - ۱۲)

غلط	صحیح	صفحہ	سطر
هذا ر	هذا ر	۵	۳
قبیتنها	صمتتها	۶	۷
بلاغة	بلاغة	۶	۱۱
الدمع	الدمع	۱۰	۳
اقاح	اقاح	۱۹	۵
الرجد	الزجل	۲۰	۴
خبیئتی	خبیئتی	۲۰	۴
مشی	فشی	۲۱	۳
بزاهته	بنزاهته	۲۱	۵
کطرنة	کطرنة	۲۱	۶
افلها	اقلها	۲۱	۹
استسی	استسقی	۲۱	۱۰
لیه	لیلة	۲۲	۲
البّ	البّ	۲۲	۱۰
فزل	قزل	۲۳	۶
قری	قری	۲۳	۹
قرعت	قرعت	۲۳	۱۱
جردت	جردت	۲۶	۷
مظلمة	مظلمة	۲۷	۱
وبلة	وبلة	۳۱	۱۱
حر	جر	۳۲	۶
لست	لست	۳۳	۲
رنان	رنان	۳۴	۲
الدعة	الدعة	۳۹	۲
المسبل	المسبل	۴۰	۶
مقلقل	یقلقل	۴۲	۶

غلط	صحیح	صفحہ	سطر
قدقد	قدقد	۴۳	۱
القوم	القوم	۴۵	۷
نثروا الجوزة	نثروا الجوزة	۴۵	۷
بجرمز	بجرمز	۴۵	۹
نسیستم	نسیتم	۴۶	۳
الجذع	الجذع	۴۶	۵
لغصته	لغصته	۴۱	۵
سیخ	شیخ	۵۰	۷
الزبالة	الذبالة	۵۸	۲
ابن عباس	ابن عباس	۵۹	۶
استحلس	استحلس	۵۹	۱۰
واقرن	واقرن	۶۱	۵
لیغضه	لیغضه	۷۱	۵
واجنی	واجنی	۷۲	۱
لسغب	السغب	۷۵	۴
بلتجسس	بالتجسس	۷۷	۵
عمدا	عمداً	۸۰	۱۱
بالاظلام	بالاظلام	۸۱	۳
یعض	یعض	۸۴	۸
توب	ثوب	۸۵	۷
لم ابد	لم ابذ	۸۵	۹
الدفن	الزفن	۸۷	۷
بانعی	بافعی	۹۱	۴
الرزد	الزرد	۹۱	۲
طلقا	طلقا	۹۴	۶
تعتنبن	تعتبن	۱۰۲	۳

غلط	صحيح	صفحة	سطر
جبالُ	جبالُ	١٠٢	١١
أطبال	أطفال	١٠٣	٢
لبانتلا	لَبانتِه	١٠٣	٦
حفت	خفت	١٠٤	٤
كذبت	كذبت	١٠٥	١٠
الغمار	الغمار	١١٠	٢
شوملة	شوملة	١١٥	٨
شبعة	شبعة	١١٦	٨
بيلة	بيلة	١٢٢	١٠
أهبة	أهبة	١٢٣	١
قضلات	فضلات	١٣٢	٨
كدّسا	كدّسا	١٣٥	٥
نكلاءة	كلاءة	١٣٩	٣
العزامة	الحزامة	١٤٣	١
قشّف	قشّف	١٤٥	١١
القلى	القلا	١٤٧	٦
أزود	أذود	١٥٠	١٢
يمسوسلا	تسومني	١٥٢	٥
تبذل	تبذل	١٥٤	٦
يثنيه	يثنيه	١٥٥	٨
يهب	يهب	١٥٦	٤
طفيلية	طفيلية	١٦٦	١١
النقل	البقل	١٦٩	٦
جهورة	جمهورة	١٧٠	١١
أخبرتلم	أخبرتكم	١٧٢	٥
ظنبوي	ظنبوبي	١٧٤	٢
قلة	قلة	١٧٨	١١
عقابه	عقابه	١٧٨	١١
لا تلد	لا تلغ	١٧٩	٣
الموانه	الموازن	١٨١	٩
استدعوني	استدعوني	١٨٧	٧
سرق	سرق	١٩٨	١
ليضيع	ليضيع	١٩٨	٢
تنبه	تبّ	٢٠٥	١١
متشوقا	متشوقا	٢٠٨	٥
شمع	شمع	٢١٨	١٠
مجزاء	مجزاء	٢٢٣	٤
فاعقني	فاعفني	٢٣٨	٢
ليانه	ليانة	٢٣٦	٨
أوقر	أوعز	٢٤٩	١
أخزن	أحزن	٢٥٣	١١
المسرج	المسرج	٢٥٥	١٠
كذبت	كذبت	٢٥٦	٨
المقطوة	المحظوة	٢٦١	١١
القر	القر	٢٦٣	٤
العريسة	العريسة	٢٦١	١
رداكم	ردّ بكم	٢٧٧	٤
مصرا طيا	مصرا طيا	٢٧٩	٧
طرق	طرق	٢٨١	١١
برق	برق	٢٨١	١١
بلدة	بلدة	٢٩٥	١
قلة	قلة	٢٩٧	٢
كرّا زا	كرّا را	٣٠٠	٨



الحمد لله الذي انشأ الموجودات بقدرته . وكرم من بينهم

الناس بحسن خلقته . وفضله بفصاحة البيان على جم غفير

من مخلوقاته . وشرفه بالغدوات والروحات بمننه وعطياته .

وبعد فلما كانت المقامات التي ابتدعها المحقق الفاضل . المدقق

الكامل . نحريرا لعلماء . اديب الادباء . الذي تفوق اقاويق

البلاغة والبراعة . وفاق في مضمار الفصاحة اصحاب البراعة .

لا يماثله ضديده . وما سمعنا نديده . ابو محمد القاسم بن علي

بن محمد

هو محمد بن عثمان الخزرجي البصري نوّر الله ضريحه

وطيّب مضجعه وجمعه ما كثر فائدة في العلوم الادبيّة

واوفر فائدة في انشاء الحكايات العربيّة وحققتها بالعوامل

لدرس الطلاب الذين جبلوا على اكتساب الفضائل ونزّهوا

طبائع راغبة عن الرذل بالقال ومن هو مركز دائرة الفضل

وحميد الخصائل قطب فلك الفواضل وجميل الشمائل رافع

الوية فنون العلوم في الآفاق مبتكرا ربائب تلك الشيح بنتائج

الاشواق * نظم *

* في قلبه يتغايض النور بحتا متغلغلين *

* بدر ضيا في وجهه يغني عن النيرين *

قد فاز بالقدح المعلّى في تحاسين الشيم لا سيما التعليم ا

و وصل الى الدرجة العليا من المعارف بصبغة الوهاب • الصاحب

المجلى الشان على الاقران • فيتهو لمسه بين المدرس المعروف

بين الاعيان والاركان • فدامت دولته ما دامت الرياح

تهز الافنان • وتهتز الاغصان على شجر البان • وصارت

لكثر الازمنة والدهور • ومر القبول والدبور • قد ضاعت

في ايدي الناس • ووقع في نسخها الاختلاف والالتباس •

حتى صعب فهم المراد على الطلاب • غاية الاستصعاب • فاراد

الصاحب الربيع المكان نطبع الكتاب المسطور • وامران يجتهد

في تصحيحه بالجهد الموفور • ويكتب في اوله نبذ من احوال

المصنف والمصنف • ويملأ في آخره ما انذرك من استعارات

المولف في المولف • ليتسهل على الطالبين فهم معضلاته •

ولا

يحتاجون كثيرا في استكشاف مغلقاته • فاستجمع سبعة
نفاره مقروّة على الأخبار • وأوثر من عباراتها عند
س الأساس ، ا كان في كثير منها وقرب من القياس •
سجحت الفاظها من أغلاط النسخ والسهو • وطبعت حتى
ارت كالشمس في الضحو • وقد ذكر في حالاته • أنه كان
ن رؤساء بلدته • بارعا في العلوم كلها • سيّما في التصريف
النحو والحديث واللغة بكثرها وقلها • عاش سبعين سنة من
لسنين القمرية • وتوفي سنة خمسمائة وستة عشر من الهجرة
النبوية • وانتسابه بالحريري قيل لتجارتها • وقيل
الحرير قرية ولد فيها • فنسب اليها • وبالبصرة لانه اقام بها •
وذكر ابن الجوزي انه عرض المقامة الحرامية على

الوزير انوشيروان وزير المسترشد بالله فاستحسنها وامره ان

يضيف اليها ما شاكلها فاتمها خمسين وقيل عمل اربعين مقامة

وحملها الى بغداد من البصرة وعرضها على جلال الدين

عبد الله ولة فاتهمه من يحسده فقال الوزير ان كان

صادقا فليصنع مقامة اخرى فقال نعم وانفرد بنا حية

من الايوان ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله سبحانه

عليه شيئا يسيرا له فقام وهو خجلان وفى ايدى الناس

ندمان وعاد الى البصرة واملا عشر مقامات اخرى

وارسلهن الى الوزير واعتذر من عيه فى الديوان

وما لحقه من المهانة بين الاعيان فحينئذ بان فضله على

الانام وتدنجا عن الاتهام واعتنى بمقاماته الان بامه

ولقتدى

واقتدى باستعاراته الخطباء * وقد اكبّ على تعاورها

المشيخة والشبّان * واخذوها مقبولة من بين الدفاتر

والديوان * وشرحوا لها شروحا قد زادت على الخمسين *

واستكشفوا عن خبايا ها بالافانين * ولله درّ الزّمخشريّ

حيث قال في توصيفها * وقد اصاب في تعريفها * نظم *

* أُقسم بالله وآياته * ومَشْعَرِ الحجّ وميقاته *

* ان الحريريّ حريٌّ بان * تُكْتَب بالتِبْر مقاماته *

هذا وصل من خبره * ونُظِم من نثره واما كشفُ لُغاته وبعض

* استعاراته فيكتب انشاءالله عند الاختتام * وهوالموفق في كل مرام *

* العبد ان المذنبان المفتاقان الى عفوالربّ الوليّ *

* الهداد وجان على *



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الاجل الاوحد ابو محمد القاسم بن علي بن محمد

بن عثمان الحريري البصري برد الله مضجعه

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان * والهمت من التبيان *

كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء * واسبلت من الغطاء *

ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر * كما نعوذ بك من معرة

اللكن

اللَّسَن وفضول الهَذَر • ونستكفي بك الافتتان باطراء المادح

واغضاء المسامح • كما نستكفي بك الانتصاب لازراء

القادح • وهتك الفاضح • ونستغفرك من سوق الشهوات •

الى سوق الشبهات • كما نستغفرك من نقل الخطوات •

الى خطط الخطيّات • ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرّشد •

وقلبا متقلّبا مع الحقّ • ولسانا متحلّيا بالصدق • ونطقا

مؤيّدا بالحجّة • واصابة ذائدة عن الزيغ • وعزيمة قاهرة

هوى النفس • وبصيرة ندرك بها عرفان القدر • وان

تسعدنا بالهداية الى الدراية • وتعضدنا بالاعانة على

الابانة • وتعصمنا من الغواية في الرواية • وتصرفنا

عن السفاهة في الفكاهة • حتّى نأمن حصائد الالسنة

وتصفى عوائق الزجرة * مدرة موردها تهيزه * ولا نقف

موقف مندمغ * ولا ترهق بتبعة و لا بتعتبة * ولا نلجأ الى

تعذرة عن بادرة * اللهم فحقق لنا هذه المنيا

واتلنا هذه البغية * ولا تضحنا عن ظلك السابغ * ولا تجعلنا

مضغة للماضغ * فقد مددنا اليك يد المسئلة * وبخعنا

لك بالاستكانة والمسكنة * واستنزلنا كرمك الجم *

ومنك الذى عم * بضراعة الطلب وبضاعة الامل * ثم

بالتوسل بمحمد سيد البشر * والشفيع المشفع فى المحشر *

الذى ختمت به النبيين * واعليت درجته فى عليين *

ووصفته فى كتابك المبين * فقلت وانت اصدق القائلين *

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * اللهم فصل عليه وعلى آله

الهادين

الهادين • وأصحابه الذين شادوا الدين • واجعلنا لهديه
وهديهم متبعين • وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين • إنك
على كل شيء قدير • وبالإجابة جدير • وبعد فإنه قد جرى ببعض
أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه • وخبت
مصابيحه • ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان •
وعلامة همذان • رحمه الله • وعزى الى أبي الفتح الإسكندري
نشأتها • والى عيسى بن هشام روايتها • وكلاهما مجهول
لا يعرف • ونكرة لا تتعرف • فأشار من إشارته حكم •
وطاعته غنم • الى ان أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع •
وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع • فذكرته بما قيل
فيمن ألف بين كلمتين • ونظم بيتا او بيتين • واستقلت

من هذا المقام الذي فيه تحار الفهم • ويفرط الوهم • ويُسبر به

قدر العقل • وتتبين فيه قيمة المرء • ويضطر صاحبه الى أن

يكون كحاطب ليل • او جالب رجل وخيل • وقلما سلم مكثار

او أقيل له عثار • فلما لم يسعف بالإقالة • ولا أعفى عن

المقالة • لبيت دعوته تلبية المطيع • وبذلت في مطاوعته

جهد المستطيع • وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة •

وفطنة خامدة • وروية ناضبة • وهموم ناصبة • خمسين مقامة

تحتوي على جد القول وهزله • ورقيق اللفظ وجزله •

وغرر البيان ودرره • وملح الأدب ونوادره • الى

ما وشحتها به من الآيات • ومحاسن الكنايات • ورصعته

فيها من الأمثال العربية • واللطائف الأدبية • والأحاجي

النحوية

النحوية • والفتاوى اللغوية • والرسائل المبتكرة •
والخطب المحبرة • والمواعظ المبكية • والأضاحيك الملهية •
مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي • وأسندت
روايته إلى الحارث بن همام البصري • وما قصدت بالإحماض
فيه إلا تنشيط قارئيه • وتكثير سواد طالبيه • ولم أودعه
من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست عليهما بنية
المقامة الحلوانية • وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة
الكرجية • وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره • ومقتضب
حلوه ومره • هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله
سباق غايات • وصاحب آيات • وأن المتصدي بعده لإنشاء
مقامة • ولو أوتي بلاغة قدامة • لا يغترف إلا من فضالته •

ولا يشترى ذلك المشترى الا بدلالته • ولله در القائل • نظم •

* فلو قبل مبكاها بكيت صبابة *

* بسعدى شفيت النفس قبل التندم *

* ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا *

* بكاها فقلت الفضل للمتقدم *

وأرجو أن لا أكون فى الهذر الذي أوردته • والمورد الذى

توردته • كالباحث عن حتفه بظلفه • والجادع مارن انفه بكفه •

فالحق بالاخسرين أعمالا • الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا

وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا • على أنى وان اغمض لى التغطى

[illegible] • [illegible] على الحجب [illegible] • لا [illegible] من غير

[illegible]

من مناهي الشرع • ومن نقد الاشياء بعين المعقول • وانعم النظر في مباني الاصول • نظم هذه المقامات في سلك الانشادات • وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات • ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات • واثم رواتها في وقت من الاوقات • ثم اذا كانت الاعمال بالنيات • وبها انعقاد العقود الدينيات • فاي حرج على من انشا ملحا للتنبيه • لا للتمويه • ونحا بها منحى التهذيب • لا الاكاذيب • وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم • وهدى الى صراط مستقيم * * شعر *

* على انني راض بان احمل الهوى * واخلص منه لا علي ولا ليا *

[illegible]

ما يُرشد . فما المفزع إلا إليه . ولا الاستعانة إلا به . ولا التوفيق إلا منه . ولا الموئل إلا هو . عليه توكلت . وإليه أنيب .

المقامة الأولى الصنعانية

حدّث الحارث بن همّام قال لمّا اقتعدت غارب الاغتراب . وأنأتني المتربة عن الأتراب . طوّحت بي طوائح الزمن . إلى صنعاء اليمن . فدخلتها خاوي الوفاض . بادي الإنفاض . لا أملك بلغة . ولا أجد في جرابي مضغة . فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم . وأجول في حوماتها جولان الحائم . وأرود في مسارح لمحاتي . ومسايح غدواتي وروحاتي . كريماً أخلق له ديباجتي . وأبوح إليه بحاجتي . أو أديباً

تُفَرِّجُ رُؤْيَتُهُ غُمَّتِي • وَتُرْوِي رِوَايَتُهُ غُلَّتِي • حَتَّى أَدَّتْنِي خَاتِمَةُ

الْمَطَافِ • وَهَدَتْنِي فَاتِحَةُ الْأَلْطَافِ • إِلَى نَادٍ رَحِيبٍ • مُحْتَوٍ

عَلَى زِحَامٍ وَنَحِيبٍ • فَوَلَجْتُ غَابَةَ الْجَمْعِ • لِأَسْبُرَ مَجْلَبَةَ الدَّمْعِ •

فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْحَلْقَةِ • شَخْصًا شَخْتَ الْخِلْقَةِ • عَلَيْهِ أُهْبَةُ السِّيَاحَةِ •

وَلَهُ رَنَّةُ النِّيَاحَةِ • وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ • وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ

بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ • وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ الزُّمَرِ • إِحَاطَةَ الْهَالَةِ بِالْقَمَرِ •

وَالْأَكْمَامِ بِالثَّمَرِ • فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ لِأَقْتَبِسَ مِنْ فَوَائِدِهِ • وَأَلْتَقِطَ

بَعْضَ فَرَائِدِهِ • فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ خَبَّ فِي مَجَالِهِ • وَهَدَرَتْ

شَقَاشِقُ ارْتِجَالِهِ • أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ • السَّادِلُ ثَوْبَ

خُيَلَائِهِ • الْجَامِحُ فِي جَهَالَاتِهِ • الْجَانِحُ إِلَى خُزَعْبِلَاتِهِ • إِلَامَ تَسْتَمِرُّ

عَلَى غَيِّكَ • وَتَسْتَمْرِئُ مَرْعَى بَغْيِكَ • وَحَتَّامَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ •

ولا تنتهي عن لهوك • تبارز بمعصيتك • مالك ناصيتك •

وتجترئ بقبح سيرتك • على عالم سريرتك • وتتوارى عن

قريبك • وأنت بمرأى رقيبك • وتستخفي من مملوكك •

وما تخفى خافية على مليكك • أتظن أن ستنفعك حالك •

إذا آن ارتحالك • أو ينقذك مالك • حين توبقك أعمالك •

أو يغني عنك ندمك • إذا زلت قدمك • أو يعطف عليك

معشرك • يوم يضمك محشرك • هلا انتهجت محجة اهتدائك •

وعجلت معالجة دائك • وفللت شباة اعتدائك • وقدعت

نفسك فهي أكبر أعدائك • أما الحمام ميعادك • فما

إعدادك • وبالمشيب إنذارك • فما إعذارك • وفي اللحد

مقيلك • فما قيلك • وإلى الله مصيرك • فمن نصيرك • طالما

أيقظك الدهر فتناعست • وجذبك الوعظ فتقاعست • وتجلت
لك العبر فتعاميت • وحصحص لك الحق فماريت • واذكرك
الموت فتناسيت • وامكنك ان تواسي فما آسيت • تؤثر فلسا توعيه •
على ذكر تعيه • وتختار قصرا تعليه • على بر توليه •
وترغب عن هاد تستهديه • الى زاد تستهديه • وتغلب حب
ثوب تشتهيه • على ثواب تشتريه • يواقيت الصلات • اعلق
بقلبك من مواقيت الصلوة • ومغالاة الصدقات • آثر عندك
من موالاة الصدقات • وصحاف الالوان • اشهى اليك من
صحائف الاديان • ودعابة الاقران • آنس لك من تلاوة القرآن •
تأمر بالعرف وتنتهك حماه • وتحمي عن النكر ولا تتحاماه •
وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه • وتخشى الناس والله احق

أَنْ تَخْشَاهُ • ثم أَنْشَدَ • * نظم *

* تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا * ثَنَى إِلَيْهَا انْصِبَابَهْ *

* مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا * بِهَا وَفَرْطَ صَبَابَهْ *

* وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ * مِمَّا يَرُومُ صُبَابَهْ *

ثم إنه لَبَّدَ عَجَاجَتَه • وغَيَّضَ مُجَاجَتَه • وَاعْتَضَدَ شَكْوَتَه • وتَأَبَّطَ هِرَاوَتَه • فلما رَنَتِ الْجَمَاعَةُ إلى تَحَفُّزِه • ورَأَتْ تَأَهُّبَه لِبُرَازِه مَرْكَزَه • أَدْخَلَ كُلٌّ منهم يَدَه في جَيْبِه • فَأَفْعَمَ له سَجْلًا من سَيْبِه • وقال اصْرِفْ هذا في نَفَقَتِك • أو فَرِّقْه على رُفْقَتِك • فَقَبِلَه منهم مُغْضِيًا • وَانْثَنَى عنهم مُثْنِيًا • وجَعَلَ يُوَدِّعُ مَن يُشَيِّعُه • لِيَخْفَى عليهم مَهْيَعُه • ويُسَرِّبُ مَنْ يَتْبَعُه • لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبَعُه • قال الْحَارِثُ بن هَمَّام فَاتَّبَعْتُه

مواريا

مُوارِيًا عنه عِيانِي • وتُفوتُ إثرَهُ مِن حيثُ لا يرانِي • حتّى انتهى الى مَغارةٍ • فانسابَ فيها على غَرارةٍ • فأمهلتُه رَيثما خلعَ نعلَيه • وغسلَ رِجلَيه • ثمّ هجمتُ عليه • فوجدتُه مُحاذِيًا للتلميذِ • على خبزٍ سَميذٍ • وجَدْيٍ حَنيذٍ • وقُبالتَهما خابيةُ نبيذٍ • فقلتُ يا هذا أيكونُ ذاكَ خبرَك • وهذا مَخبرَك • فزفرَ زفرةَ القَيظِ • وكادَ يتميّزُ من الغيظِ • ولم يزلْ يُحملِقُ إليّ • حتّى خفتُ أن يسطوَ عليّ • فلمّا أن خبتْ نارُه • وتوارى أُوارُه • انشدَ * نظم *

* لَبِستُ الخَميصةَ أبغي الخَبيصةَ * وأنشبتُ شِصّيَ في كلِّ شِيصةْ *

* وصيّرتُ وعظيَ أُحبولةً * أُريغُ القَنيصَ بها والقَنيصةْ *

* وألجأني الدهرُ حتّى ولجتُ * بلطفِ احتيالي على اللَّيثِ غِيصَهْ *

* علىٰ ابنِي لَم اهَب صَرْفَهُ * و لا نُبُغُضت لِىَ مِنْهُ فَرِيصَة *

* ولا شَرَعَت بِيَ علىٰ مَوْرِدٍ * يُدَنِّس عِرْضيَ نَفْسٌ حَرِيصَة *

* وَلَوْ انْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ * لَما مَلَّكَ الْحُكْمَ اَهْلَ النَّقِيصَة *

ثُمّ قال لى اُدْنُ فَكُلْ • وإن شِئْتَ فَقُمْ وقُلْ • فالتَفَتُّ الىٰ تِلْمِيْذِهِ

وقلتُ عَزَمْتُ عليكَ بِمَنْ يُسْتَدْفَعُ بِهِ الاَذىٰ • لَتُخْبِرَنِّي مَنْ ذا •

فقالَ هٰذا ابو زيدٍ السَّرُوجِيُّ سِراجُ الغُرَباء • وتاجُ الاُدَباء •

فَانْصَرَفْتُ من حيثُ اَتَيْتُ • وقَضَيْتُ الْعَجَبَ مِمّا رَأَيْتُ •

• المقامةُ الثانيةُ الحُلْوانِيَّةُ •

حَكَى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قالَ كَلِفْتُ مُذْ مِيطَتْ عَنِّي التَّمائِمُ •

ونِيطَتْ بِيَ العَمائِمُ • بِاَنْ اَغْشىٰ مَعانَ الاَدَبِ • وأُنْضِيَ اليه

رِكابَ الطَّلَبِ • لِاَعْلَقَ منهُ بِما يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الاَنامِ •

ومزنه

وَمَزِيَّةً عندَ الأُوامِ • وكُنتُ لفرطِ اللَّهَجِ باقتباسِهِ • وَالطَّمَعِ

في تقمُّصِ لباسِهِ • أُباحِثُ كلَّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ • وَاَسْتَسْقِي الوَبْلَ

والطَّلَّ • وأتعلَّلُ بعسى ولعلَّ • فلمَّا حَلَلْتُ حُلْوانَ • وقد بلَوْتُ

الإخْوانَ • وسَبَرْتُ الأَوْزانَ • وخَبَرْتُ ما شانَ وزانَ • اَلْفَيتُ بها

ابا زيدٍ السَّروجيَّ يتقلَّبُ في قواليبِ الانتسابِ • ويَخْبِطُ

في اساليبِ الاكتسابِ • فيدَّعِي تارةً أنَّه من آلِ ساسانَ •

ويَعْتَزِي مرَّةً الى أقيالِ غسَّانَ • ويبرُزُ طوْرًا في شِعارِ الشُّعَراءِ •

ويلْبَسُ حِينًا كِبْرَ الكُبَراءِ • بَيْدَ أنَّه مع تلوُّنِ حالِهِ • وتبيُّنِ

مُحالِهِ • يتحلَّى برُواءٍ وبِروايةٍ • ومُداراةٍ ودِرايةٍ • وبلاغةٍ

رائعةٍ • وبديهةٍ مُطاوِعةٍ • وآدابٍ بارعةٍ • وقدمٍ في أعلامِ العلومِ

فارعةٍ • فكان لمحاسنِ آلاتِهِ • يُلْبَسُ على علَّاتِهِ • ولسعةِ روايتِهِ •

يَصْبي إلى رُؤيَتِهِ • ولجَلالة عارِضَتِهِ فهو يرغب عن مُعارَضَتِهِ •
ولعذوبة إيرادِهِ • يَشْغَف بمرادِهِ • فتعلَّقتُ بأهدابِهِ •
لخصائِصِ آدابِهِ • ونافستُ في مُصافاتِهِ • لنفائسِ صِفاتِهِ • شعر •

فكُنْتُ بهِ أجلو هُمومي وأجتلي * زماني طلْقَ الوجهِ مُلتمِعَ الضِيا *
أرى قُرْبَهُ قُرْبى ومَغناهُ غُنْيَةً * ورُؤيَتَهُ رِيًّا ومَحياهُ لي حَيا *

ولَبِثنا على ذلك بُرهةً • يُنشِئُ لي كلَّ يومٍ نُزهةً • ويَدْرأُ عن
قلبي شُبهةً • إلى أن جَدَحَتْ له يَدُ الإملاقِ • كأسَ الفِراقِ •
وأغراهُ عَدَمُ العُراقِ • بتطليقِ العِراقِ • ولَفَظَتْهُ مَعاوِزُ الإرفاقِ •
إلى مَفاوِزِ الآفاقِ • ونَظَمَهُ في سِلكِ الرِفاقِ • خُفوقُ رايةِ الإخفاقِ •
فشَحَذَ للرِحلةِ غِرارَ عزمتِهِ • وظَعَنَ يقتادُ القلبَ بأزِمَّتِهِ * نظم *

فما راقني مَن لاقني بَعْدَ بُعْدِهِ * ولا شاقني مَن ساقني لجَنابِهِ *

ولا

ولا لاح لي منتدب لفضله * ولا ذو خلال حاز مثل خلاله *

ولاستسر عني حينا . لا أعرف له عرينا . ولا أجد عنه مبينا .

فلما أبت من غربتي . إلى منبت شعبتي . حضرت دار كتبها

التي هي منتدى المتأدبين . وملتقى القاطنين منهم والمتغربين .

فدخل ذو لحية كثة . وهيئة رثة . فسلم على الجلاس . وجلس

في أخريات الناس . ثم أخذ يبدي ما في وطابه . ويعجب

الحاضرين بفصل خطابه . فقال لمن يليه . ما الكتاب الذي

تنظر فيه . فقال ديوان أبي عبادة . المشهود له بالاجادة . فقال

هل عثرت فيما لمحته . على بديع استحسنته . فقال نعم قوله .

* شعر * كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد او أقاح *

فانه أبدع في التشبيه . المودع فيه . فقال له يا للعجب . ولضيعة

الأدب . لقد استسمنت يا هذا ذا ورم . ونفخت في غير ضرم .
اين انت عن البيت النادر . الجامع مشبهات الثغر . وانشد

* نظم *

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب *
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب *

فاستجاده من حضر واستحلاه . واستعاده منه واستملاه .
وسئل لمن هذا البيت . وهل حي قائله ام ميت . فقال ايم الله
للحق احق ان يتبع . وللصدق حقيق بان يستمع . انه يا قوم
لنجيكم منذ اليوم . قال فكان الجماعة ارتابت بعزوته . وابت
تصديق دعوته . فتوجس ما هجس في افكارهم . وفطن لما بطن
من استنكارهم . وحاذر ان يفرط اليه ذم . او يلحقه وصم . فقرأ

ان

إِنَّ بعضَ الظَّنِ إِثمٌ • ثم قال يا رُواةَ القريضِ • وأُساةَ القولِ المريضِ • إِنَّ خُلاصةَ الجَوْهَرِ تظهر بالسَّبْكِ • ويَدَ الحقِّ تصدع رِداءَ الشَّكِ • وقد قيل فيما غَبَرَ مِنَ الزَّمان • عندَ الامتحان • يُكْرَمُ الرَّجُلُ او يُهان • وها انا قد عَرَّضتُ خَبِيْئَتي للاختبار • وعَرَضتُ حَقِيْبَتي على الاعتبار • فابتدرَه أَحَدُ مَنْ حضر • وقال أَعْرِفُ بَيْتًا لم يُنْسَجْ على مِنوالِهِ • ولا سَمَحَتْ قَرِيحَةٌ بمِثالِهِ • فإنْ آثرتَ اجتلابَ القلوب • فانظِمْ على هذا الأُسلوب • وأنشدَ

* شعر *

* فأَمطرَتْ لُؤْلُؤًا من نَرْجِسٍ فسَقَتْ *

* وَرْدًا وعَضَّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ *

فلم يكُنْ الا كلَمْحِ البصرِ او اقربُ • حتى أنشدَ وأغربَ * نظم *

* سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضْوَ بُرْقُعِهَا *

* الْقَانِي وَإِيدَاعَ سَمْعِي أَطْيَبَ الْخَبَرِ *

* فَزَحْزَحَتْ شَفَقاً غَشَّى سَنَا قَمَرٍ *

* وَسَاقَطَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ خَاتَمٍ عَطِرِ *

فَحَارَ الْحَاضِرُونَ لِبَدَاهَتِهِ . وَاعْتَرَفُوا بِنَزَاهَتِهِ . فَلَمَّا آنَسَ اسْتِئْنَاسَهُمْ بِكَلَامِهِ . وَانْصِبَابَهُمْ إِلَى شِعْبِ إِكْرَامِهِ . أَطْرَقَ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ . ثُمَّ قَالَ وَدُونَكُمْ بَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ . وَأَنْشَدَ * نظم *

وَأَقْبَلَتْ يَوْمَ جَدَّ الْبَيْنُ فِي حُلَلٍ * سُودٍ تَعَضُّ بَنَانَ النَّادِمِ الْحَصِرِ *

* فَلَاحَ لَيْلٌ عَلَى صُبْحٍ أَقَلَّهُمَا * غُصْنٌ وَضَرَّسَتِ الْبِلَّوْرَ بِالدُّرَرِ *

فَحِينَئِذٍ اسْتَسْنَى الْقَوْمُ قِيمَتَهُ . وَاسْتَغْزَرُوا دِيمَتَهُ . وَأَجْمَلُوا عِشْرَتَهُ . وَجَمَّلُوا قِشْرَتَهُ . قَالَ الْمُخْبِرُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ . فَلَمَّا رَأَيْتُ

تلهّبَ جَذوتِه • وتألّقَ جَلوتِهِ • امعنتُ النظرَ فى توسُّمِه • وسرّحتُ الطرْفَ فى مِيْسَمِه • فإذا هو شيخُنا السّروجيّ • وقد أقمرَ ليلُهُ الدَّجُوجِيّ • فهنّأتُ نفسي بورودِه • وابتدرتُ استلامَ يدِه • وقلتُ له ما الّذى أحالَ صِفتَك • حتّى جهلتُ معرِفتَك • وأيّ شيءٍ شيّبَ لحيتَك • حتّى أنكرتُ حِليتَك • فأنشأ يقولُ •

* نظم *

* وقعُ الشّوائِبِ شيّبْ * والدّهرُ بالنّاسِ قُلّبْ *

* إنْ دانَ يومًا لشخصٍ * ففى غدٍ يتغلّبْ *

* فلا تثِقْ بوميضٍ * مِن برقِه فهو خُلّبْ *

* واصبِرْ إذا هو أضرى * بكَ الخطوبَ وألبْ *

* فما على التِّبرِ عارٌ * فى النّارِ حِينَ يُقلّبْ *

ثم نهض مفارقاً موضعه ٭ ومستصحباً القلوبَ معه ٭

المقامة الثالثة القَيْلِيّة

رَوَى الحارثُ بنُ همّام ٭ قال نظمني واَخداناً لي نادٍ ٭

لم يَخِبْ فيه مُنادٍ ٭ ولا كَبا قَدْحُ زِنادٍ ٭ ولا ذَكَتْ نارُ عِنادٍ ٭

فَبَيْنَما نحنُ نَتجاذبُ أطرافَ الأناشيدِ ٭ ونَتوارَدُ طُرَفَ

الأسانيد ٭ إذْ وَقَفَ بنا شَخْصٌ عليه سَمَلٌ ٭ وفي مَشْيِه قَزَلٌ ٭

فقالَ يا أخايِرَ الذَّخائرِ ٭ وبَشايِرَ العَشائِرِ ٭ عِمُوا صَباحاً ٭

وأنْعِمُوا اصْطِباحاً ٭ وانْظُروا الى مَنْ كانَ ذا نَدِيٍّ ونَدًى ٭

وجِدَةٍ وجَدًى ٭ وعَقارٍ وقِرًى ٭ ومَقارٍ وقِرًى ٭ فما زالَ به

قُطوبُ الخُطوبِ ٭ وحُروبُ الكُروبِ ٭ وشَرُّ شَرَرِ الحَسودِ ٭

وانْتِيابُ النُّوَبِ السُّودِ ٭ حتى صَفِرَتِ الرّاحةُ ٭ وقَرِعَتِ السّاحةُ ٭

وغارا

وغار المنبع • ونبا المربع • وأقوى المجمع • وأقض المضجع • واستحالت الحال • وأعول العيال • وخلت المرابط • ورحم الغابط • وأودى الناطق والصامت • ورثى لنا الحاسد والشامت • وآلنا للدهر الموقع • والفقر المدقع • الى أن احتذينا الوجى • واغتذينا الشجا • واستبطنا الجوى • وطوينا الاحشا • على الطوى • واكتحلنا السهاد • واستوطنا الوهاد • واستوطأنا القتاد • وتناسينا الاقتاد • واستطبنا الحين المجتاح • واستبطأنا اليوم المتاح • فهل من حر آس • او سمح مواس • فوالذي استخرجني من قيلة • لقد امسيت اخا عيلة لا املك بيت ليلة • قال الحارث بن همام فأويت لمفاقره • ولويت الى استنباط فقره • فابرزت له دينارا • وقلت له

اخْتبارًا • إِن مَدَحته نَظْمًا • فهولك حَتْمًا • فانبرى يُنْشِد
في الحال • من غير انتحال • نظم •

أَكْرِمْ به أَصْفَرَ راقتْ صُفْرَتُه * جَوابَ آفاقٍ تَرامَتْ سَفْرَتُه *
مأثورةٌ سُمْعَتُه وشُهْرَتُه * قد أُودِعَتْ سِرَّ الغِنَى أَسِرَّتُه *
وقارنَتْ نُجْحَ المَساعِي خَطْرَتُه * وحُبِّبَتْ الى الانام غُرَّتُه *
* كأنَّما من القُلوبِ نُقْرَتُه * به يَصُولُ مَن حَوَتْه صُرَّتُه *
وإِنْ تَفانَتْ او تَوانَتْ عِتْرَتُه * يا حَبَّذا نُضارُهُ ونَضْرَتُه *
وحَبَّذا مَغْناتُه ونُصْرَتُه * كَمْ آمِرٍ به استَتَبَّتْ إِمْرَتُه *
ومُتْرَفٍ لولاه دامَتْ حَسْرَتُه * وجَيْشِ هَمٍّ هَزَمَتْه كَرَّتُه *
وبَدْرِ تِمٍّ أَنزَلَتْه بَدْرَتُه * ومُسْتَشيطٍ تَتَلَظَّى جَمْرَتُه *
أَسَرَّ نَجْواه فلانَتْ شِرَّتُه * وكم أَسيرٍ أَسْلَمَتْه أُسْرَتُه *

انقذه

* أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسَرَّتُهُ * وَحَقَّ مَوْلًى أَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهُ *

لَوْلَا التُّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ * ثم بَسَطَ يَدَهُ * بعد ما أَنْشَدَهُ *

وقال أَنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَدَ * وَسَحَّ خَالٌ اذْ رَعَدَ * فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ

اليه * وقلتُ خُذْهُ غيرَ مَأْسُوفٍ عليه * فوضَعَهُ في فِيهِ * وقال

بارِكِ اللّهُمَّ فيه * ثم شَمَّرَ للانثناءِ * بعدَ تَوْفِيَةِ الثَّناءِ *

فنشأَتْ لِيَ من فُكَاهَتِهِ نَشْوَةُ غَرَامٍ * سَهَّلَتْ عَلَيَّ ائتنافَ اغْتِرَامٍ *

فجَرَّدتُ دينارًا آخَرَ * وقلت هل لكَ في أن تَذُمَّهُ * ثم تَضُمَّهُ *

فأنشدَ مُرْتَجِلًا * وشدَا عَجِلًا * نظم *

* تَبًّا له من خادِعٍ مُماذِقٍ * أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كالْمُنافِقِ *

* يبدُو بوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرّامِقِ * زِينةِ معشوقٍ ولَوْنِ عاشِقٍ *

* وحُبُّهُ عندَ ذَوِي الْحَقائِقِ * يَدْعُو إِلَى ارْتِكابِ سُخْطِ الْخالِقِ *

* لولاه لم تُقطع يمينُ سارقٍ * ولا بدت مظلمةٌ من فاسقٍ *

* ولا اشمأزّ باخلٌ من طارقٍ * ولا شكا الممطولُ مطلَ العائقِ *

* ولا استُعيذَ من حسودٍ راشقٍ * وشرُّ ما فيه من الخلائقِ *

* أن ليس يُغني عنك في المضائقِ * إلّا إذا فرّ فرارَ الآبقِ *

* واهاً لمن يقذفه من حالقِ * ومن إذا ناجاه نجوى الوامقِ *

* قال له قولَ المحقِّ الصادقِ * لا رأيَ في وصلك لي ففارقِ *

فقلتُ له ما أغزرَ وبلَك * فقال والشرطُ أملكُ ، فنفحتُه بالدينارِ الثاني ، وقلتُ له عوِّذهما بالمثاني ، فألقاه في فيه ، وقرنه بتوأمه ، وانكفأ يحمدُ مغداه ، ويمدحُ النادي ونداه ، قال الحارثُ بن همّام فناجاني قلبي بأنّه أبو زيد ، وأنّ تعارجَه لكيد ، فاستعدتُه وقلتُ له قد عُرفتَ بوشيك ، فاستقمْ في مشيك ،

فقال

فقال إن كنت ابن همام • فحييت بإكرام • وحييت بين كرام •

فقلت أنا الحارث • فكيف حالك والحوادث • قال أتقلب

في الحالين بؤس ورخاء • وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء •

فقلت فكيف ادعيت القزل • وما مثلك من هزل • فاستنسر

بشره الذي كان تجلى • ثم أنشد حين ولى • * نظم *

* تعارجت لا رغبة في العرج * ولكن لأقرع باب الفرج *

* وألقي حبلي على غاربي * وأسلك مسلك من قد مرج *

* فإن لامني القوم قلت اعذروا * فليس على أعرج من حرج *

المقامة الرابعة الدمياطية

أخبر الحارث بن همام قال أظعنت إلى دمياط •

عام هياط ومياط • وأنا يومئذ مرموق الرخاء •

مَوْمُوقَ الإِخاءِ • أَسْتَحِبُّ مَطارِفَ الثَّراءِ • وأَجْتَلِي مَعارِفَ السَّرَّاءِ •
فرافقتُ صَحْبًا قد شَقُّوا عَصا الشِّقاقِ • وارْتَضَعُوا أَفاوِيقَ
الوِفاقِ • حتّى لاحُوا كأَسْنانِ المُشْطِ في الاستواءِ • وكالنَّفْسِ
الواحدةِ في التئامِ الأَهْواءِ • وكُنّا مع ذلك نُسَيِّرُ النَّجاءَ • ولا نَرْحَلُ
الا كُلَّ هَوْجاءَ • وإذا نَزَلْنا مَنْزِلًا • او وَرَدْنا مَنْهَلًا • إِخْتَلَسْنا
اللَّبْثَ • ولم نُطِلِ المُكْثَ • فعَنَّ لنا إِعْمالُ الرِّكابِ • في ليلةٍ
فَتِيَّةِ الشَّبابِ • غُدافِيَّةِ الإِهابِ • فأَسْرَيْنا إِلى أَنْ نَضا اللَّيْلُ شَبابَهُ •
وسَلَتَ الصُّبْحُ خِضابَهُ • فحِينَ مَلِلْنا السُّرَى • ومِلْنا إِلى الكَرَى •
صادَفْنا أَرْضًا مُخْضَلَّةَ الرُّبا • مُعْتَلَّةَ الصَّبا • فتَخَيَّرْناها مُناخًا
لِلعِيسِ • ومَحَطًّا لِلتَّعْرِيسِ • فلمّا حَلَّها الخَلِيطُ • وهَدَأَ بها الأَطِيطُ
والغَطِيطُ • سَمِعْتُ صَيِّتًا مِنَ الرِّجالِ • يقولُ لِسَمِيرِهِ في الرِّحالِ •

كيف

كيف حُكْمُ سِيرَتِكَ • مع جِيلِكَ وجِيرَتِكَ • فقال أرْعَى الجارَ •

ولَو جارَ • وابْذُلُ الوِصالَ • لِمَن صالَ • وأحْتمِلُ الخَلِيطَ • ولو أبْدَى

التَخليطَ • وأوَدّ الحَميمَ • ولو جَرَّعَنِي الحَمِيمَ • وأُفضِّلُ

الشَفيقَ • على الشَّقيقِ • وأفِي للعَشِيرِ • وإنْ لم يُكافِئْ بالعَشِيرِ •

وأستقِلُّ الجزيلَ • للنَّزِيلِ • وأغْمُرُ الزَّمِيلَ • بالجَمِيلِ •

وأُنزِلُ سمِيرِي • مَنْزِلَةَ امِيرِي • وأُحِلُّ أنِيسِي • مَحَلَّ رئيسي •

وأُودِعُ مَعارِفِي • عَوارِفِي • وأُولِي مُرافِقِي • مَرافِقِي • وأُلِينُ

مَقالِي • لِلْقالِي • وأُدِيمُ تَسآءُلِي • عن السّالِي • وأرْضَى مِن الوَفاءِ •

بالْلَفاء • وأقنَعُ مِن الجزاء • بأقلِّ الأجزاء • ولا أتَظَلَّمُ •

حِينَ أُظْلَمُ • ولا أنْقَمُ • ولو لَدَغَنِي الأرْقَمُ • فقال له صاحبُهُ

ويكَ يا بُنَيَّ إنَّما يُضَنُّ بالضَّنِين • ويُنافَسُ في الثَّمِين • لكن

أَنَا لا آتي • غَيْرَ الْمُواتِي • ولا أَسِمُ النِّعاتِي • بِمُراعاتِي •
ولا أُصَافِي • مَن يأبَى إنْصافِي • ولا أُواخِي • من يُلْغِي الأَواخِي •
ولا أُمالي مَنْ يُخَيِّبُ آمالِي • ولا أُبالي • بِمَنْ صَرَمَ حِبالِي • ولا أُدارِي •
مَن جَهِلَ مِقْدارِي • ولا أُعْطِي زِمامِي • مَن يُخْفِرُ ذِمامِي •
ولا أَبْذُلُ وِدادِي • لِأَضْدادِي • ولا أَدَعُ إِيعادِي • لِلمُعادِي •
ولا أَغْرِسُ الأَيادِي • في أَرْضِ الأَعادِي • ولا أَسْمَحُ بمُواساتِي • لِمَن يَفْرَحُ
بِمَساآتِي • ولا أَرَى الْتِفاتِي • إلى مَن يَشْمَتُ بِوفاتِي • ولا أَخُصُّ بِحِبائِي •
إلّا أَحِبّائِي • ولا أَسْتَطِبُّ لِدائِي • غَيْرَ أَوِدّائِي • ولا أُمَلِّكُ
خُلَّتِي مَنْ لا يَسُدُّ خَلَّتِي • ولا أُصْفِي نِيَّتِي • لِمَن يَتَمَنَّى مَنِيَّتِي •
ولا أُخْلِصُ دُعائِي • لِمَنْ لا يُقْعِمُ وِعائِي • ولا أُفْرِغُ ثَنائِي • على مَنْ
يُفْرِغُ إِنائِي • ومَنْ حَكَمَ بِأَنْ أَبْذُلَ وتَخْزُنَ • وأَلِينَ وتَخْشُنَ •

والله

وَاُذْنِبَ وَتَجْهَدَ • وَاُذَكُّوَ وَتَخْمَدَ • لَا وَاللّٰهِ بَلْ نَتَوَازَنُ فِي الْمِقَالِ • وَزْنَ الْمِثْقَالِ • وَنَتَحَاذَى فِي الْفَعَالِ • حَذْوَ النِّعَالِ • حَتّٰى نَأْمَنَ التَّغَابُنَ • وَنُكْفَى التَّضَاغُنَ • وَإِلَّا فَلِمَ أُعِلُّكَ وَتُعِلُّنِي • وَأُقِلُّكَ وَتَسْتَقِلُّنِي • وَأَجْتَرِحُ لَكَ وَتُجَرِّحُنِي • وَأَسْرَحُ إِلَيْكَ وَتُسَرِّحُنِي • وَكَيْفَ يُجْتَلَبُ إِنْصَافٌ بِضَيْمٍ • وَأَنّٰى تَشْرُقُ شَمْسٌ مَعَ غَيْمٍ • وَمَتٰى أَصْحَبَ وُدٌّ بِعَسْفٍ • وَأَيُّ حُرٍّ رَضِيَ بِخُطَّةِ خَسْفٍ • وَلِلّٰهِ أَبُوكَ إِذْ يَقُولُ

* نظم *

* جُزِيتُ مَنْ أَعْلَقَ بِي وُدَّهُ * جَزَاءَ مَنْ يَبْنِي عَلَى أُسِّهِ *
* وَكِلْتُ لِلْمُخِلِّ كَمَا كَالَ لِي * عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ *
* وَلَمْ أُخَسِّرْهُ وَشَرُّ الْوَرَى * مَنْ يَوْمُهُ أَخْسَرُ مِنْ أَمْسِهِ *
* وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنًى * فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَرْسِهِ *

اشتدّ استنان الجواد في المضمار • وقال لابنه بدار بدار • ولم تخل انه غرّ وطالب المغرّ • فلبثنا نرقبه رقبة اهلّة الاعياد • ونستطلعه بالطلائع والرواد • الى ان هرم النهار • وكاد جرف اليوم ينهار • فلما طال امد الانتظار • ولاحت الشمس في الاطمار • قلت لاصحابي قد تمادينا في المهلة • وتناهينا في الرحلة • الى ان اضعنا الزمان • وبان ان الرجل مان • فتأهبوا للظعن • ولا تلووا على خضراء الدمن • ونهضت لاحدج راحلتي • واتجهّز لرحلتي • فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب •

نظم

* يا من غدا لي ساعدا * ومساعدا دون البشر *

* لا تحسبن اني نايتك عن ملال او اشر *

* لكنني مذ لم أزل * ممن إذا طعم انتشر *

قال فأقرأت الجماعة القتب • ليعذره من كان عتب • فأعجبوا بخرافته • وتعوذوا من آفته • ثم إنا طاوعنا • ولم ندر من اعتاض عنا •

* المقامة الخامسة الكوفية *

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة أديمها ذو لونين • وقمرها كتعويذ من لجين • مع رفقة غذوا بلبان البيان • وسحبوا على سحبان ذيل النسيان • ما فيهم إلا من يحفظ عنه • ولا يتحفظ منه • ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه • فاستهوانا السمر • إلى أن غرب القمر • وغلب السهر • فلما روق الليل البهيم • ولم يبق إلا التهويم • سمعنا من الباب نبأة مستنبح • ثم تلتها صكة

مُشتغلين * فقلنا من الوليمة في الليل المُدلَهِمّ * فقال * نظم *

* يا أهلَ ذا المَغنى وُقيتم شرًّا * ولا لَقيتم ما بَقيتم ضُرًّا *

* قد دَفعَ الليلُ الذي اكفهرّا * الى ذَراكم شَعِثًا مُغبرًّا *

* أخا سِفارٍ طالَ وَاسبطرّا * حتى انثنى مُحقَوقِفًا مُصفرًّا *

* مثلَ هِلالِ الأُفقِ حينَ افترّا * وقد عَرا فِناءَكم مُعترًّا *

* وأمَّكم دُونَ الأنامِ طُرًّا * يَبغي قِرًى منكم ومُستقَرًّا *

* فَدونَكم ضَيفًا قَنوعًا حُرًّا * يَرضى بما احلَولى وما أمرًّا *

* ويَنثَني عنكم يَنُثُّ البِرّا * قال الحارث بن همام فلما خلبنا

بعذوبة نطقه * وعلمنا ما وراء برقه * ابتدرنا فتح الباب *

وتلقّيناه بالترحاب * وقلنا للغلام هيّا هيّا * وهلمّ ما تهيّأ *

* فقال الضيفُ والذي أحلّني ذَراكم * لا تلمّظتُ بقِراكم *

او

أَوْ تَضْمَنُوا لِيْ أَنْ لَا تَتَّخِذُونِي كَلًّا * وَلَا تَجَشَّمُوا لِأَجْلِي أُكُلًا • فَرُبَّ أُكْلَةٍ هَاضَتِ الْآكِلَ • وَحَرَمَتْهُ مَآكِلَ • وَشَرُّ الْأَضْيَافِ مَنْ سَامَ التَّكْلِيفَ • وَآذَى الْمُضِيفَ • وَخُصُوصًا أَذًى يَعْتَلِقُ بِالْأَجْسَامِ وَيُفْضِي إِلَى الْأَسْقَامِ • وَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي سَارَ سَائِرُهُ • خَيْرُ الْعَشَاءِ سَوَافِرُهُ • إِلَّا لِيُعَجَّلَ التَّعَشِّي • وَيُجْتَنَبَ أَكْلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُعْشِي • اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقِدَ نَارُ الْجُوعِ • وَتَحُولَ دُونَ الْهُجُوعِ • قَالَ فَكَأَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَى إِرَادَتِنَا • فَرَمَى عَنْ قَوْسِ عَقِيدَتِنَا • لَا جَرَمَ إِنَّا آنَسْنَاهُ بِالْتِزَامِ الشَّرْطِ • وَأَثْنَيْنَاهُ عَلَى خُلُقِهِ السَّبْطِ • فَلَمَّا أَحْضَرَ الْغُلَامُ مَا رَاجَ • وَأَذْكَى بَيْنَنَا السِّرَاجَ • تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ فَقُلْتُ لِصَحْبِي لِيَهْنِكُمُ الضَّيْفُ الْوَارِدُ • بَلِ الْمَغْنَمُ الْبَارِدُ • فَإِنْ يَكُنْ أَفَلَ قَمَرُ الشِّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشِّعْرِ •

او استسر بدر النثرة فقد تبلّج بدر النثر • فسرت حميّا المسرّة فيهم • وطارت السِّنة عن مآقيهم • ورفضوا الدعة التي كانوا نووها • وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها • وابو زيد مكبّ على اعمال يديه • حتى اذا استرفع ما لديه • قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب اسمارك • او عجيبة من عجائب اسفارك • فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون • ولا رواه الراوون • وان من اعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم • ومصيري الى بابكم • فاستخبرناه عن طرفة مرآه • في مسرح مسراه • فقال ان مرامي الغربة • لفظتني الى هذه التربة • وانا ذو مجاعة وبوسى • وجراب كفؤاد ام موسى • فنهضت حين سجا الدجى • على ما بي من الوجى • لارتاد مضيفا • او اقتاد رغيفا

رَغيفاً • فساقَني حادي السَّغَب • والقضاءُ المُكَنَّى أبا العَجَب •

إلى أنْ وقفتُ على بابِ دار • فقلتُ على بِدار • * نظم *

* حُيِّيتُمْ يا أهلَ هذا المنزِلِ * وعِشتُمُ في خَفضِ عَيشٍ خَضِلِ *

* ما عندَكُمْ لابنِ سبيلٍ مُرمِلِ * نِضوِ سُرًى خابطِ ليلٍ أليَلِ *

جَوِي الحَشا على الطَّوى مُشتمِلِ * ما ذاقَ مُذْ يَومانِ طَعمَ مأكَلِ *

* ولا لهُ في أرضِكُمْ مِن مَوئِلِ * وقد دَجا جُنحُ الظَّلامِ المُسبَلِ *

* وهوَ مِنَ الحَيرةِ في تَمَلمُلِ * فهل بهذا الرَّبعِ عَذبُ المَنهَلِ *

يقولُ لي ألقِ عصاكَ وادخُلِ * أبشِرْ ببِشرٍ وقِرًى مُعجَّلِ *

قال فبرزَ إليَّ جُوذَرٌ • عليه شَوذَرٌ • وقال * نظم *

وحُرمةِ الشيخِ الذي سَنَّ القِرى • وأسَّسَ المحجوجَ في أُمِّ القُرى

ما عندَنا لِطارقٍ إذا عَرا • سِوى الحديثِ والمُناخِ في الذَّرى

وكيف يغري من نفى عنه الكرى * طوى برى اعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى * فقلت ما اصنع بمنزل قفر •
ومنزل جلف نفر • ولكن يا فتى ما اسمك • فقد فتنني فهمك •
فقال اسمي زيد • ومنشأي فيد • ووردت الى هذه المدرة
امس • مع اخوالي من بني عبس • فقلت له زدني ايضاحا
عشت ونعشت • فقال اخبرتني امي برة • وهي كاسمها
برة • انها نكحت عام الغارة بماوان • رجلا من سراة
سروج وغسان • فلما آنس منها الاثقال • وكان باقعة على
ما يقال • ظعن عنها سرا • وهلم جرا • فما يعرف أحي هو
فيتوقع • أم اودع اللحد البلقع • قال ابو زيد فعلمت
بصحة العلامات انه ولدي • وصدني عن التعرف اليه
صفر

صغرَيدِى • فنفصلْتُ عنه بكبِدٍ مرضوضةٍ • ودموعٍ مفضوضةٍ •
فهل سمعتُمْ يا أولي الألباب • بأعجبَ مِنْ هذا العُجاب • قلنا
لا ومَنْ عندهُ عِلمُ الكتاب • فقال أثبِتوها في عجائب الاتفاق •
وخلِّدوها بطون الأوراق • فما سُيِّرَ مثلُها في الآفاق • فأحضرنا
الدَّواةَ وأساوِدَها • ورقشنا الحِكايةَ على ما سرَدَها • ثمّ
استنبطناهُ عن مُرتاهُ • في استنضاح مقتاهُ • فقال إذا تُعْلَرُني نَبِي •
خفّ عليَّ أنْ أكفُلَ ابني • فقلنا إنْ كانَ يكفيكَ نِصابٌ من
المال • ألّفناهُ لك في الحال • فقال وكيفَ لا يُقنِعُني نِصابٌ •
وهل يَحتقرُ قدرَهُ إلّا مُصابٌ • قال الراوي فالتزمَ منه كُلٌّ
مِنّا قِسطًا • وكتبَ له بهِ قِطًّا • فشكرَ عندَ ذلك الصُّنعَ • واستنفدَ
في الثناءِ الوسعَ • حتّى أننا استطَلْنا القولَ • واستقللنا الطَّوْلَ •

ثمّ إنه نشر من وشي السّمر • ما أزرى بالحبر • الى أن أطلق

التنوير • وجشر الصّبح المنير • فقضّيناها ليلةً غابت شوائبها •

الى أن شابت ذوائبها • وكمل سعودها • الى أن انفطر عمودها •

ولمّا ذرّ قرن الغزالة • طمر طمور الغزالة • وقال انهض بنا لنقتبس

الصّلات • ونقتنص الإحالات • فقد استطار صدوع كبدي •

من الحنين الى ولدي • فوصلت جناحه • حتّى سنّيت نجاحه •

فحين أحرز العين في صرّته • برقت أسارير مسرّته • وقال

لي جزيت خيراً عن خطا قدميك • والله خليفتي عليك • فقلت

أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب • وأنا نقهٌ لكيما

أجيب • فنظر الى نظرة الخادع الى المخدوع • وضحك حتى

تغرغرت مقلتاه بالدموع ثم انشد [illegible]

* يا مَنْ تُظَنّى السَّرابَ ماءً * لمّا رَوَيْتُ الّذى رَوَيْتُ *

* ما خِلْتُ اَنْ يُستَسِرَّ مَكْرى * وَ اَنْ يُخِيْلَ الّذى عَنَيْتُ *

* واللّهِ ما بَرَّةٌ بِعِرْسِى * ولا لِيَ ابْنٌ بِهِ اكْتَنَيْتُ *

* وانّما لِىْ فُنُونُ سِحْرٍ * اَبْدعتُ فيها و ما اقْتَدَيْتُ *

* لم يَحْكِها الاَصْمعِىُّ فيها * حَكْى ولا حَاكَها الكُمَيْتُ *

* تَخِذْتُها وُصْلَةً اِلىٰ ما * تَجْنِيْهِ كَفِّىْ مَتىٰ اشْتَهَيْتُ *

* وَلَوْ تَعَافَيْتُها لَحالَتْ * حالِىْ ولم اَحْوِما حَوَيْتُ *

* فَمَهِّدِ العُذْرَا و سامِحْ * اِنْ كنتُ اَجْرَمْتُ اَو جَنَيْتُ *

* ثم اِنَّه وَدَّ عَنِى و مضىٰ * واَوْدَعَ قَلْبِى جَمْرَ الغَضا *

المقامةُ السّادسةُ المراغيّةُ وتُعْرَفُ بالخَيْفاء

روى الحارثُ بن همّام قال حضرتُ ديوانَ النّظرِ بالمَراغةِ وقد

تجري به مذاكر البلاغة • فاجمع من حضر من فرسان البراعة •
وأرباب البراعة • على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء • ويتصرف فيه
كيف شاء • ولاخلف • بعد السلف • من يبتدع طريقة غراء •
أو يفترع رسالة عذراء • وأن المفلق من كتاب هذا الأوان • المتمكن
من أزمة البيان • كالعيال على الأوائل • ولو ملك فصاحة سحبان
وائل • وكان بالمجلس • كهل جالس • في الحاشية • وعند مواقف
الحاشية • فكان كلما شط القوم في شوطهم • ونثروا العجرة
والبجرة من نوطهم • ينبي تخازر طرفه • وتشامخ أنفه • أنه مخرنبق
لينباع • ومجرنز سيمد الباع • ونابض يبري النبال • ورابض
يبتغي النضال • فلما نثلت الكنائن • وفاءت السكائن • وركدت
النزاعز • وكف المنازع • أقبل على الجماعة وقال

لقد جئتم شيئًا إدًّا • وجرتم عن القصد جدًّا • وعظّمتم العظام
الرُّفات • وأنفتم في الميل الى مَن فات • وغمصتم جيلكم الذين
فيهم لكم اللذّات • ومعهم انعقدت المودّات • أنسيتم
ياجها بذة النقد • ومَوابذة الحلّ والعقد • ماأبرزته طوارف
القرائح • وبرّز فيه الجذع على القارح • من العبارات
المهذّبة • والاستعارات المستعذبة • والرسائل الموشّحة •
والاساجيع المستملحة • وهل للقدماء اذا انعم النظر • من حضر •
غير المعاني المطروقة الموارد • المعقولة الشوارد • المأثورة
عنهم لتقادم المولد • لا لتقدّم الصادر على الوارد • واني لأعرف
الآن مَن اذا أنشأ • وشّى • واذا عبّر • حبّر • واذا أسهب •
أذهب • واذا أوجز • أعجز • وان بَدَه • شَدَه • ومتى اخترع •

مَخرَجٌ • فقال له ناظورة الدّيوان • وعَين أولئك الاعيان • مَن قارِعُ هذي الصّفاة • وقرَّ يعُ هذه الصّفات • قال إنّه قِرنٌ مُجالِك • وقرينٌ جِدًا لكَ • واذا شئتَ فرُضْ نجيبًا • وادْعُ مُجيبًا • لترَى عجيبًا • فقال له يا هذا انَّ البغاثَ بأرضِنا لا تستنسِرُ • والتمييز عندَنا بين الفِضَّةِ والفِضّةِ متيسّرٌ • وقلَّ من اسْتُهدِفَ للنِّضال • فخلَص مِنَ الدّاء العُضالِ • أوأَسْتُنا رَفعَ الامتحان • فلم يُعنَ بالامتهان • فلا تُعرِّضْ عِرْضَكَ للمَفاضِحِ • ولا تُعْرِضْ عن نصاحةِ النّاصِحِ • فقال كُلُّ امرِءٍ أعرَفُ بوَسْمِ قِدْحِهِ • وسيَنفرِي اللّيلُ عن صُبْحِهِ • فتنا جَتِ الجماعةُ فيما يُسْبَرُ به قليبُه • ويُتعهّدُ فيه تقليبُه • فقالَ أحدُهم ذَرُوهُ في حِصّتي • لأرميَه بحَجرِ قِصّتي • فإنّها عُضْلةُ العُقَد • ومِحَكُّ المُنتقَد • فقلّدوه

في

في هذا الأمرِ الزَّعامة • تقليدُ الخوارجِ أبا نعامة • فأقبلَ على الكهلِ وقال

اعلم أنّي أُوالي • هذا الوالي • وأُرَقِّحُ حالي • بالبيانِ الحالي •

وكنتُ أستعينُ على تقويمِ أَوَدي • في بلدي • بسعةِ ذاتِ

يدي • مع قِلّةِ عددي • فلمّا ثَقُلَ حاذي • ونَفِدَ

رَذاذي • أَمَمْتُهُ من أرجائي • برجائي • ودعوتُهُ لإعادةِ رُوائي •

وإرْوائي • فهشَّ للوفادةِ وارتاحَ • وغدا بالإفادةِ وراحَ • فلمّا

استأذنتُهُ في المَراحِ الى المُراحِ • على كاهلِ المِراحِ • قال

قد أزمعتُ أن لا أُزَوِّدَكَ بتاتا • ولا أجمعَ لكَ شتاتا •

أو تُنشئَ أمامَ ارتحالِكَ • رسالةً تُودِعُها شرحَ حالِكَ • حروفُ

إحدى كلمتيها يعمُّها النَّقْطُ • وحروفُ الأُخرى لم يُعجَمْهُنَّ قطُّ •

وقد استأنيتُ بياني حَوْلا • فما أَحارَ قَوْلا • ونبَّهتُ فكري

سَنَةً • فما ازدادَ الّا سِنَةً • وَاسْتَعنتُ بقاطبةِ الكُتّاب • فكلٌّ منهم قطّبَ وتابَ • فان كنتَ صدَّقتَ عن وَصفِكَ باليقين • فأتِ بآيةٍ ان كنتَ مِنَ الصّادقين • فقال له لقد استسعيتُ يعبوباً • وَاستسقيتُ أسكوباً • واعطيتُ القوسَ باريها • وانزلتُ الدارَ بانيها • ثم فكّر ريثما استجمّ قريحته • واستدرّ لقحته • وقال له القِ دواتكَ • وخذ اداتك • وَاكتبْ • الكرمُ ثبّتَ اللهُ جيشَ سعودِكَ يَزِين • واللؤمُ غضّ الدهرُ جفنَ حسودِكَ يَشين • والأروعُ يُثيب • والمعوِرُ يُخيِب • والحلاحِلُ يُضيف • وَالماحِلُ يُخيف • والسمحُ يُغذي • والمحكُ يُقذي • والعطاءُ يُنجي • والمطالُ يُشجي • والدعاءُ يَقي • والمدحُ يُنقي • والحرُّ يَجزي • والالطاطُ يُخزي • وَاطّراحُ ذي الحرمةِ غيٌّ • ومحرمةُ

بني

تُبنى الآمال بِبُغى • وما ضَنَّ الاغبين • ولا غُبِنَ الّا ضنين •
ولاخَزَنَ الّا شقيٌّ • ولا قبضَ راحةَ تقى • وما نبئ وعدك
يَفي • وآراءُك تشفي • وحِلمُك يُغضي • وهِلالُك يُضيءُ •
وآلاءُك تُغني • واعداءُك تُثني • وحُسامُك يُفني • وسُؤددُك
يُبني • ومواصِلُك يَجتَني • وما دِحُك يَقتَني • وسَماحُك
يُغيث • وسَماءُك تَغيث • ودَرُّك يَفيض • ورِدُك يُغيض • ومُؤمِّلك
سَبيخٌ حَكاهُ فَيءٌ • ولم يَبقَ له شيءٌ • أمَّك بِظَنٍّ حِرصُه يُثِبُ •
ومَدحك بِنُخَبٍ مهورُها تَجِبُ • ومَرامه يَخِفُّ • وأوامِرُه
تَشِفُّ • واطراءُه يُجتَذَب • ومَلامُه يُجتَنَب • ووَراءَه
ضَفَفٌ • مَسَّهم شَظَفٌ • وخَصَّهم جَنَفٌ • وعَمَّهم قَشَفٌ • وهو بِي
نَ مَعِ تجيب • وولَهٍ يُذيب • وهَمٍّ تَضَيُّف • وكمدٍ نيَّفَ بِما موله

تخيب • واهمال شيب • وعدو نيب • وهذر تغيب • ولم يزغ ود •
لبغض • ولا خبث عود • فيقتضب • ولا نفث صدر • فينفض •
ولا نشز وصله فيبغض • وما يقتضي كرمك نبذ حرمه • فيبيض
أمله بتخفيف ألمه • ينث حمدك بين عالمه • بقيت لاماطة
شجب • واعطاء نشب • ومداواة شجن • ومراعاة يفن •
موصولا بخفض • وسرور غض • ما غشي معهد غني • او خشي
وهم غبي • والسلام * فلما فرغ من املاء رسالته • وجلى
في هيجاء البلاغة عن بسالته • ارضته الجماعة فعلا وقولا •
واوسعته حفاوة وطولا • ثم سئل من اي الشعوب نجاره •
وفي اي الشعاب وجاره • فقال * نظم *

* غسان اسرتي الصميمة * وسروج تربتي القديمة *

فالبيت

* والبيتُ مثلُ الشمس اِشرا قاً ومنزِلةً جسيمة *

* والربعُ كالفردوس * مطيبةً ومنزهةً وقيه *

* واهاً لعيشٍ كان لي * فيها ولذّاتٍ عميمه *

* ايامَ اسحبُ مِطْرَفي * في روضها ماضي العزيمه *

* اختالُ في بُردِ الشبابِ واجتلي النعمَ الوسيمه *

* لا اتقي نُوَبَ الزمانِ ولا حوادثه المليمه *

* فلو انّ كرباً مُتلفٌ * لتلفتُ من كربي المقيمه *

* او يُفتدى عيشٌ مضى * لفدته مهجتي الكريمه *

* فالموتُ خيرٌ للفتى * من عيشه عيش البهيمه *

* تَقتادُهُ بُرَةُ الصغارِ الى العظيمة والهضيمه *

* ويرى السباعَ تنوشها * ايدي الضباعِ المستضيمه *

* والذنب للايام لولا شؤمها لم تنب شيمه *

* ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه *

ثم ان خبره نمى الى الوالى • فملأ فاه باللآلى • وسامه ان

ينضوى الى احشائه • ويلى ديوان انشائه • فاحسبه الحباء •

وظلفه عن الولاية الاباء • قال الراوى وكنت عرفت عود

شجرته • قبل ايناع ثمرته • وكدت انبه على علو قدره •

قبل استنارة بدره • فاوحى الى بايماض جفنه • ان لا اجرد

عضبه من جفنه • فلما خرج بطين الخرج • وفصل فائزا بالفلج •

شيعته قاضيا حق الرعاية • ولاحيا له على رفض الولاية •

فاعرض متبسما • وانشد مترنما •   نظم

* لجوب البلاد مع المتربه * احب الى من المرتبه *

لان

* لِأَنَّ الوُلاةَ لَهُمْ نَبْوَةٌ * وَمَعْتَبَةٌ يا لَها مَعْتَبَه *

* ومافيهمُ من يَرُبُّ الصَّنيعَ * ولا من يُشَيِّدُ ما رَتَّبَه *

* فلا يَخْدَعَنْكَ لُمُوعُ السَّرابِ * ولا تأتِ أَمْرًا اذا ما اشْتَبَه *

* وكَمْ حالِمٍ سَرَّهُ حُلْمُهُ * وأَدْرَكَهُ الرَّوْعُ لَمَّا انْتَبَه *

المقامةُ السابعةُ البَرْقَعِيدِيَّةُ

حكى الحارِثُ بنُ هَمّام قال أَزْمَعْتُ الشُّخوصَ من بَرْقَعِيدَ • وقد شِمْتُ بَرْقَ عِيدٍ • فكَرِهْتُ الرِّحْلَةَ عن تلك المدينه • او أَشْهَدَ بها يَوْمَ الزِّينه • فلَمّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ ونَفْلِه • وأَجْلَبَ بِخَيْلِه ورَجْلِه • اِتَّبعتُ السُّنَّة في لُبْسِ الجديد • وبَرَزْتُ مع مَنْ بَرَزَ لِلتَّعْييد • وحِينَ الْتَأَمَ جَمْعُ المُصَلَّى وانْتَظَمَ • وأَخَذَ الزِّحامُ بالكَظَم • طَلَعَ شَيْخٌ في شَمْلَتَيْن • مَحْجُوبُ المُقْلَتَيْن •

وقد اعتضد شبه المخلاة ٭ واستقاد لعجوز كالسعلاة ٭ فوقف

وقفة متهافت ٭ وحيّا تحية خافت ٭ ولما فرغ من دعائه ٭ أجال

خمسه في وعائه ٭ فأبرز منه رقاعاً قد كتبن بألوان الأصباغ ٭

في أوان الفراغ ٭ فناولهن عجوزه الحيزبون ٭ وأمرها

أن تتوسم الزبون ٭ فمن آنست ندى يديه ٭ ألقت ورقة

منهن لديه ٭ قال فأتاح لي القدر المعتوب ٭ رقعة فيها مكتوب ٭ نظم ٭

٭ لقد أصبحت موقوذاً بأوجاع وأوجال ٭

٭ وممنوّاً بمختال ومحتال ومغتال ٭

٭ وخوّان من الإخوان قال لي لا قالي ٭

٭ وإعمال من العمال في تضليع أعمالي ٭

٭ فكم أصلى بإذحال وإمحال وترحالي ٭

* وكم أخطرني بالٌ * ولا أخطرُ في بالِ *

* فليتَ الدّهرَ لمّا جارَ أطفى لي أطفالي *

* فلو لا أنّ أشبالي أغلالي وأغلالي *

* لما جهّزتُ آمالي * إلى آلٍ ولا والِ *

* ولا جرّرتُ أذيالي * على مسحبِ إذلالي *

* فمحرابي أحرى بي * وأسمالي أسمى لي *

* فهل حُرٌّ يرى تخفيفَ أثقالي بمثقالِ *

* ويطفي حرَّ بلبالي * بسربالٍ وسروالِ *

قال الحارث بن همام فلمّا استعرضتُ حلّةَ الأبيات تُقتُ إلى معرفة مُلحِمِها وراقم عَلَمِها فناجاني الفكرُ بأنّ الوُصلةَ إليه العجوزُ * وأفتاني بأنّ حُلوانَ المعرفةِ يجوزُ

برصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا . وتستوكف الاكف كفا كفا . وما ان ينجح لها عناء . ولا يرشح على يدها اناء . فلما اكدى استعطافها . وكدها مطافها . عاذت بالاسترجاع . ومالت الى ارتجاع الرقاع . وانساها الشيطان ذكر رقعتي . فلم تعج الى بقعتي . وآبت الى الشيخ باكية للحرمان . شاكية تحامل الزمان . فقال انا لله . وافوض امري الى الله . ولا حول ولا قوة الا بالله .

وانشد * نظم *

* لم يبق صاف ولا مصاف * ولا معين ولا معين *

* وفي المساوي بدا التساوي * فلا امين ولا ثمين *

ثم قال لها منّي النفس وعديها . واجمعي الرقاع وعديها . فقالت لقد عددتها . لما استعدتها . فوجدت يد الضياع قد غالت

احدى

احدى الرِّقاعِ • فقال تَعْسًا لكِ يا لَكاعِ • أَتُحْرَمِينَ وَيْحَكِ

القَنَصَ والحِبالةَ • والقَبَسَ والذُّبالةَ • إنّها لَضِغْثٌ على إبّالة •

فانصاعتْ تَقتصُّ مَدْرَجَها • وتُنْشِدُ مُدْرَجَها • فلمّا أنْ أَتَتْني قَرَنْتُ

بالرُّقْعة دِرْهَمًا وقِطْعَةً • وقُلتُ لها إنْ رَغِبْتِ في المَشُوفِ المُعْلَمِ •

وأَشَرْتُ الى الدّرهم • فبُوحِي بالسِّرِّ المُبْهَم • وإنْ أَبَيْتِ أنْ

تَشْرَحِي • فخُذِي القِطْعَةَ واسْرَحِي • فمالتْ الى استخلاصِ

البَدْرِ التِّمّ • والأَبْلَجِ الهِمّ • وقالتْ دَعْ جِدَالَكَ • وسَلْ عمّا

بَدَا لكَ • فاستطلعتُها طِلْعَ الشَّيْخِ وبلدته • والشعرِ وناسجِ بُرْدَته •

فقالتْ إنّ الشيخَ من أَهْلِ سَرُوجَ • وهو الذي وَشّى الشِّعْرَ

المنسوجَ • ثمّ خَطِفَتِ الدّرهمَ خَطْفَةَ الباشِقِ • ومَرَقَتْ مُرُوقَ

السَّهمِ الرّاشِقِ • فخالَجَ قلبي أنّ ابا زيدٍ هو المشارُ اليه • وتأجّج

كُرَبِي لِمُصَابِه بِفَاطِرَتِه، وآثرتُ أنْ أُناجِيَهُ وأُناجِيَه، لأعْجُمَ عُودَ فِراستي فيه، وما كنتُ لأصِلَ إليه إلّا بتخطّي رِقاب الجمع، المَنْهِيّ عنه في الشَّرْع، وعِفْتُ أن يتأذّى بي قومٌ، أو يَسْرِيَ إليَّ لَوْمٌ، فسدِكْتُ بمكاني، وجعلتُ شخصَه قَيْدَ عِياني، إلى أن انقضت الخُطْبَةُ، وحقَّتِ الوُثْبَةُ، فخفَفْتُ إليه، وتوسَّمتُه على التحامِ جَفْنَيْه، فإذا المُغَيِّبِي المُعَيَّةُ ابنُ عبّاس، وفِراستي فِراسةُ إياس، فعرَّفتُه حينئذٍ شخصي، وآثرتُه بأحَدِ قُمُصِي، وأهَبْتُ إلى قُرْصِي، فهشَّ لعارفتي وعِرفاني، ولبّى دعوةَ رُغفاني، فانطلقَ ويدي زِمامُه، وظِلّي إمامُه، والعُجوزُ ثالثةُ الأثافي، والرّقيبُ الّذي لا يَخفى عليه خافٍ، ولمّا استخلصَ وُكْنتي، وأحضرتُه عُجالةَ مُكْنتي، قال يا حارِثُ، أمَعَنا ثالث، فقلتُ

ليس الا العَجوزُ فقال ما دونَها سِرٌّ محجوز ثم فتح كريمتيه

ورأى رأيتوأمتيه فاذا سراجا وجهه يتقدان كأنهما الفرقدان

فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره ولم يلقني

قراره ولا طاوعني اصطباره حتى سألته ما دعاك الى التعامي

مع سيرك في المعامي وجوبك الموامي وايغالك في المرامي

فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتى اذا انضى وطره

أتأر الي نظره وانشد * نظم *

* ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى *

* عن الرشد في انحائه ومقاصده *

* تعاميت حتى قيل اني أخو عمى *

* ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده *

ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف ويُنقي
الكف • ويُنعم البشرة • ويعطر النكهة • ويشد اللثة • ويقوي
المعدة • وليكن نظيف الظرف • اريج العرف • فتيّ الدق •
ناعم السحق • يحسبه اللامس ذرورا • ويخاله الناشق
كافورا • واقرن به خلالة نقية الاصل • محبوبة الوصل • انيقة
الشكل • مدعاة الى الأكل • لها نحافة الصب • وصقال
العضب • وآلة الحرب • ولدونة الغصن الرطب • قال فنهضت
كما امر • لأدرأ عنه الغمر • ولم أهم أنه قصد أن يخدع •
بابعادي الى المخدع • ولا تظنيت أنه سخر من الرسول • في استدعاء
الخلالة والغسول • فلما عدت بالملتمس • في أقرب من رجع
النفس • وجدت الجو قد خلا • والشيخ والشيخة قد اجفلا •
فاستشطت

فاستشطتُ من مكْره غضبًا . واوْغلتُ فى اِثْره طلبًا . فكان

كمن تمسّ فى الماء . او عُرِج به الى عنان السّماء *

المقامةُ الثامنةُ المعرّيةُ

اخبر الحارث بن همّام قال رأيتُ من اعاجيب الزمان . انْ

تقدّم خصمان . الى قاضى معرّة النُّعمان . احدُهما قد ذَهَب

منه الاطيبان . والآخرُ كانّه قضيبُ البان . فقال الشيخُ

أيّد اللهُ القاضىَ . كما ايّد به المُقاضِىَ . انّه كانتْ لى

مملوكةٌ رشيقةُ القدّ . اسيلةُ الخدّ . صبورٌ على الكدّ . تخُبُّ

احيانًا كالنّهد . وترقد اطوارًا فى المهْد . وتجدُ فى تمّوز مسّ البرد .

ذاتُ عقْلٍ وعنانٍ . وحدٍّ وسنانٍ . وكفٍّ ببنانٍ . وفمٍ بلا اسْنانٍ .

تلْدغ بلسانٍ نضناضٍ . وترْفل فى ذيلٍ فضفاضٍ . و تُجْلىٰ

فى سواد وبياض • وتسقى ولكن من غير حياض • فاصحة خدعة •

خباءة طلعة • مطبوعة على المنفعة • ومطواعة فى الضيق والسعة •

اذا قطعت وصلت • ومتى فصلتها عنك انفصلت • وطالما خذ منك

تجملت • وربما جنت عليك فالمت وململت • وان هذا الفتى

استخذ منيها لغرض • فاخذ منه اياها بلا عوض • على ان

يجتنى نفعها • ولا يكلفها الا وسعها • فاولج فيها متاعه • واطال بها

استمتاعه • ثم اعادها وقد انضاها • وبذل عنها قيمة لا ارضاها •

فقال الحدث اما الشيخ فاصدق من القطا • واما الانضاء

فقرط عن خطا • وقد رهنته عن ارش ما اوهنته • ميلا كالى تناسب

الطرفين • منتسبا الى القين • نقيا من الدرن والشين •

يقارن محله سواد العين • يفشى الاحسان • وينشى الاستحسان •

ويغذى

ويغذي الانسان • ويتحامى اللسان • ان سوّد جاد • وان وسم اجاد • واذا زوّد وهب الزاد • ومتى استزيد زاد • لا يستقرّ بمغنى • وقلّما ينكح الا مثنى • يسخو بموجوده • ويسمو عند جوده • وينقاد مع قرينته • وان لم تكن من طينته • ويستمتع بزينته • وان لم يطمع في لينته • فقال لهما القاضي امّا ان تبينا • والّا فبينا • فابتدر الغلام وقال *

* نظم *

* أعارني ابرة لأرفو اطمارًا عفاها البلى وسوّدها *

* فانخرمت في يدي على خطأ * مني لما جذبت مقوّدها *

* فلم ير الشيخ ان يسامحني * بارشها اذ رأى تأوّدها *

* فهل قال ارها في ابرة تماثلها * او قيمة بعد ان تجوّدها *

* وَاشْتَاقَ مِثْلِي رَهْنَهَا لَدَيْهِ وَنَاهِيكَ بِهَا سُبَّةً تَرُودُ هَا *

* فَالْعَيْنُ تَرْهَلُ لِرَهْنِهِ وَيَدِي * تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ مَرُودَهَا *

* فَاسْتُرْ بِذَا الشَّرْحِ عَوْرَ مَسْكَنَتِي * وَارْثِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَعَوَّدَهَا *

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْخِ وَقَالَ إِيهِ بِغَيْرِ تَمْوِيهٍ فَقَالَ * نظم *

* أُقْسِمُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَنْ * ضَمَّ مِنَ النَّاسِكِينَ خَيْفُ مِنَى *

* لَوْ سَاعَفَتْنِي الأَيَّامُ لَمْ تَرَنِي * مُرْتَهِنًا مِثْلَهُ الَّذِي رَهَنَا *

* وَلَا تَصَدَّيْتُ أَبْتَغِي بَدَلًا * مِنْ إِبْرَةٍ غَالَهَا وَلَا ثَمَنَا *

* لَكِنَّ قَوْسَ الْخُطُوبِ تَرْشُقُنِي * بِمُصْمِيَاتٍ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا *

* وَخُبْرُ حَالِي كَخُبْرِ حَالَتِهِ * ضُرًّا وَبُؤْسًا وَغُرْبَةً وَضَنًى *

* قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَأَنَا * نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا *

* لَا هُوَ يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ * لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهَنَا *

ولا

* ولا مجال لضيق ذات يدي * فيه اتساع للعفو حين جنى *

* فهذه قصتي وقصته * فانظر الينا وبيننا ولنا *

فلمّا وعى القاضي قصصهما . وتبيّن خصاصتهما وتخصّصهما .
أبرز لهما دينارا من تحت مصلّاه . وقال اقطعا به الخصام
وافصلاه . فتلقّفه الشيخ دون الحدث . واستخلصه على
وجه الجدّ لا العبث . وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرّتي .
وسهمك لي عن أرش إبرتي . ولست عن الحقّ أميل . فقم
وخذ الميل . فعري الحدث . لما حدث . اكتياب وجم له قلب
القاضي . وهيّج أسفه على الدينار الماضي . الّا انّه جبر بال الفتى
وبلباله . بدريهمات رضخ بها له . وقال لهما اجتنبا المعاملات .
وادرءا المخاصمات . ولا تحضراني في المحاكمات . فما عندي

كيسُ الغرامات. فنهضا من عنده. فرحين برفده. منفصحين بحمده. والقاضي ما يخبو ضجره. مذ بضّ حجره. ولا ينصل كمده. مذ رشح جلمده. حتى إذا أفاق من غشيته. أقبل على غاشيته. وقال قد أشرأبّ حسّي. ونبّأني حدسي أنهما صاحبا دهاء. لا خصما ادّعاء. فكيف السبيل إلى سبرهما. واستنباط سرّهما. فقال له نحريرُ زمرته. وشرارة جمرته. لن يتمّ استخراج خبئهما. إلّا بهما. فقفّاهما عونا يرجعهما إليه. فلمّا مثلا بين يديه. قال لهما اصدقاني سنّ بكركما. ولكما الأمان من تبعة مكركما. فأحجم الحدث واستقال. وأقدم الشيخ وقال * نظم *

* أنا السروجيّ وهذا ولدي * والشبل في المخبر مثل الأسد *

وما

* وما تعدّت يدٌه ولا يده ى * فى إبرةٍ يومًا ولا فى مِرْوَدِ *

* وإنّما الدهر المسىءُ المُعْتدِى * مال بنا حتى غدونا نجتدى *

* كلّ ندى الرّاحة عذب المَوْرِدِ * وكلّ جَعْد الكف مغلول اليد *

* بكلّ فنٍّ وبكل مَقْصِدِ * بالجِدّ إن أجدى والّا بالدّدِ *

* لنجلب الرّشح الى الحظّ الصّدى * وننفد العمر بعيشٍ أنكدِ *

* والموتُ من بعد لنا بالمرْصَدِ * إن لم يفاجِ اليومَ فاجى فى غدِ *

فقال له القاضى للهِ درُّك فما أعذب نفثات فيك ، وواهًا لك

لولا خِداعٌ فيك ، وإنّى لك لمن المُنذِرين ، وعليكَ من

المحذِرين ، فلا تماكِرْ بعدها الحاكمين ، واتّقِ سَطوةَ

المتحكّمين ، فما كلُّ مُسَيْطِرٍ يُقيلُ ، ولا كُلَّ اوانٍ يُسمَع القيلُ ،

فعاهدهُ الشيخ على اتّباع مشورته ، والارتداع عن ذى

فنوّرته • ونصل عن جبهته • والختر يلمع من جبهته • قال الحارث

بن همام فلم أرَ أعجب منها في تصاريف الأسفار • ولا قرأت

مثلها في تصانيف الأسفار •

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب • وهوى الاكتساب •

الى أن جبت ما بين فرغانة • وغانة • أخوض الغمار • لأجني

الثمار • وأقتحم الأخطار • لكي أدرك الأوطار • وكنت

لقفت من أفواه العلماء • وثقفت من وصايا الحكماء •

أنه يلزم الأديب الأريب • اذا دخل البلد الغريب • أن

يستميل قاضيه • ويستخلص مراضيه • ليشتد ظهره عند الخصام •

ويأمن في الغربة جور الحكام • فاتخذت هذا الأدب

إماماً • وجُعلتُه لمصالحي زِماماً • نباناً خلتُ مدينةً • ولا وَلَجتُ

غريبةً • إلا وامتزجتُ بحاكمها امتزاجَ الماء بالرّاح • وتقوّيتُ

بعنايته تقوّي الأجساد بالأرواح • فبينما أنا عندَ حاكمٍ

الإسكندرية • في عشيّةٍ غريّة • وقد أحضرَ مالَ الصدقات •

ليبعُضه على ذوي الفاقات • إذ دخل شيخٌ عِفرِيةٌ • تعتِلُه

امرأةٌ مُصبِيةٌ • فقالتْ أيّدَ اللهُ القاضيَ • وأدامَ به التراضيَ •

إنّي امرأةٌ من أكرمِ جُرثومةٍ • وأطهرِ أرومةٍ • وأشرفِ خُؤولةٍ

وعُمومةٍ • ميسَمِيَ الصَّونُ • وشِيمتيَ الهَونُ • وخُلقي نِعمَ العَونُ •

وبيني وبين جاراتي بَونٌ • وكان أبي إذا خطبني بُناةُ

المجد • وأربابُ الجَدِّ • سكّتهم وبكّتهم • وعافَ وُصلتَهم وصِلتَهم •

واحتجَّ بأنّه عاهدَ اللهَ تعالى بِحلفةٍ • أنْ لا يُصاهرَ غيرَ ذي

حِرفةٍ •

حِرْفة • فقيَّض القَدَرُ لنَصَبي ووَصَبي • أنْ حضر هذا الخُدَعةُ

نادِيَ أبي • فأقسمَ بين رَهْطه • إنّه وَفّق شَرْطه • وادّعى

أنّه طالما نظمَ دُرّةً الى دُرّة • فباعهما ببَدْرة • فاغترّ ابي بزُخْرُفة

مُحالِه • وزوّجنيه قبلَ اختبارِ حالِه • فلمّا استخرجني من

كِناسي • ورحّلني عن أُناسي • ونقلني الى كَسْره • وحصّلني

تحتَ أَسْره • وجدتُه قُعَدةً جُثَمةً • وألفيتُه ضُجَعةً نُوَمةً •

وكنتُ صحبتُه برِياشٍ وزِيٍّ • وأَثاثٍ ورِيٍّ • فما برح يبيعه

في سُوقِ الهَضْم • ويُتْلِفُ ثمنَه في الخَضْم والقَضْم • الى أنْ مزّق

مالي بأَسْره • وأنفق مالي في عُسْره • فلمّا أنساني طَعْمَ الرّاحة •

وغادرَ بيتي أنقى من الرّاحة • قلتُ له يا هذا إنّه لا مَخْبأَ

بعدَ بُؤسٍ • ولا عِطْرَ بعدَ عَرُوسٍ • فانهضْ للاكتسابِ بصِناعتك

واجْنِني

وأحوجني قهرة براعتك فزعم أنّ صناعته قد رُميت بالكساد *

لما ظهر في الارض من الفساد * ولي منه سلالة * كأنّه خلالة *

وكلانا ما ينال معه شبعة * ولا ترقأ له من الطوى دمعة *

وقد قدتُه اليك * وأحضرته لديك * لتعجم عود دعواه *

وتحكم بيننا بما اراك الله * فأقبل القاضي عليه وقال له

قد وعيت قصص عرسك * فبرهن عن نفسك * والّا كشفت

عن لبسك * وأمرت بحبسك * فأطرق إطراق الأفعوان *

ثم شمّر للحرب العوان * وقال * نظم *

* اسمع حديثي فانّه عجب * يضحك من شرحه وينتحب *

* أنا امرؤ ليس في خصائصه * عيب ولا في فخاره ريب *

* سروج داري التي وُلدتُ بها * والأصل غسّان حين أنتسب *

* وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب *

* وراس مالي بحر الكلام لذي * منه يصاغ القريض والخطب *

* أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأنتخب *

* وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب *

* وآخذ اللفظ فضة فإذا * ما صغته قيل إنه ذهب *

* وكنت من قبل أمتري نشباً * بالأدب المقتني وأحتلب *

* ويمتطي أخمصي لحرمته * مراتباً ليس فوقها رتب *

* وطالما زفت الصلات إلي * ربعي فلم أرض كل من يهب *

* فاليوم من يعلق الرجاء به * أكسد شيء في سوقه الأ[illegible] *

* لا عرض أبنائه يصان ولا * يرقب فيهم إل ولا سبب *

* كأنهم في عراصهم جيف * يبعد من نتنها ويجتنب *

فحار

* فحار لُبِّى لما مُنيتُ به * من الليالى وصرفها عجبُ *

* وضاق ذرعى لضيق ذات يدى * وساورتنى الهمومُ والكُربُ *

* وقادنى دهرى المُلِمُّ الى * سلوك ما يستشينه الحَسَبُ *

* فبعتُ حتى لم يبقَ لى لَبَدٌ * ولا بتاتٌ اليه أنقلبُ *

* وادَّنتُ حتى أثقلتُ سالفتى * بحملِ دَينٍ من دونه العَطَبُ *

* ثم طويتُ الحشا على سَغَبٍ * خمساً فلمّا أمضَّنى السَّغَبُ *

* لم أرَ الّا جهازَها عرضاً * أجولُ فى بيعه وأضطربُ *

* فجئتُ فيه والنَّفسُ كارهةٌ * والعينُ عبرى والقلبُ مكتئبُ *

* وما تجاوزتُ ان عبثتُ به * حدَّ التراضى فيحدثُ الغضبُ *

* فان يكنْ غاظها توهُّمها * أنَّ بذا نِيَّ بالنظم تكتسبُ *

* أو انّنى اذْ عزمتُ خِطبتَها * زخرفتُ قولى لينجحَ الأربُ *

* نوا الذى سارت الرفاق الى * كعبته تستحثها النجب *

* ما المكر بالمحصنات من خلقي * ولا شعاري التمويه والكذب *

* ولا يدي مذ نشأت تنبط بها * الا مواضي اليراع والكتب *

* بل ذكرتي تنظم القلائد لا * كفي وشعري المنظوم لا السخب *

* فهذه الحرفة المشار الى * ما كنت احوي بها واجتلب *

* فأذن لشرحي كما اذنت لها * ولا تراقب واحكم بما يجب *

قال فلما احكم ما شاده ٭ واكمل انشاده ٭ عطف

القاضي الى الغلام ٭ بعد ان شغف بالابيات ٭ وقال اما انه

قد ثبتت عند جميع الحكام ٭ وولاة الاحكام ٭ انقراض جيل الكرام ٭

وميل الايام الى اللئام ٭ واني لاخالك بعلمك صدوقا في الكلام ٭

بريا من الملام ٭ وها هو قد اعترف لك بالقرض ٭ وصرح عن المحض ٭

وبين

وبُيِّنَ بِمصداقِ النَّظْمِ • وتبيَّن أنّه معروقُ العَظْمِ • واعْناتُ

المُعْذِرِ مَلْأَمَةٌ • وحَبْسُ المُعْسِرِ مَأْثَمَةٌ • وكِتْمانُ الفَقْرِ زَهادَةٌ •

وانتظارُ الفَرَجِ بالصَّبْرِ عِبادَةٌ • فارْجِعي الى خِدْرِكِ • واعْذِرِي

أبا عُذْرِكِ • ونَهْنِهي من غَرْبِكِ • وسَلِّمِي لقَضاءِ رَبِّكِ • ثم إنّه

فَرَضَ لهما في الصَّدَقاتِ حِصّةً • وناوَلَهُما من دراهِمِها قَبْصَةً •

وقال لهما تَعَلَّلا بِهذِه العُلالَةِ • وتَنَدَّيا بِهذِهِ البُلالَةِ • واصْبِرا على

كَيْدِ الزَّمانِ وكَدِّهِ • فعسى اللّهُ أنْ يأتيَ بالفتحِ أو أمْرٍ من عندِه • فنَهَضا

وللشيخِ فَرْحةُ المُطْلَقِ من الإسارِ • وهِزَّةُ المُوسِرِ بعدَ الإعْسارِ • قال

الرّاوي وكنتُ عَرَفْتُ أنّه ابو زيدٍ ساعةَ بَزَغَتْ شَمْسُه • ونَزَغَتْ عِرْسُه •

وكِدْتُ أُفْصِحُ عن افْتِنانِه • وإثْمارِ أفْنانِه • ثم أشْفَقْتُ من عُثورِ

القاضي على بُهْتانِه • وتزويقِ لِسانِه • فلا يَرى عندَ عِرْفانِه •

أن يرشحه لاحسانه • فأحجمت عن القول إحجام المرتاب •
وطويت ذكره كطيّ السجل للكتاب • إلا أنني قلت بعد ما فصل •
ووصل إلى ما وصل • لو أن لنا من ينطلق في أثره • لأتانا بقصّ
خبره • وما ينشر من حبره • فأتبعه القاضي أحد أمنائه • وأمره
بالتجسس عن أنبائه • فما لبث أن رجع متدهدهاً • وتهفّر
مقهقهاً • فقال له القاضي مهيم • يا أبا مريم • فقال لقد عاينت عجباً •
وسمعت ما أنشأ لي طرباً • فقال له ماذا رأيت • وما الذي
وعيت • قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفّق بيديه • ويخالف
بين رجليه • ويغرّد بملء شدقيه • ويقول • نظم •

* كدت أصلى ببليّة * من وقاحٍ شمّريّة *

* وأزور السجن لولا * حاكم الاسكندريّة *

فضحك القاضي حتى هَوَتْ دَنِيَّتُه ونَدَتْ سَكِينَتُه قال فلما
فاء الى الوَقار وعَقّب الاستغراب بالاستغفار قال اللّهمّ بحُرْمة
عبادِكَ المقرَّبين حَرّمْ حبْسي على المتأذِّبين ثمّ قال
لذلك الامين عليّ به فانطلقَ مُجِدًّا في طَلَبِه ثمّ عادَ بعد
لأْيِه مُخْبِرًا بِمَأْيِه فقال القاضي اَمَا انه لو حضَر لكُفِيَ
الحَذَرَ ثم لأَوْلَيْتُه ما هو به اَوْلى ولأَرَيْتُه اَنّ الآخرةَ خيرٌ له
من الأُولى قال الحارث بن همام فلمّا رأيتُ صَغْوَ القاضي اليه
وفَوْتَ ثَمَرةِ التنبيه عليه غَشِيَتْني نَدامةُ الفَرَزْدَقِ حين
اَبانَ النَّوارَ والكُسَعيّ لمّا استبانَ النَّهارَ

المقامة العاشرة الرَّحْبيّة

حكى الحارث بن همام قال هتَف بي داعي الشَّوقِ الى رَحْبة

مالكِ بنِ طَوْق • فلبّيتُه مُمتَطِيًا شِمِلّةً • ومُنتضِيًا عَزمةً مُشمَعِلّة •

فلمّا ألقيتُ بها المَراسِي • وشدَدتُ أمْراسِي • وبَرَزتُ من

الحمَّامِ بعدَ سَبْتِ رَاسِي • رأيتُ غلامًا أُفرِغَ في قالَبِ الجَمال •

وأُلبِسَ من الحُسْنِ حُلّةَ الكَمال • وقد اعْتَلَقَ شيخٌ بُرْدَنَه • يَدّعِي

أنّه فَتَكَ بابنِه • والغُلامُ يُنكِرُ عِرْفتَه • ويُكبِرُ قِرْفتَه • والخِصامُ

بينهما مُستَطِيرُ الشَّرار • والزِّحامُ عليهما يَجمَعُ بين الأخْيار

والأشْرار • إلى أنْ تَراضَيا بعدَ اشتطاطِ اللَّدَد • بالتَّنافُرِ إلى

والي البَلَد • وكانَ ممّن يُزَنّ بالهَنات • ويُغلِّبُ حُبَّ البَنينَ

على البَنات • فأسرَعا إلى نَدْوتِه • كالسُّلَيْكِ في عَدْوَتِه • فلمّا حَضَراه •

جَدّدَ الشيخُ دَعْواه • واستَدعَى عَدْواه • فاستَنطَقَ الغُلامَ •

وقد فَتَنَه بمحاسِنِ غُرّتِه • وطَرّ عَقلَه بتصفيفِ طُرّتِه • فقال إنّها

إفيكةٌ

أفيكهُ أتاك • على غير سفاك • وعضليهة محتال • على من ليس بمغتال • فقال الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين • وإلا فاستوفِ منه اليمين • فقال الشيخ إنه جدّله خاسئًا • وأتاح دمه خاليًا • فأنّى لي شاهدٌ • ولم يكن ثم مُشاهدٌ • ولكن ولّني تلقينهُ اليمين • ليبين لك أيصدق أم يَمين • فقال له انت المالكُ لذلك • مع وُجدك المتهالك • على ابنك الهالك • فقال الشيخ للغلام قُل والذي زيّن الجباه بالطُّرر • والعيون بالحوَر • والحواجب بالبلَج • والمباسم بالفلَج • والجفون بالسَّقَم • والأنوف بالشمم • والخدود باللهب • والثغور بالشنب • والبنان بالترف • والخصور بالهيف • إنني ما قتلت ابنك سهوًا ولا عمدًا • ولا جعلت هامته لسيفي غمدًا •

والاّ فرمى الله جفني بالعَمَش • وخدّي بالنَّمَش • وطُرّتي بالجَلَح • وطَلعتي بالبَلَح • ووَرْدي بالبهار • ومِسكتي بالبُخار • وبَدْري بالمُحاق • وفضّتي بالاحتراق • وشُعاعي بالإظلام • ودواتي بالاقلام • فقال الغلامُ الاصطلاءُ بالبليّة • ولا الإيلاءُ بهذه الأليّة • والانقيادُ للقَوَد • ولا الحَلِفُ بما لم يَحلف به أحد • وأبى الشيخُ الاّ تجريعه اليمين التي اخترعها • وأمَرّ له جُرَعَها • ولم يزل التّلاحي بينهما يستعر • ومَحجّةُ التراضي تَعِرُ • والغلامُ في ضِمْن تأبّيه • يَخلُب الوالي بتلوّيه • ويُطمعه في ان يُلبّيه • الى أن ران هواهُ على قلبه • والَبّ بلبّه • وسوّل له الوَجْدُ الذي تيّمه • والطمعُ الذي توهّمه • أن يخلّص الغلامَ ويستخلصه • وأن يُنقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه •

فقال

فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالأقوى • وأقربُ للتقوى •

فقال إلامَ تُشيرُ لأقتفيه • ولا أُنِفَ فيه • قال أرى أنْ تقتصِرَ عن

القِيل والقال • وتَقتصِرَ على مائة مِثقال • لأتَحَمَّلَ منها بَعْضاً •

وأجتنيَ الباقيَ لك عَرْضاً • فقال الشيخُ ما مِنّي خِلافٌ • فلا يكُنْ

لوَعدِك إخلافٌ • فنَقَدَهُ الوالي عِشرين • ووَزَّع على وَزَعتِهِ

تكملةَ خَمسين • ورَقَّ ثوبُ الأَصيل • وانقطعَ لأجلِهِ صَوْبُ

التَّحصيل • فقال له خُذْ ما راجَ • ودَعِ اللَّجاجَ • وعَلَيَّ في

غَدٍ أن أتوصَّلَ • إلى أن ينِضَّ لك الباقي ويَتحصَّلَ • فقال

الشيخُ أفعلُ ذاك على أن ألازِمَهُ لَيلتي • ويَرعاهُ إنسانُ

مُقلتي • حتّى إذا أعفى بعدَ إسفارِ الصُّبحِ • بما بَقِيَ من مالِ

الصُّلحِ • تخلَّصتْ قائبةٌ من قُوب • وبَرِئَ براءةَ الذئبِ من دَمِ

ابنِ يعقوب . فقال له الوالي ما أراكَ شُمْتَ شَطَطاً . ولا رُمْتَ

فَرَطاً . قال الحارثُ بنُ همام فلمّا رأيتُ حُجَجَ الشيخِ كالحُجَجِ

السُّرَيجيّة . عَلِمتُ أنّه عَلَمُ السَّروجيّة . فلبثتُ إلى أنْ زَهَرتْ

نُجومُ الظَّلام . وانتثَرتْ عُقودُ الزِّحام . ثمّ تصدّتُ لفِناءِ الوالي .

فإذا الشيخُ المُغتفي كالوليّ . فنشدتُه اللهَ أهو أبو زيد . فقال

إيْ ومُحِلِّ الصَّيْد . فقلتُ من هذا الغلامُ . الّذي هَفَتْ له

الأحلامُ . فقال هو في النَّسَب فَرْخي . وفي المَكْسَب فَخّي .

قلتُ فهلّا اكْتَفَيتَ بمحاسنِ فِطْرَته . وكَفَيْتَ الواليَ الافتتانَ

بطُرّته . فقال لو لم تبرُزْ جَبْهَتُه السِّينَ . لما تَقَنَّصتُ الخَمْسين .

ثمّ قال بِتِ الليلةَ عندي لنُطْفِئَ نارَ الجَوى . ونُديلَ الهوى

من النَّوى . فقلتُ أجمعتُ على أنْ أنْسَلَّ بسُحْرة . وأُصَلّي

قلب

قلبَ الوالي نارَ حسرة. قال فقضيتُ الليلةَ معه في سَمَر. آنق من حديقةِ زَهَر. وخميلةِ شَجَر. حتى اذا الألاء الأفق اذن بالسرحان. وآن انبلاجُ الفجر وحان. ركب متنَ الطريق. واذاق الوالي عذابَ الحريق. وسلّم اليَّ ساعةَ الفراق. رقعةً محكمةَ الإلصاق. وقال ادفعها الى الوالي اذا سُلِب القرارُ. وتحقق منا الفرارُ. ففضضتُها فعلَ المتلمّس. من مثل صحيفةِ المتلمّس. فاذا فيها مكتوبٌ * نظم *

* قُلْ لِوالٍ غادرتُه بعدَ بيني * نادماً سادماً يَعضُّ اليدينِ *

* سَلَبَ الشيخُ مالَه وفتاةٌ * لبَّه فاصطلى لظى حسرتينِ *

* جادَ بالعينِ حينَ أعمى هواه * عينَه فانثنى بلا عينينِ *

خفّضِ الحزنَ ما تُعنّى فما يُجْدي طلابُ الآثارِ من بعدِ عينِ *

* ولَئِنْ جَلَّ ما عَراكَ كما جَلَّ لدَى المسلمين رُزْءُ الحُسَين *

* فقد اغتنصتَ منه نَهْماً وخَزْماً * واللبيبُ الأريبُ يَبْغي ذَبَيْن *

* فاغضِ من بعدها المطامعَ واعلَمْ * أنَّ صيدَ الظِّباءِ ليس بهَيْنِ *

* لا ولا كُلُّ طائرٍ يلجُ الفخَّ ولوْ كانَ مُحدقاً باللُّجَيْنِ *

* ولكَمْ مَن سَعى ليَصطادَ فاصطِيدَ ولم يَلقَ غيرَ خُفَّي حُنَيْنِ *

* فتَبَصَّرْ ولا تَشِمْ كلَّ بَرْقٍ * رُبَّ برقٍ فيه صواعِقُ حَيْنِ *

* واغضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ من غَرامٍ * تكتسي فيه ثوبَ ذُلٍّ وشَيْنِ *

* فبلاءُ الفتى اتِّباعُ هَوى النَّفْسِ وبَذْرُ الهَوى طُموحُ العَيْنِ *

قالَ الرّاوي فمزَّقتُ رُقعتَه شَذَرَ مَذَرَ ولم أُبالِ أعذَلَ أمْ عَذَرَ •

المقامةُ الحادية عشر الساويّةُ

حدَّثَ الحارثُ بن همّام قال آنستُ من قلبي القَساوةَ •

حين خَلَلتُ ساوَةَ • فأخذتُ بالخبر المأثور • في مُداواتها

بزيارة القبور • فلمّا صِرْتُ الى مَحَلّةِ الأمْوات • وكِفاتِ

الرُّفات • رأيتُ جمعًا على قبرٍ يُحْفَر • ومَجْنوزٍ يُقْبَر • فانحَزْتُ

اليهم مُفكِّرًا في المآل • ومُتذكِّرًا مَنْ دَرَج مِنَ الآل • فلمّا

ألْحَدُوا المَيت • وفات قولُ لَيْت • أشرفَ شيخٌ من رُباوَةٍ •

مُتخصِّرٌ بهِراوَةٍ • وقد لفَّع وجهه بِرِدائه • ونكَّر شخْصَه لدَهائه •

فقال لِمِثْلِ هٰذا فليَعْمَلِ العامِلون • فادَّكِرُوا أيّها الغافِلون •

وشَمِّروا أيّها المُقَصِّرون • وأحْسِنوا النَّظرَ أيّها المُتبصِّرون • مالَكُم

لا يَحْزُنُكم دَفْنُ الأتْراب • ولا يَهُولُكم هَيْلُ التُّراب •

ولا تَعْبأُونَ بنَوازِلِ الأحْداث • ولا تَستعِدُّونَ لنُزولِ الأجْداث •

ولا تَسْتعبِرُونَ لعَيْنٍ تَدْمَع • ولا تَعْتبِرُونَ بنَعْيٍ يُسْمَع •

وَلا تَرْتاعُونَ لِإِلْفٍ يُفْقَدُ • وَلا تَلْتاعُونَ لِمَناحَةٍ تُعْقَدُ • يُشَيِّعُ أَحَدُكُم
نَعْشَ المَيْتِ • وَقَلْبُهُ تِلْقاءَ البَيْتِ • وَيَشْهَدُ مُوارَاةَ نَسِيبِهِ •
وَفِكْرُهُ فِي اسْتِخْلاصِ نَصِيبِهِ • وَيُخَلِّي بَيْنَ وُدِّهِ وَوَدْهِ • وَيَدُودُ •
ثُمَّ يَخْلُو بِمِزْمارِهِ وَعُودِهِ • طالَما أَسِيتُم عَلَى انْثِلامِ الحَبَّةِ •
وَتَناسَيْتُم اخْتِرامَ الأَحِبَّةِ • وَاسْتَكَنْتُم لِاعْتِراضِ العُسْرَةِ •
واسْتَهَنْتُم بانْقِراضِ الأُسْرَةِ • وَضَحِكْتُم عِنْدَ الدَّفْنِ • وَلا ضَحِكَكُم
ساعَةَ الذَّفْنِ • وَتَبَخْتَرْتُم خَلْفَ الجَنائِزِ • وَلا تَبَخْتُرَكُم يَوْمَ قَبْضِ
الجَوائِزِ • وَأَعْرَضْتُم عَن تَعْدِيدِ النَّوادِبِ • إِلَى إِعْدادِ
المَآدِبِ • وَعَن تَحَرُّقِ الثَّواكِلِ • إِلَى التَّأَنُّقِ فِي المَآكِلِ •
لا تُبالُونَ بِمَن هُوَ بالٍ • وَلا تُخْطِرُونَ ذِكْرَ المَوْتِ بِبالٍ • حَتَّى
كَأَنَّكُم بَعْدُ عَلِقْتُم مِنَ الحِمامِ • بِذِمامٍ • أَو حَصَلْتُم مِنَ الزَّمانِ •

عَلَى

على أمان، او وثقتم بسلامة الذات، او تحققتم مسالمة هادم اللذات، كلا ساء ما تتوهمون، ثم كلا سوف تعلمون، ثم انشد

* نظم *

* أيا من يدعي الفهم، الى كم يا أخا الوهم *
* تعبي الذنب والذم، وتخطي الخطأ الجم *
* أما بان لك العيب، أما انذرك الشيب *
* وما في نصحه ريب، ولا سمعك قد صم *
* أما نادى بك الموت، أما أسمعك الصوت *
* أما تخشى من الفوت، فتحتاط وتهتم *
* فكم تسدر في السهو، وتختال من الزهو *
* وتنصب الى اللهو، كأن الموت ما عم *

* وحتّامَ تجافيك * وإبطاءُ تلافيك *

* طِباعاً جَمعتْ فيك * عُيوباً شملُها انضمّ *

* إذا أسخطتَ مولاك * فما تقلقُ من ذاك *

* وإنْ أخفقَ مسعاك * تلظّيتَ من الهمّ *

* وإنْ لاحَ لك النّقشُ * من الأصفرِ تهتشّ *

* وإنْ مرّ بك النّعشُ * تغاممتَ ولا غمّ *

* تُعاصي النّاصحَ البَرّ * وتعتاصُ وتزورّ *

* وتنقادُ لمن غرّ * ومَن مانَ ومن نمّ *

* وتسعى في هوى النّفسِ * وتحتالُ على الفلسِ *

* وتنسى ظُلمةَ الرّمسِ * ولا تذكرُ ما ثَمّ *

* ولولا خطَلُ الحظّ * لما طاحَ بك اللّحظُ *

* ولاكنتَ إذا الوعظُ • جَلا الأحزانَ تُغتمّ *

* ستُذري الدمَ لا الدمعَ • إذا عايَنتَ لا جُمَعَ *

* يقي في عرصةِ الجمعِ • ولا خالٌ ولا عمّ *

* كأني بك تنحطُّ • الى اللحد وتنغطُّ *

* وقد أسلمك الرهطُ • الى أضيقَ من سمّ *

* هناكَ الجسمُ ممدودٌ • ليستأكله الدودُ *

* الى أن ينخرَ العودُ • ويُمسي العظمُ قد رَمّ *

* ومن بعدُ فلا بُدّ • من العرضِ اذا اعتدّ *

* صراطٌ جسرُه مُدّ • على النارِ لمن أمّ

* فكم من مرشدٍ ضلّ • ومن ذي عزّةٍ ذلّ *

* وكم من عالمٍ زلّ • وقال الخطبُ قد طمّ

* فبادر أيها الغمر . لما يحلو به المرّ *

* فقد كاد يهي العمر . وما أقلعت عن ذمّ *

* ولا تركن إلى الدهر . وإن لان وإن سرّ *

* فتلفى كمن اغترّ . بأفعى تنفث السمّ *

* وخفّض من تراقيك . فإنّ الموت لاقيك *

* وسار في تراقيك . وما ينكل إن همّ *

* وجانب صعر الخدّ . إذا ساعدك الجدّ *

* وزمّ اللفظ إن ندّ . فما أسعد من زمّ *

* ونفّس عن أخي البثّ . وصدّقه إذا نثّ *

* ورمّ العمل الرثّ . فقد أفلح من رمّ *

* ورش من ريشه انحصّ . بما عمّ وما خصّ *

* ولا تأسَ على النقص • ولا تحرصْ على اللمّ *

* وعادِ الخُلُقَ الرَّذل • وعوِّد كفّك البذل *

* ولا تستمعِ العذل • ونزِّهها عن الضمّ *

* وزوِّد نفسك الخير • ودَعْ ما يُعقِبُ الضير *

* وهيِّئ مركبَ السير • وخَفْ من لجّة اليمّ *

* بذا أوصيتُ يا صاحِ • وقد بُحتُ كمن باحَ *

* فطوبى لفتىً راحَ • بآداب يأتمّ *

ثم حسر رُدنه عن ساعدٍ شديد الأسر • قد شدّ عليه جبائرَ

المكر لا الكسر • متعرّضاً للاستماحة • في معرض الوقاحة •

فاختلب به أولئك الملأ • حتى أترع كُمّه وملأ • ثم انحدرَ

من الرّبوة • جذِلاً بالحَبْوة • قال الرّاوي فجاذبته من

ورائه • حاشية بُردائه • فالتفتَ الىَّ مستملها • ووَاجَهَني مُتَسَلِّمًا • فاذا هو شيخُنا ابو زيد بعَيْنِه • ومَيْنِه • فقلت له • شعر

* الى كَمْ يا ابا زيد • أفانينُك في الكَيْد *

* لتنحاشَ لك الصَّيْدُ • ولا تَعْبَأ بمَنْ ذَمّ *

فاجابَ من غيْر استحياء • ولا ارتياء • وقال * شعر *

* تبَصَّرْ ودَعِ اللَّوْمَ • وقُلْ لي هَلْ ترى اليَوْمَ *

* فتَى لا يَقْمُر القومَ • متى ما دَسْتُه تَمّ *

فقلتُ له بُعْدًا لك يا شيخَ النّار • وزامِلةَ العار • فما مَثَلُك في طَلاوة علانيَتك • وخِبْثَةِ نيّتك • الاَّ مَثَلُ رَوْثٍ مُفضَّض • او كَنيفٍ مُبيَّض • ثم تفرَّقْنا فانطلقتُ ذاتَ اليمين • وانطلقَ ذاتَ الشمال • وناوحتُ مَهَبَّ الجَنوب • وناوحَ مَهَبَّ الشمال •

المقامة الثانية عشرة الدمشقية

حكى الحارث بن همام قال شخصت عن العراق الى الغوطة • وأنا ذو جُرْدٍ مربوطة • وجِدَةٍ مغبوطة • يُلهيني خُلُوُّ الذَّرع • ويزدهيني حُفولُ الضَّرع • فلمّا بلغتها بعد شقّ النفس • وإنضاء العَنْس • أَلفيتُها كما تَصفها الألسنُ • وفيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذّ الأعين • فشكرتُ يد النوى • وجَريتُ طَلَقاً مع الهوى • وطفقتُ أفضُّ بها ختومَ الشهوات • وأجتني قطوفَ اللذّات • الى أن شرع سَفْرٌ في الإعراق • وقد استفقتُ من الإغراق • فعادني عيدٌ من تذكار الوطن • والحنين الى العَطَن • فقوّضتُ خيامَ الغَيْبة • وأسرجتُ جوادَ الأَوْبة • ولمّا تأهّبتِ الرِّفاقُ • واستتبَّ الاتّفاقُ • أَلحنا من المَسير • دون استصحاب

الخَبَرِ • فَرُدْنَاهُ من كُلِّ قَبِيلةٍ • وأَعْمَلْنا في تحصيله أَلْفَ
حِيْلةٍ • فأَعْوَزَ وِجْدانُه في الأَحياء • حتّى خِلْنا أَنّه ليس من
الأَحياء • فحارَتْ لِعَوَزِهِ عُزُومُ السَّيّارة • وانتَدَوْا ببابِ
جَيْرُونَ للاستشارة • فما زالوا بين عَقْدٍ وحَلٍّ • وشَزْرٍ وسَحْلٍ •
الى أَنْ نَفِدَ النّاجي • وقَنِطَ الرّاجي • وكان حِذاءَهم شَخْصٌ
مِيسَمُه مِيسَمُ الشُّبّان • ولَبُوسُه لَبُوسُ الرُّهْبان • وبيَدِه سُبْحَةُ
النِّسْوان • وفي عَيْنَيْه تَرْجَمَةُ النَّشْوان • وقد قَيَّد لَحْظَه بالجَمْع •
وأَرْهَفَ أُذُنَه لاستراقِ السَّمْع • فلمّا آنَ انكفاؤُهم • وقد بَرِحَ
له خَفاؤُهم • قال لهم يا قومِ لِيُفْرِخْ كَرْبُكم • ولْيَأْمَنْ سِرْبُكم •
فسأُخْبِرُكم بما يَسْرُو رَوْعَكم • ويَبْدُو طَوْعَكم • قال الراوي
فاستَطْلَعْنا مَنْطِلَعَ الخُفارة • واستَنَيْناه الجِعالةَ عن السِّفارة •

فنزعم انها كلمات لقنها فى المنام • ليحترس بها من كيد الانام •

فجعل بعضنا يومض الى بعض • ويقلب طرفيه بين لحظ وغض •

وتبين له انا استضعفنا الخبر • واستشعرنا الخور • فقال

ما لكم اتخذتم جدى عبثا • وجعلتم تبرى خبثا • ولطالما

والله جبت مخاوف الاقطار • وولجت مقاحم الاخطار •

فغنيت بها عن مصاحبة خفير • واستصحاب جفير • ثم انى سانفى

ما رابكم • واستسل الحذر الذى نابكم • بان اوافقكم

فى البداوة • واترافقكم فى السماوة • فان صدقكم وعدى •

فاجدوا اسعدى • واسعدوا اجدى • وان كذبكم فمى •

فمزقوا ادمى • واريقوا دمى • قال الحارث بن همام

فالهمنا تصديق رؤيا • وتحقيق ما روا • فنزعنا عن مجادلته •

واستَنهَمْنا على معادلته ، ونَصَّنا بقوله عُرَى الرَّبائث ، وألْغَيْنا

اتّقاءَ العابث والعائث ، ولمَّا عكَفت الرحالُ ، وأزِفَ التَّرْحالُ ،

استنزَلْنا كلماتِه الرَّاقية ، لنَجْعَلَها الواقيةَ الباقيةَ ، فقال ليَقْرأْ

كلٌّ منكم أُمَّ القرآن ، كُلَّما أظَلَّ المَلَوان ، ثم ليقُلْ بلسانٍ

خاضعٍ ، وصَوتٍ خاشعٍ ، اللهمّ يا مُحْيِيَ الرُّفات ، ويادافعَ

الآفات ، ويا واقِيَ المَخافات ، ويا كريمَ المُكافاة ،

ويا مَوْئِلَ العُفاة ، ويا وَلِيَّ العَفْوِ والمُعافاة ، صَلِّ على مُحمّدٍ

خاتِمِ أنبيائك ، ومُبَلِّغِ أنبائك ، وعلى مَصابيحِ أُسْرتِه ،

ومَفاتيحِ نُصْرتِه ، وأعِذْني اللهمّ من نَزَغاتِ الشَّياطين ، ونَزَواتِ

السَّلاطين ، وإعْناتِ الباغيْن ، ومُعاناةِ الطَّاغين ، ومُعاداةِ

العادين ، وعُدْوانِ المُعادين ، وغَلَبِ الغالِبين ، وسَلَبِ

السالبين

السّالبين • وحِيَلِ المُختالين • وغِيَلِ المُغتالين • واُجِرني

اللهمّ من جَوْرِ المُجاوِرين • ومُجاوَرةِ الجائرين • وكُفَّ

عنّي أكُفَّ الصّائبين • واَخرِجني من ظُلُمات الظّالمين • و

اَدْخِلني برحمتك في عبادك الصّالحين • اللهمّ احفظني في تُربتي •

وغُربتي • وغَيبتي • واَوبتي • ونُجعتي • ورَجعتي • وتصرُّفي

ومُنصرَفي • وتقلُّبي • ومُنقلَبي • واحفظني في نَفسي • و

نَفائسي • وعِرضي • وعَرَضي • وعَدَدي • وعُددي • وسكَني •

ومَسْكَني • وحَوْلي • وحالي • ومالي ومآلي • ولا تُلْحِق

بي تغييرًا • ولا تُسَلِّطْ علَيّ مُغيّرًا • واجعَلْ لي من لَدُنْك سُلْطانًا

نصيرًا • اللهم احرُسني بعَيْنك وعَوْنك • واخصُصني بأمْنك

ومَنّك هو تَوَلّني باختيارك وخَيرك • ولا تَكِلني الى كِلاءة

غيرِك • وهَبْ لِي عافِيةً غيرَ عافِيةٍ • وارزُقني رَفاهِيةً غيرَ واهِيةٍ • واكفِني مَخاشِيَ اللأواء • واكنُفني بغواشي الآلاء • ولا تُظفِرْ بي أظفارَ الأعداء • إنّك سميعُ الدُّعاء • ثمّ أطرَقَ لا يُدِيرُ لحظاً • ولا يُحيرُ لفظاً • حتّى قُلنا قد أبلَسَته خَشيةٌ • أو أخرَسَته غَشيةٌ • ثمّ أتلَعَ رأسَه • وصَعّدَ أنفاسَه • وقال أُقسِمُ بالسّماءِ ذاتِ الأبراج • والأرضِ ذاتِ الفِجاج • والماءِ الثّجّاج • والسِّراجِ الوَهّاج • والبَحرِ العَجّاج • والهواءِ والعَجاج • إنّها لمِنْ أيمَنِ العُوَذ • وأغنَى عنكم مِنْ لابِسِي الخُوَذ • مَنْ دَرَسَها عِندَ ابتِسامِ الفَلَق • لم يُشفِق من خَطْبٍ إلى الشَّفَق • ومن ناجى بها طَليعةَ الغَسَق • أمِنَ لَيلَتَه من السَّرَق • قال الراوي فتلَقّنّاها حتّى أتقَنّاها • وتدارسناها • لكَي لا ننساها • ثم سرنا

ثم سِرْنا نُزْجِي المَحْمُولات بالدَّعَوات لا بالحُداة • ونَحْمِي

الحُمُولاتِ بالكلمات لا بالكُماة • وصاحِبُنا يَتعهَّدُنا بالعَشِيّ

والغَداةِ • ولا يَستنجِز مِنّا العِداتِ • حتّى إذا أعيانا إطْلالُ

عانةَ • قال لنا الإعانةَ الإعانةَ • فأحضرناهُ المعلومَ • والمكتومَ •

وأَرَيْناهُ المعكومَ • والمختومَ • وقلنا له اقضِ ما أنت قاضٍ •

فما تجِد فينا غيرَ راضٍ • فما استخفَّه سِوى الخِفِّ والزَّيْنِ •

ولا حَلِي بعَيْنِه غيرُ العَيْن • فاحتَمَلَ منهما وِقْرَه • وفارَقَنا بما يَسُدُّ به فَقْرَه •

ثمّ خالَسَنا مُخالسةَ الطَّرّارِ • وانْمَلَتَ مِنّا انمِلاتَ الغِرّارِ •

فأوْحَشَنا فِراقُه • وأَدْهَشَنا امّراقُه • ولم نَزَل نَنْشُدُه بكلّ نادٍ •

ونَستخبِر عنه كُلَّ مُغوٍ وهادٍ • إلى أنْ قِيلَ إنّه مُذْ دَخَل

عانةَ • ما زايَلَ الحانةَ • فأغراني خُبْثُ هذا القول بسَبْكِه •

ولا انسلاك فيما نسقت من سلكه • فانثنيت الى الدسكرة • في هيئة منكرة • فاذا الشيخ في حلة ممصرة • بين دنان ومعصرة • وحوله سقاة تبهر • وشموع تزهر • وآس وعبهر • ومزمار وبربط ومزهر • وهو تارة يستبزل الدنان • وطورا يستنطق العيدان • ودفعة يستنشق الريحان • واخرى يغازل الغزلان • فلما عثرت على لبسه • وتفاوت يومه من امسه • قلت له اولى لك يا ملعون • أأنسيت يوم جيرون • فضحك مستغربا • ثم انشد مطربا • * نظم *

* لزمت السفار • وجبت القفار • وعفت النفار • لاجني الفرح *
* وخضت السيول • ورضت الخيول • لجر ذيول الصبا والمرح *
* وميطت الوقار • وبعت العقار • لحسو العقار ورشف القدح *

ولولا

* ولولا اصطباحي الى شرب راح * لما كان باح بذنبي بالملح *

* ولا كان ساق مذهابني الرناق * لارض العراق بحولي الشبح *

* فلا تغضبن و لا تصخبن * و لا تعتبن بعذري وفح *

* و لا تعجبن بشيخ ابن * بهذي اغن و ذي طفح *

* فان المدام تقوى العظام * وتشفي السقام وتنفي الترح *

* و اصفى السرور اذا ما الوتور اماط ستورا لحيا و اطرح *

* و احلى الغرام اذا المستهام ازال اكتتام الهوى وافتضح *

* فبح بهواك وبرد حشاك * فرند اساك به قد قدح *

* وداو الكلوم وسل الهموم * ببنت الكروم التي تقترح *

* وخص الغبوق بساق يشوق * بلاذ المشوق اذا ما طمح *

* و شاد يشيد بصوت يميد * جبال الحديد له ان صدح *

* وعاصِ النَّصيحَ الذي لا يُبيح * وصالِ المَليحَ اذا ما سَمَح *

* وجُلْ فى المَجالِ ولو بالمُحالِ * ودَعْ ما يُقالُ وخُذْ ما صَلَح *

* وفارِقْ أباكَ اذا ما أباكَ * ومُدَّ الشِّباكَ وصِدْ مَن سَنَح *

* وصافِ الخليلَ ونافِ البخيلَ * وأوْلِ الجميلَ ووالِ المِنَح *

* ولُذْ بالمَتابِ أمامَ الذَّهابِ * فمَن دَقَّ بابَ كريمٍ فتَح *

فقلتُ له بَخٍ بَخٍ لرِوايتِك * وأُفٍّ وتُفٍّ لغَوايتِك * فباللهِ
من أيِّ الأعياصِ عِيصُك * فقد أعضَلَني عَويصُك * فقال

ما أُحِبُّ أنْ أُفصِحَ عنّي * ولكنّي سأكْنِي * نظم *

* أنا أُطْروفةُ الزَّمانِ وأُعجوبةُ الأُمَم *

* وأنا الحُوَّلُ الذي احتالَ فى العُرْبِ والعَجَم *

* غيرَ أنّي ابنُ حاجةٍ هاضَهُ الدَّهرُ واهتَضَم *

* وأبو صِبيةٍ بَدَوْا مِثلَ لَحمٍ على وَضَم *

* وأخو العَيلةِ المُعيلُ * إذا احتالَ لم يُلَمْ *

قال الرّاوي فعرَفْتُ حينئذٍ أنّه ابو زيدٍ ذو الرّيْبِ والعَيْب • ومُسوِّدُ وجْهِ الشّيْب • وساءَني عِظَمُ تَمرّدِه • وقُبْحُ تورّدِه • فقلتُ له بلسانِ الأنَفة • وإدْلالِ المَعرِفة • ألَمْ يأنِ لكَ يا شيخَنا • أنْ تُقلِعَ عن الخَنا • فتَضَجّرَ وزَمْجَرَ • وتنكّرَ • وفكّرَ • ثم قال إنّها لَيْلةُ مِراحٍ • لا تَلاحٍ • ونُهزةُ شُرْبِ راحٍ • لا كِفاحٍ • فعَدِّ عمّا بَدا • الى أنْ نَتَلاقى غَدا • ففارَقْتُه فَرَقًا من عَرْبَدتِه • لا تعلُّقًا بعِدَتِه • وبِتُّ لَيْلتي لابِسًا حِدادَ النَّدَمِ • على نَقلي خُطا القَدَمِ • الى ابْنةِ الكَرْمِ • لا الكَرَمِ • وعاهَدْتُ اللهَ سُبحانَه أنْ لا أحْضُرَ بعدَها حانةَ نَبّاذ • ولو أُعطيتُ مُلكَ بَغداذ •

ولا أشهد معصرة الشراب • ولوردت على عصر الشباب • ثم إنّا رحلنا العيس • وقمت التغليس • وخلّينا بين الشيخين ابي زيد وابليس •

المقامة الثالثة عشرا لبغدادية

روى الحارث بن همّام قال ندوت بضواحي الزوراء • مع مشيخة من الشعراء • لا يعلق لهم مبار بغبار • ولا يجرى معهم مُمارٍ في مضمار • فأفضنا في حديث يفضح الأزهار • الى أن نصفنا النهار • فلمّا غاض درّ الأفكار • وصبت النفوس الى الأوكار • لمحنا عجوزا تقبل من البعد • وتحضر إحضار الجرد • وقد استتلت صبية أنحف من المغازل • وأضعف من الجوازل • فما كذبت اذ رأتنا • ان عرتنا • حتى اذا ما حضرتنا • قالت حيّا الله المعارف • وإن لم يكونوا

معارف

مَعَارِفَ • اِعْلَمُوا يَا مَآلَ الآمِلِ • وَثِمَالَ الأَرَامِلِ • أَنِّي مِنْ سَرَوَاتِ القَبَائِلِ • وَسَرِيَّاتِ العَقَائِلِ • لَمْ يَزَلْ أَهْلِي وَبَعْلِي يُحِلُّونَ الصَّدْرَ • وَيُسَيِّرُونَ القَلْبَ • وَيُمْطُونَ الظَّهْرَ • وَيُوَلُّونَ اليَدَ • فَلَمَّا أَرْدَى الدَّهْرُ الأَعْضَادَ • وَفَجَعَ بِالجَوَارِحِ الأَكْبَادَ • وَانْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ • نَبَا النَّاظِرُ • وَجَفَا الحَاجِبُ • وَذَهَبَتِ العَيْنُ • وَفُقِدَتِ الرَّاحَةُ • وَصَلَدَ الزَّنْدُ • وَوَهَتِ اليَمِينُ • وَبَانَتِ المَرَافِقُ • وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثَنِيَّةٌ وَلَا نَابٌ • فَمُذِ اغْبَرَّ العَيْشُ الأَخْضَرُ • وَازْوَرَّ المَحْبُوبُ الأَصْفَرُ • اِسْوَدَّ يَوْمِيَ الأَبْيَضُ • وَابْيَضَّ فَوْدِيَ الأَسْوَدُ • حَتَّى رَثَى لِيَ العَدُوُّ الأَزْرَقُ • فَحَبَّذَا المَوْتُ الأَحْمَرُ • وَتِلْوِي مَنْ تَرَوْنَ عَيْنُهُ فُرَارُهُ • وَتَرْجُمَانُهُ اصْفِرَارُهُ • قُصْوَى بُغْيَةِ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةٌ • وَقُصَارَى مُنْيَتِهِ بُرْدَةٌ •

وكنتُ آليتُ أنْ لا أبذُلَ الحُرَّ إلا للحُرِّ ولو أنّني مُتُّ من الضُّرِّ وقد

ناجتْني القَرُونةُ * بأنْ تُوجَدَ عندكم المَعُونةُ * وآذنَتْني فِراسةُ

الحَوْباء * بأنّكم ينابيعُ الحِباء * فنضَّر اللهُ امرءً أبرَّ قَسَمِي *

وصدَّق توسُّمِي * ونظر اليَّ بعَيْنٍ يُقْذِيها الجُمودُ * ويُقذِيها

الجُود * قال الحارث بن همام فهِمنا لبراعةِ عبارتِها * ومُلَحِ

استعارتِها * وقُلْنا لها قد فتَن كلامُكِ * فكيف إلْحامُكِ *

فقالت يُفجِّر الصَّخْرَ ولا فَخْرَ * فقلنا إن جعلتِنا من رُواتِكِ

لم نَبْخَلْ بمُواساتِكِ * فقالت لأُرِيَنَّكم اوَّلاً شِعاري ثمَّ لأُروِيَنَّكم

أشْعاري * فأبرزَتْ رُدْنَ دِرعٍ دَرِيسٍ * وبرَزَتْ بَرْزةَ عَجُوزٍ

دَرْدَبِيسٍ * وانشأَتْ تقولُ * نظم *

* أشكو الى اللهِ اشتكاءَ المريض * جَوْرَ الزمانِ المُتعدّي البغيض *

انتهت الى سوقٍ مغتصّة بالأنام • مختصّة بالزّحام • فانغمست في الغمار • وامّلست من الصبية الأغمار • ثمّ عاجت بحلو بالٍ • الى مسجدٍ خالٍ • فأماطت الجلباب • ونضت النقاب • وانا ألمحها من خصاص الباب • وارقب ما ستبدى من العجاب • فلمّا انسرت أهبة الخفر • رأيت محيّا ابى زيد قد سفر • فهممت بان أهجم عليه • لأعنّفه على ما أجرى اليه • فاسلنقى اسلنقاء المتمرّدين • ثم رفع عقيرة المغرّدين • واندفع ينشد * نظم *

* يا ليت شعرى أدهرى * أحاط علماً بقدرى *

* وهل درى كنه غورى * فى الخدع ام ليس يدرى *

* وكم قد قهرت بنيه * بحيلتى وبمكرى *

* وكم برزت بعرفٍ * عليهم وبنكرٍ *

* أَصْطـــادُ قوماً بوَعْظٍ * وآخَرِينَ بشِعْـــرِ *

* وأَسْـــتَفِزُّ بخَلٍّ عَقْـــلاً * وعَقْـــلاً بخَمْـــرِ *

* وتارةً انا صَخْـــرٌ * وتارةً أُخْتُ صَخْـــرِ *

* ولو سَـــلَكْتُ سبيلاً * مألوفةً طُولَ عُمري *

* لَخابَ قِدْحي وقَدْحي * ودامَ عُسْري وخُسْري *

* فقُلْ لِمَنْ لامَ هذا * عُذْري فدُونَكَ عُذْري *

قال الحارثُ بن همّام فلمّا ظهرتُ على جَلِيّةِ أَمْرِه • وبديعِ امْرِه • وما زَخْرَفَ في شِعْرِه من عُذْرِه • عَلِمْتُ انّ شَيْطانَه المَرِيدَ • لا يَسْمَعُ التَّفْنِيدَ • ولا يَفْعَلُ الّا ما يُرِيدُ • فثَنَّيتُ الى أَصْحابي عِناني • وأَبْثَثْتُهم ما أَثْبَتَه عِياني • فوَجَمُوا لِضَيْعَةِ الجوائزِ • وتَعاهَدُوا على مَحْرَمةِ العَجائزِ

* يا قوم انّي من أناسٍ غذوا * دهراً وجفنُ الدّهر عنهم غضيض *

* فخارهم ليس له دافعٌ * وصيتهم بين الورى مستفيض *

* كانوا اذا ما نُجعةٌ اعوزت * في السّنة الشّهباء روضاً أريض *

* تشبّ للسّارين نيرانهم * ويطعمون الضّيف لحماً غريض *

* ما بات جارٌ لهم ساغباً * ولا لروعٍ قال حال الجريض *

* فغيّضت منهم صروفُ الرّدى * بحار جودٍ لم أخلها تغيض *

* واودعت منهم بطونَ الثّرى * أسْداً لتحامي وأساةَ المريض *

* فمحولي بعد المطايا المطا * وموطني بعد اليفاع الحضيض *

* وافرخي ما تأتلي تشتكي * بؤساً له في كلّ يومٍ وميض *

* اذا دعا القانتُ في ليلةٍ * مولاه نادوه بدمعٍ يفيض *

* يا رازق النّعّاب في عشّه * ويا جابرَ العظم الكسيرِ المهيض *

* أَتِحْ لنا اللّهمّ مَنْ عِرْضُهُ * مِن دَنَسِ الذّمِّ نَقِيٌّ رَحِيض *

* يُطْفِئُ نارَ الجُوعِ عنّا ولو * بِمَذْقةٍ من حازِرٍ او مَخِيض *

* فهل فتىً يَكْشِفُ ما نابهم * ويَغْنَمُ الشُّكْرَ الطَّويلَ العَرِيض *

* فوالّذي تَعْنُو النَّواصِي لهُ * يومَ وُجوهُ الجمعِ سُودٌ وبِيض *

* لولا هُمُ لم تَبْدُ لي صَفْحةٌ * ولا تَصَدَّيتُ لنَظْمِ القَرِيض *

قال الراوي فواللّهِ لقد صَدَعتْ بأبياتِها أعشارَ القُلوب * واستخرجَتْ خَبايا الجُيوب * حتّى ماحَها مَنْ دِينُهُ الامتِياحُ * وارتاحَ لِرِفْدِها مَن لم يَخُلْهُ يَرْتاحُ * فلمّا اُتْرِعَ جَيْبُها بتِبْرِه * واولاها كُلٌّ منّا بِرًّا * تولّتْ يَتْلُوها الأصاغِر * وفُوها بالشُّكْرِ فاغِر * فاشْرَأبّتِ الجماعةُ بعدَ مَمَرِّها * الى سَبْرِها * لتَبْلُوَ مَواقِعَ بِرِّها * فكفَلْتُ لهم باستنباطِ السِّرِّ المرموز * ونهضتُ أقْفُو إثْرَ العَجوز * حتّى

المقامة الرابعة عشر المكية

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام . لحجة الإسلام . فلما قضيت بعون الله التفث . واستبحت الطيب والرفث . صادف موسم الخيف . معمعان الصيف . فاستظهرت للضرورة . بما يبرد حر الظهيرة . فبينما أنا تحت طراف . مع رفقة ظراف . وقد حمي وطيس الحصباء . وأعشى الهجير عين الحرباء . إذ هجم علينا شيخ متسعسع . يتلوه فتى مترعرع . فسلم الشيخ تسليم أديب أريب . وحاور محاورة قريب لا غريب . فأعجبنا بما نثر من سمطه . وعجبنا من انبساطه قبل بسطه . وقلنا له من أنت . وكيف ولجت وما استأذنت . فقال أما أنا فعاف . وطالب إسعاف . وسر ضري غير خاف .

والنظرُ الىّ شفيعٌ كافٍ • واما الانسيابُ الّذي عَلِقَ به الارتيابُ • فما هو بعُجابٍ • اذ ما على الكرماء من حجابٍ • فسأَلنا أَنّى اهتدى الينا • وبِمَ استدلّ علينا • فقال إنّ المَكْرَمَ نَشْرًا تنمّ نفحاتُهُ • وترشِدُ الى روضهِ نَوْحاتُه • فاستدلَلتُ بنأرِّجِ عُرْفِكم • على تبلُّجِ عُرفِكم • وبشّرني تضوّعُ رَنْدِكم • بحُسْنِ المُنقَلَبِ من عِندِكُم • فاستخبرنا حينئذٍ عن لُبانَتِهِ • لنكفُلَ باعانتِهِ • فقال إنّ لي مآرِبًا • ولغتي مَطْلَبًا • فقُلنا كِلا المرامَين سيُقضى • وكِلاكُما سوف يُرضى • ولكنّ الكُبْرا للكُبَر • فقال أَجَلْ ومَن ذا حاد السبعَ الغُبَر • ثم وثبَ للمقال • كالمُنشَطِ من العِقال • وأنشد • نظم •

• إنّي امرؤٌ أَبدِعَ بي • بعدَ الوَجى والتّعَب •

* وشقّني شبا شعثة * يقصر عنها خببي *

* وما معي خردلة * مطبوعة من ذهب *

* فحيلتي منسدة * وحيرتي تلعب بي *

* ان ارتحلت راجلا * جفت دواعي العطب *

* وان تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي *

* فزفرتي في صعد * وعبرتي في صبب *

* وانتم منتجع الراجي ومرمى الطلب *

* لها كم منهلة * ولا انهلال السحب *

* وجاركم في حرم * وفرقكم في حرب *

* ما لاذ مرتاع بكم * فخاف ناب النوب *

* ولا استدر آمل * حباءكم فما حبي *

* فانعطفوا فى قصّتى * و احسنوا منقلبى *

* فلو بلوتم عيشتى * فى مطعمى ومشربى *

* لساءكم ضرّى الّذى * اسلمنى للكرب *

* و لو خبرتم حسبى * و نسبى و مذهبى *

* و ما حوت معرفتى * من العلوم النّخب *

* لما اعترتكم شبهة * فى انّ دائى ادبى *

* فليت انّى لم اكن * ارضعت ثدى الادب *

* فقد دها فى شؤمة * و عقّنى فيه ابى *

فقلنا له امّا انت فقد صرّحت ابيا تك بغاتنك * وعطب نافتك *

وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك * فما مأربة ولدك * فقال

له قم يا بنىّ كما قام ابوك * وثق بما فى نفسك لا تصّ فوك *

فنهض

بنهض نهوض البطل المبارز • واصلت لسانا كالعضب الجراز •

وانشد يقول * نظم *

* ياسادة في المعالي * لهم مباني مشيده *

* ومن اذا نابَ خطبٌ * قاموا بدفع المكيده *

* ومن يهون عليهم * بذل الكنوز العتيده *

* أريد منكم شواءً * وجردقا وعصيده *

* فان غلا فرقاقٌ * به توارى الشهيده *

* أو لم يكن ذا ولا ذا * فشبعةٌ من ثريده *

* فان تعذر طرا * فعجوة ونهيده *

* فاحضروا ما تسنّى * ولو شظاً من قديده *

* وزوجوه بنفسي * لما يروج مريده *

* والزّاد لا بدّ منه * لرحلة لي بعيده *

* وأنتم خير رهط * يدعون عند الشديده *

* أيديكم كلّ يوم * لها أياد جديده *

* وراحكم واصلات * شمل الصّلات المفيده *

* وبغيتي نضو مطاوي * ما تزدرون زهيده *

* وفيّ أجر وعقبى * تنفيس كربي حميده *

* ولي ثنا يجّ بكر * يفضحن كلّ قصيده *

قال الحارث بن همّام فلمّا رأينا الشّبل يشبه الأسد . أرحلنا الوالد وزوّدنا الولد . فقابلا الصّنع بشكر نشرا أرديته . وأدّيا بهديته . ولمّا عزما على الانطلاق . وعقدا للرّحلة حبك النّطاق . قلت للشّيخ هل ضاهت عدتنا عدة

عرقو

مَرْقُوب • او بَقِيَتْ حاجةٌ فى نَفْسٍ يَعْقُوبَ • فقال حاشَ اللّه

وكَلّا • بل جلّ معروفُكم وجَلّى • فقلتُ له قد نَأَ كما دِنَا ك •

وأفِدْ نا كما أفَدْنا ك • اينَ الدُّوَيرةُ • فقد ملكَتْنا فيك

الحَيْرةُ • فتنفَّسَ تنفُّسَ من ادَّكرَ اَوْطانَه • وانشد والشَّهيقُ

يُلَعْثِمُ لسانَه • ؛ نظم ؛

؛ سَرُوجُ دارِى ولكِنْ ؛ كيفَ السّبيلُ اليها ؛

؛ وقد اَناخَ الأعادِى ؛ بها واَخْنَوا عليها ؛

؛ فَوالَّتى سِرْتُ اَبْغِى ؛ حَطَّ الذُّنوبِ لَدَيْها ؛

؛ ماراقَ طَرْفى شَىْءٌ ؛ مُذْ غِبْتُ عن طَرَفَيْها ؛

ثم اغْرَورَقَتْ عَيْناه بالدُّموع • وآذَنَتْ مَدامِعُه بالهُموع •

فكَرِهَ ان يستوكِفَها • ولم يَمْلِكْ ان يُكَفْكِفَها • فقطَع انشادَه

المتحلي . وأوجز في الوداع وولى .

المقامة الخامسة عشرة الفرضية

خبر الحارث بن همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب . هامية الرباب . ولا أرق صب طرد عن الباب . ومني بصد الأحباب . فلم أزل أنكا أبهجن همي . وتجلن في الوساوس فهمي . حتى تمنيت لمضض ما عانيت . أن أرزق سميرا من الفضلاء . ليقصر طول ليلتي الليلاء . فما انقضت منيتي . ولا أغمضت مقلتي . حتى قرع الباب قارع . له صوت خاشع . فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر . وليل الحظ قد أقمر . فنهضت إليه عجلان . وقلت من الطارق الآن . فقال غريب أجنه الليل . وغشيه السيل . ويبتغي الإيواء لا غيره .

وإذا

وإذا أ شخص قدّام السّتارة • قال فلمّا دلّ شعاعه على شمسه • وقمّ

عنوانه بسرّ طرسه • علمت أنّ مسامرته غُنْم • ومسافرته نُعْم •

ففتحت الباب بابتسام • وقلت ادخلوها بسلام • فدخل •

شخص قد حنى الدّهر صعدته • وبلّل القطر بردته • فحيّى

بلسان عضب • وبيان عذب • ثمّ شكر على تلبية صوته • واعتذر

من الطّروق في غير وقته • فلمّا أنسته بالمصباح المتّقد • وتأمّلته

تأمّل المنتقد • فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب • ولا رجم غيب •

فأحللته محلّ من أظفرني بقصوى الطّلب • ونقلني من

وقد الكرب • إلى روح الطّرب • ثم أخذ يشكو الأين •

وأخذت في كيف وأين • فقال أبلغني ريقي • فقد أتعبني

طريقي • فظننته مستنبطًا للسّغب • متحكّمًا بسلّ لهذا السّبب • فأحضرته

بما يُحضَر للضيف المفاجي. في الليل الداجي. فانقبض

انقباضَ المُحتشِم. وأعرضَ إعراضَ البَرِم. فسؤتُ ظنًّا بامتناعه.

وأحفظني حُوُولُ طباعه. حتّى كدتُ أُغلظ له في الكلام.

وأنسعه بحُمَةِ الملام. فتبيّن من لَحَاتِ ناظري. ما خامر

خاطري. فقال يا ضعيفَ الثِّقة. بأهلِ المِقة. عدِّ عمّا أخطرتَه

ببالك. واستمِعْ إليّ لا أبا لكَ. فقلتُ هاتِ. يا أخا التُّرّهاتِ.

فقال اعلمْ أنّي بِتُّ البارحةَ حليفَ إفلاسٍ. ونجيّ وسواسٍ.

فلمّا قضى الليلُ نحبَه. وغوّرَ الصبحُ شُهُبَه. غدوتُ وقتَ الإشراق.

إلى بعضِ الأسواق. متصدّيًا لصيدٍ يسنحُ. أو حُرٍّ يسمحُ. فلحظتُ

بها تمرًا قد حسُن تصفيفُه. وأُحسنَ إليه مَصيفُه. فجمع على

التحقيق. صفاءَ الرحيق. ونوءَ العقيق. وقُبالتَه لبأً قد برز

كالابريز الاصفر • وانجلى فى اللون المزعفر • فهو يثنى على طاهيه • بلسان تناهيه • ويصوب رأى مشتريه • ولو نقد حبة القلب فيه • فأسرتني الشهوة بأشطانها • وأسلمتني العيمة الى سلطانها • فبقيت أحير من ضب • وأذهل من صب • لا وجد يوصلني الى نيل المراد • ولذة الازدراد • ولا قدم تطاوعني على الذهاب • مع حرقة الالتهاب • لكن حدانى الغرم وسورته • والسغب وفورته • على ان انتجع كل ارض • وأتتبع من الورد بترض • فلم أزل سحابة ذلك النهار • أدلى دلوى الى الانهار • وهى لا ترجع ببلة • ولا تجلب نقع غلة • الى ان ضغت الشمس للغروب • وضعفت النفس من اللغوب • فرحت بكبد حرى • وانثنيت

أُقدِّم رِجلًا وأُؤخِّر أُخرى • وبينما أنا أسعى وأعدو • وأهبُّ

وأركُد • إذ قابلني شيخٌ يتأوَّهُ أوَّهَ الثَّكلان • وعَيْنا • تَنْهَمِلان •

فما شَغَلني ما أنا فيه من داءِ الذَّنْب • والخَوَى المُذيب •

عن تَعاطي مُداخلتِه • والطَّمَعِ في مُخاتَلتِه • فقلتُ له يا هذا

إنَّ لبكائك لَسِرًّا • ووراءَ تحرُّقِك لَشَرًّا • فأطلِعْني على

بُرَحائك • واتَّخِذْني من نُصَحائِك • فإنَّك ستجِدُ منِّي طَبًّا

آسِيًا • أو عَوْنًا مُواسِيًا • فقال واللهِ ما تأوُّهي لعَيْشٍ فاتَ •

ولا من دَهرٍ افتاتَ • بل لانقراضِ العلمِ ودُروسِه • وأُفولِ

أقمارِه وشُموسِه • فقلتُ وأيُّ حادثةٍ نَجَمَتْ • وقضيَّةٍ استَعْجَمَتْ •

حتَّى هاجتْ لك الأسَفَ • على نَقْدِ مَن سَلَفَ • فأبرزَ رُقعةً

من كُمِّه • وأقسمَ بأبيه وأُمِّه • لقد أنزلها بأعلامِ المَدارِس •

فيها

فيها امتازوا عن الأعلام الدوارس * واستنطق لها أحبار المحابر * فخرس سواها ولا خرس سكان المقابر * فقلت أرنيها * فلعلي أغني فيها * فقال ما أبعدت في المرام * فرب رمية من غير رام * ثم ناولنيها * فإذا المكتوب فيها * نظم *

* أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما له من شبيه *
* أفتنا في قضية حاد عنها * كل قاض وحار كل فقيه *
* رجل مات عن أخ مسلم حر تقي من أمه وأبيه *
* وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص بلا تمويه *
* فحوت فرضها وحاز أخوها * ما تبقى بالإرث دون أخيه *
* فاشفنا بالجواب عما سألنا * فهو نص لا خلف يوجد فيه *

فلما قرأت شعرها * ولمحت سرها * قلت له على الخبير بها

سقطت ٭ وعند ابن نجدتها حططت ٭ الا انني مضطرم الاحشاء ٭
مضطر الى العشاء ٭ فاكرم مثواي ٭ ثم استمع نجواي ٭
فقال لقد انصفت في الاشتراط ٭ وتجافيت عن الاشتطاط ٭
فصر معي ٭ الى مربعي ٭ لتظفر بما تبتغي ٭ وتنقلب كما
ينبغي ٭ قال فصاحبته الى ذراه ٭ كما حكم الله ٭ فادخلني
بيتا اخرج من التابوت ٭ واوهن من بيت العنكبوت ٭
الا انه جبر ضيق ربعه ٭ بتوسعة ذرعه ٭ فحكمني في القرى ٭
واطايب ما يشترى ٭ فقلت اريد ازهى راكب على اشهى
مركوب ٭ وانفع صاحب مع اضر مصحوب ٭ فافكر ساعة
طويلة ٭ ثم قال لعلك تعني بنت نخيلة ٭ مع لبا سخيلة ٭ فقلت
اياهما عنيت ٭ ولاجلهما تعنيت ٭ فنهض نشيطا ٭ ثم ربض

مستنشيطا

ومستنبطا • فقال لي اعلم اصلحك الله ان الصدق انبا هذه •
والكذب عاب هذه • فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الانبيا •
وحلية الاوليا • على ان تلحق بمن مان • وتتخلق بالخلق
الذي يجانب الايمان • فقد تجوع الحرة • ولا تاكل بثدييها •
وتابى الدنية • ولو اضطرت اليها • ثم اني لست لك بزبون •
ولا اغضي على صفقة مغبون • وها انا قد انذرتك قبل
ان ينهتك الستر • وينعقد بيننا الوتر • فلا تلغ قد بر الانذار •
وحذار من المكاس بعد حذار • فقلت له والذي حرم اكل
الربو • واحل اكل اللبا • ما نهجت بزور • ولا دليتك
بغرور • وستخبر حقيقة الامر • وتحمد بذل اللبا والتمر •
فهش هشاشة المصدوق • وانطلق مغذا الى السوق • فما كان

بأسرع من أن أقبل بهما يدلج • ووجهه يتهلل • ووضعهما لديّ •
وضع الممتن عليّ • وقال اضرب الجيش بالجيش • تحظ بلذة
العيش • قال فحسرت عن ساعد النهم • وحملت حملة الفيل
الملتهم • وهو يلحظني كما يلحظ الحنق • ويودّ من الغيظ
لو اختنق • حتى إذا التقمت التوءمين • وغادرتهما أثرا
بعد عين • اقترحت حيرة في إظلال الأبيات • وفكرة في جواب
الأبيات • فما لبث أن قام • وأحضر الدواة والأقلام •
وقال قد ملأت الجراب • فأمل الجواب • وإلا فتهيّأ إن
نكلت • لاغترام ما أكلت • فقلت له ما عندي إلا التحقيق •

فاكتب وبالله التوفيق * نظم *

* قل لمن يلغز المسائل إني * كاشف سرّها الذي يخفيه *

* إنّ ذا المَيّتَ الّذي قدّمَ الشّرْ * عُ أخا عِرسِهِ على ابنِ أبيهِ *

* رَجُلٌ زوّجَ ابنَهُ عن رِضاءٍ * بحماةٍ لهُ ولا غَرْوَ فيهِ *

* ثُمّ ماتَ ابنُهُ وقد عَلِقَتْ مِنْـ * ـهُ فجاءَتْ بابنٍ لهُ يُكْنيهِ *

* فهْوَ ابنُ ابنِهِ بغيرِ مِراءٍ * وأخو عِرسِهِ بلا تهويـه *

* وابنُ الابنِ الصّريحُ أدْنى إلى الجَـ * ـدّ وأوْلى بإرْثِهِ من أخيهِ *

* ولِذا حينَ ماتَ أوْجَبَ للزّوْ * جةِ ثُمْنَ التُّراثِ تَستوفيهِ *

* وحَوَى ابنُ ابنِهِ الّذي هو في الأصْـ * ـلِ أخوها من أُمّها باقيهِ *

* وتخلّى الأخُ الشّقيقُ من الإرْ * ثِ وقُلنا يكفيكَ أنْ تبكيهِ *

* هاكَ منّي الفُتْيا الّتي يَحتذيها * كُلُّ قاضٍ يَقضي وكُلُّ فقيهِ *

قال فلمّا أثبتُّ الجوابَ * واستثبتُّ منهُ الصّوابَ * قال لي أهْلَكَ واللّيلَ * فشمّرِ الذّيلَ * وبادِرِ السّيلَ * فقلتُ إنّي

بد ازغُربةٍ • وفي إيوائي انصلُ قُربةٍ • لا سيّما وقد أغدف

جنحُ الظّلام • وسبّح الرّعدُ في الغمام • فقال اغرُب عافاك اللّه

الي حيثُ شئتَ • ولا تطمعْ في أنْ تبيتَ • فقلتُ ولِمَ ذاك •

مع خُلوّن مراك • قال لأنّي أنعمتُ النّظرَ في التقاميك ما حضر •

حتّى لم تُبق ولم تذر • فرأيتُك لا تنظرُ في مصلحتك •

ولا تُراعي حِفظَ صحّتك • ومن أمعنَ فيما أمعنتَ • وتبطّنَ

كما تبطّنتَ • لم يُخلّصْ من كِظّةٍ مُدنِفةٍ • او هيضةٍ مُتلِفةٍ •

فدعْني باللّه كفافا • واخرُجْ عنّي مادُمتَ مُعافا • فوالّذي

يُحيِي ويُميت • ما لكَ عندي مَبيت • فلمّا سمعتُ اليّته •

وبَلَوتُ بليّته • خرجتُ من بيته بالرّغم • وتزوّدتُ الغمّ •

تجودُ بي السّماءُ • وتخبطُني الظّلماءُ • وتنبحُني الكلابُ •

وتنقاذف بي الابواب • حتى ساقني اليك لطف القضاء •

فشكرا لليد البيضاء • فقلت له احبب بلقائك المتاح •

الى قلبي المرتاح • ثم اخذ يفتن في حكاياته • ويشفع

مضحكاته بمبكياته • الى ان عطس انف الصباح • وهتف

داعي الفلاح • فتأهب لاجابة الداعي • ثم عطف الى وداعي •

فعقته عن الانبعاث • وقلت الضيافة ثلاث • وما حفزك

احتثاث • وان ترحلت رحلة خرقاء • فغضت الانقاء • وسوءت

الاصدقاء • فناشد وخرج • ثم ام المخرج • وانشد اذ عرج • نظم •

* لا تزر من تحب في كل شهر * غير يوم ولا تزده عليه *

* فاجتلاء الهلال في الشهر يوم * ثم لا تنظر العيون اليه *

قال الحارث بن همام فودعته بقلب دامي القرحة • وودد تقه

لو أنّ لَيْلتي بطِيّة الصُّبح •

المقامةُ السّادسةَ عشرَ المَغْرِبيّةُ

حكى الحارث بن همّام قال شَهِدتُّ صلوةَ المَغْرِب • في بَعْض
مَساجِدِ المَغْرِب • فلمّا أدّيْتُها بفَضْلِها • وشفَعْتُها بنَفْلِها • أخَذَطَرْفي
رُفْقَة قد انْتَبَذُوا ناحِيَةً • وامتازُوا أصْفوة صافِيَةً • وهم
يَتعاطَوْنَ كأسَ المُنافَثَة • ويَقْتَدِحُون زِنادَ المُباحَثة •
فرَغِبْتُ في مُحادَثتِهِم لكَلِمةٍ تُسْتَفادُ • وأدَبٍ يُسْتَزادُ •
فسَعَيْتُ اليهم • سَعْيَ المُتَطفّلِ عليهم • وقلتُ لهم أتقْبَلون نَزِيلًا
يَطْلُب جَنَى الأسْمار • لا جَنِيَّ الثِّمار • ويَبْغي مُلَحَ الحِوار •
لا مَلْحاءَ الحُوار • فحَلُّوا لِيَ الحُبا • وقالوا مَرْحَبا مَرْحَبا •
فلم أجْلِسْ إلّا لَمْحةً بارِقٍ خاطِفٍ • أو نُغْبَةَ طائِرٍ خائِفٍ •

حتى

حتى غَشِيَنا جَوّابٌ • على عاتقه جرابٌ • فحيّا بالكلمتَيْن

وَحيّى المَسْجِدَ بالتسليمتَيْن • ثمّ قال يا أُولي الأَلباب •

والفَضْلِ اللُّباب • أما تَعْلَمون أَنّ أَنْفَسَ القُرُبات • تنفيسُ

الكُرُبات • وأَمْتَنَ أسبابِ النَّجاة • مُواساةُ ذَوِي

الحاجات • وإنّي ومَنْ أَحَلَّني ساحَتَكم • وأَتاحَ لي استماحتَكم •

لَشَرِيدُ مَحَلٍّ قاصٍ • وبَرِيدُ صِبْيَةٍ خِماصٍ • فهَلْ في الجَماعة

من يُفْثَأُ عنّا حُمَيّا المَجاعة • فقالوا له يا هذا إنّك حضرتَ

بعدَ العِشاء • ولم يَبْقَ إلّا نُفاضاتُ العَشاء • فإن كُنْتَ بها

تَقْنَعُ • فما تَجِدُ فينا مَنْ يَمْنَع • فقال إنّ أخا الشّدائد • لَيَقْنَعُ

بلُفاظاتِ المَوائِد • ونُفاضاتِ المَزاوِد • فأَمَرَ كُلٌّ منهم

عَبْدَه • أن يُزَوِّدَه ما عندَه • فأَعْجَبَه الصُّنْعُ وشَكَرَ عليه •

وجلس يرقب ما يُحمَل اليه • وثُبنا نحن الى استثارةِ مُلَحِ

الأدب وعيونه • واستنباطِ مَعينه من عيونه • الى أن جُلنا

فيها لا يستحيل بالانعكاس • كقولك ساكبُ كاس • فتداعينا

الى أن نستنتجَ له الأفكار • ونفترعَ منه الأبكار •

على ان ينظمَ البادئُ ثلاثَ جُمانات في عقده • ثم تندرجَ

الزيادات من بعده • فيربّع ذو ميمنته في نظمه • ويُسبّع

صاحبُ ميسرته على زعمه • قال الراوي وكنّا قد انتظمنا

عِدّةَ أصابع الكفّ • وتألّفنا ألفةَ أصحاب الكهف •

فابتدر لعُظم مِحنتي • صاحبُ ميمنتي • وقال لُمْ أخاً مَلّ •

وقال مُيامِنُه • كبّرْ رجاءَ أجرِ ربّك • وقال الّذي يليه •

من يَرُبُّ اذا بَرّ يَنُمّ • وقال الآخر • سكِّتْ كُلَّ من نمّ لك تكس •

وانقضت النوبة اليّ • وقد تعيّن نظم السمط السباعي عليّ •
فلم يزل بكري يصوغ ويكسر • ويثري ويعسر • وفي ضمن
ذلك أستطعم • فلا أجد من يطعم • الى ان ركد النسيم •
وحصحص التسليم • فقلت لأصحابي لو حضر السروجيّ هذا
المقام • لشفى الداء العقام • فقالوا لو نزلت هذه بإياس •
لأمسك على ياس • وجعلنا نفيض في استصعابها • واستغلاق
بابها • وذلك الزور المعتري • يلحظنا لحظ المزدري •
ويؤلف الدرّ ونحن لا ندري • فلما عثر على انتضاحنا •
ونضوب رشحنا • قال يا قوم إنّ من العناء العظيم • استيلاد
العقيم • والاستشفاء بالسقيم • وفوق كل ذي علم عليم •
ثم أقبل عليّ وقال سأنوب منابك • وأكفيك ما نابك •

فإن شئتَ أن تنثر ولا تعثر فقل مخاطباً لمن ذمّ البخل

وأكثر العذل لذ بكل مؤمل إذا ألمّ وملك بذل وإن

أحببتَ أن تنظم فقل للذي تعلم * نظم *

* أسِ أرملاً إذا عرا * وارعَ إذا المرء أسا *

* أسنِد أخا نباهةٍ * أبِن إخاءً دنسا *

* أسلُ جنابَ غاشمٍ * مشاغبٍ إن جلسا *

* أسرِ إذا هبَّ مرًا * وارمِ به إذا رسا *

* اسكن تقوَّ فعسى * يُسعِف وقتٌ نكسا *

قال فلما سحرنا بآياته وحسرنا ببعد غاياته مددناه

حتى استغفى ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمّر ثيابه

وازدفّ جرابه ونهض ينشد * نظم *

* لِلّهِ دَرُّ عِصابةٍ * صَدَقَ المَقالَ مُقاوِلَا *

* فاقُوا الأنامَ فَضائلا * ما ثُورةً ونَوافِلا *

* جاوَرْتُهم فَوَجَدتُ سَحْبانًا لَدَيْهِم باقِلا *

* وحَلَلْتُ فيهم سائلًا * فَلَقِيتُ جُودًا سائِلا *

* أُقسِمُ لو كان الكِرامُ حَيًّا لكانوا وابِلا *

* ثُمّ خَطا قَيْدَ رُمْحَيْن • وعادَ مُسْتَعِيذًا من الحَيْن • وقال يا عِزَّ من عَدِمَ الآل • وكَثُرَ من سُلِبَ المال • إنَّ الغاسِقَ قد وَقَبَ • ووَجْهُ المَحَجَّةِ قد انْتَقَبَ • وبَيْني وبَيْنَ كِنّي لَيْلٌ دامِسٌ • وطريقٌ طامِسٌ • فهل من مِصباحٍ يُؤْمِنُني العِثارَ • ويُبَيِّنُ لِيَ الآثارَ • قال فلمّا جِيءَ بالمُلْتَمَس • وجَلّى الوُجُوهَ ضَوْءُ القَبَس • رأيتُ صاحِبَ صَيْدِنا • هو أبو زَيْدِنا • فقلتُ

لأصحابي هذا الذي اشرتُ اليه انه اذا نطق أصاب •
وإن استمطر صاب • فأتلعوا نحوه الأعناق • وأحدقوا
به الأحداق • وسألوه أن يسامرهم ليلته • على أن يجبروا
عيلته • فقال حبًّا لما أحببتم • ورحبًا بكم اذ رحّبتم •
غير أنّي قصدتكم وأطفالي يتضوّرون من الجوع • ويدعون
لي بوشك الرجوع • وإن استأثرتموني خامرهم الطيش •
ولم يصفُ لي العيش • فدعوني لأذهب فأسدّ مخمصتهم •
وأسيغ غصّتهم • ثم أنقلبُ اليكم على الأثر • متأهّبًا للسهر
الى السحر • فقلنا لأحد الغلمة اتبعه الى فئته • ليكون
أسرع لفيئته • فانطلق معه مضطبنًا جرابه • ومحثحثًا إيابه •
فأبطأ بطأً جاوز حدّه • ثم عاد الغلام وحده • فقلنا ما عندك

من الحديث • عن الخبيث • قال أخذ بي في طرقٍ متعبةٍ • وسبلٍ متشعّبةٍ • حتى أفضينا الى دويرةٍ خربةٍ • فقال ههنا مناخي • ووكرُ أفراخي • ثم استفتح بابه • واختلج منّي جرابه • وقال لعمري لقد خفّفت عنّي • واستوجبت الحسنى منّي • وها كَ نصيحةً هي من نفائس النّصائح • ومغارس المصالح • وأنشد • نظم •

* اذا ما حويت جنى نخلةٍ * فلا تقربنْها الى قابلِ *

* وإمّا سقطتَّ على بيدرٍ * فحوصل من السُّنبل الحاصلِ *

* ولا تلبثنَّ اذا ما لقطتَّ * فتنشب في كفّةِ الحابلِ *

* ولا توغلنَّ اذا ما سبحت * فانّ السّلامة في الساحلِ *

* وخاطب بهاتِ وجاوب بسوف * وبع آجلاً منك بالعاجلِ *

* ولا تكثرنّ على صاحبٍ * فما ملّ قطّ سوى الواصلِ *

ثمّ قال اخزنها في تامورك • واقتدِ بها في أمورك • وبادِرْ إلى صحبِك • في كلاءةِ ربّك • فإذا بلغتَهم فأبلغهم تحيّتي • واتلُ عليهم وصيّتي • وقُل لهم عنّي إنّ السّمرَ في الخرافات • لمِنْ أعظمِ الآفات • ولستُ أبغي احتراسي • ولا أجلبُ الهوسَ إلى راسي • قال الرّاوي فلمّا وقفنا فحوى شعرِه • على نُكرِه ومكرِه • تلاومنا على تركِه • والاغترارِ بإفكِه • ثمّ تفرّقنا بوجوهٍ باسرةٍ • وصفقةٍ خاسرةٍ •

المقامةُ السّابعةَ عشرَ القهقريّةُ

حدث الحارث بن همّام قال لحظتُ في بعضِ مطارحِ البينِ • ومطامحِ العينِ • ثلّةً عليهم سيماءُ الحجى • وطلاوةُ نجومِ الدّجى •

وهم فى مُماراةٍ مشتدّة الهبوب . ومباراة مشتطّة الألهوب .
فهزّنى لقصدهم هوى المحاضرة . واستحلاءُ جنى المناظرة .
فلمّا التحقتُ برهطهم . وانتظمتُ فى سمطهم . قالوا أأنتَ
ومّن يُدالى فى الهيجاء . ويُلقى دلوه فى الدلاء . فقلتُ بل
انا من نظّارةِ الحرْب . لا مِنْ أبناءِ الطّعْن والضّرب . فاضربُوا
عن حِجاجى . وافاضُوا فى التّحاجى . وكان فى بُحبُوحةِ
حَلقتهم . وإكليلِ رُفقتهم . شيخٌ قد برَته الهمومُ . ولوّحته
السَّمومُ . حتّى عاد أنحلَ من قلمٍ . وأقحلَ من جلَمٍ . إلّا انّه
كان يُبدي العُجابَ . اذا أجابَ . ويُنسى سحبانَ . كلّما
أبانَ . فأعجبتُ بما أوتىَ من الإصابة . والتبريزِ على تلكَ
العِصابة . وما زالَ يُفصح عن كلّ مُعمّى . ويُصمى فى كلّ مَرمىً .

الى أن خلت الجعاب ، ونفد السؤال والجواب ، فلما رأى
انفاض القوم ، واضطرارهم الى الصوم ، عرض بالمطارحة ،
واستأذن في المفاتحة ، فقالوا حبذا ، ومن لنا بذا ،
فقال أتعرفون رسالة أرضها سماؤها ، وصبحها مساؤها ،
نسجت على منوالين ، وتجلت في لونين ، وصلت الى جهتين ،
وبدت ذات وجهين ، ان نزعت من مشرقها ، فناهيك برونقها ،
وان طلعت من مغربها ، فيا لعجبها ، قال فكأن القوم رموا
بالصمات ، أو حقت عليهم كلمة الانصات ، فما نبس منهم
انسان ، ولاغاة لأحدهم لسان ، فحين رآهم بكماً كالأنعام ،
وصموتاً كالأصنام ، قال لهم قد أجلتكم أجل العدة ، وأرخيت
لكم طول المدة ، ثم ههنا مجمع الشمل ، وموقف الفصل ،

فان

فإن سمحت خواطركم مدحنا • وإن صلدت زنادكم قدحنا •

فقال لوالده والله مالنا في لجة هذا البحر مسبح • ولا في ساحته

مسرح • فارح أفكارنا من الكد • وقوّ العطيّة بالنقد •

واتخذ لنا إخواناً يثبتون إذا ثبت • ويبيتون متى استثبت • فالرق

ساعة • ثم قال سمعاً لكم وطاعة • فاستملوا مني • وانقلوا عني •

النادم

الإنسان صنيعة الإحسان • ورب الجميل فعل الندب • وشيمة الحر

ذخيرة الحمد • وكسب الشكر استثمار السعادة • وعنوان

الكرم تباشير البشر • واستعمال المداراة يوجب المصافاة •

وعقد المحبة يقتضي النصح • وصدق الحديث حلية اللسان •

وفصاحة المنطق سحر الألباب • وشرك الهوى آفة النفوس •

وملل الخلائق شين الخلائق • وسوء الطمع يباين الورع •

وَالتزامُ الحزامةِ • زِمامُ السَّلامةِ • وتَطلُّبُ المَثالبِ • عَثَّرَ المَعائبِ •

وتتبُّعُ العثراتِ • يُدْحِضُ المَوَدّاتِ • وخُلوصُ النِّيَّةِ خُلاصةُ

العَطِيَّةِ • وتهنئةُ النَّوالِ • ثَمَنُ السُّؤالِ • وتكلُّفُ الكُلَفِ •

يُسَهِّلُ الخُلُفَ • وتيقُّنُ المَعُونةِ • يُسَنِّي المَؤُونةَ • وفُسْلُ الصَّدْرِ • سَعَةُ

الصَّدْرِ • وزِينةُ الرُّعاةِ • مَقْتُ السُّعاةِ • وجَزاءُ المَدائحِ • بَثُّ المَنائحِ •

ومَهْرُ الوَسائلِ • تَشْفيعُ المَسائلِ • ومَجْلَبَةُ الغَوايةِ • استغراقُ

الغايةِ • وتجاوُزُ الحَدِّ • يُكِلُّ الحَدَّ • وتعدِّي الأَدَبِ • مُحْبِطُ

القُرَبِ • وتَناسِي الحُقوقِ • يُنْشِئُ العُقوقَ • وتَحاشِي الرِّيَبِ •

يَرْفَعُ الرُّتَبَ • وارتفاعُ الأَخْطارِ • باقتحامِ الأَخْطارِ • وتَموُّهُ

الأَقْدارِ • بمُوازاةِ الأَقْدارِ • وشَرَفُ الأَعْمالِ • في تقصيرِ

الآمالِ • وإطالةُ الفِكْرةِ • تُنَقِّحُ الحِكْمةَ • ورأسُ الرِّياسةِ •

تهذيب

تهذّبُ السّياسة • ومع اللّجاجة• تُلْغى الحاجة• وعندَ الأوْجال•
تتفاضلُ الرّجال •وبتفاضُلِ الهِمَم•تتفاوَتُ القِيَم • وبتزيُّدِ السّفير•
يَهِنُ التّدبير•وبتخلُّلِ الأحْوال •تتبيّنُ الأهْوال • وبمُوجَبِ
الصّبْر•ثمرةُ النّصْر• واستحقاقُ الاحْماد • بحَسَبِ الاجتهاد •و
وُجوبُ الملاحَظة • كِفاءُ المحافظة•وصَفاءُ المَوالي •بتعهّدِ المَوالي•
وتحلّي المُروّات•بحفظِ الأمانات•واختبارُ الإخوان• بتخفيفِ
الأحْزان • ودَفْعُ الأعداء• بكفِّ الأوِدّاء • واستحانُ
العُقَلاء • بمُفارقةِ الجُهلاء • وتبصّرُ العَواقِب • يُؤمِنُ المعاطِب•
واتّقاء الشّنْعة • يَنْشُرُ السّمْعة • وقُبْحُ الجَفاء • يُنافي الوَفاء•
وجَوْهَرُ الأحْرار• عندَ الأسْرار • ثم قال هٰذه ما أُنْتالُ لَفْظةٍ •
تحتوي على أدَبٍ وعِظَةٍ • فمَنْ ساقَها هٰـذا المَساق • فلا

مِراءً ولا شِقاقٍ • ومن رامَ عَكْسَ قالَبِهــا • وأن يَرُدَّها على

عَقِبها • فليَقُلْ الاَسْرارِ عند الاَحْرارِ • وجَوْهَرُ الوَفاءِ • يُنافي

الجَفاءِ • وقُبْحُ السُّمْعةِ • يَنْشُرُ الشُّنْعةِ • ثم على هــذا المَشْحَبِ

فليَسْحَبْها • ولا يَرْهَبْها • حتى تكُونَ خاتِمةُ بِقَـــرِها • وآخِرةُ

دُرَرِها • ورُبُّ الاِحْسانِ • صَنيعةُ الاِنْسانِ • قال الرّاوي فلمّا

صَدَعَ بِرِسالتِهِ الفريدةِ • واُمْلُوحتِهِ المُفيدةِ • عَلِمْنا كيفَ

يَتَفاضَلُ الاِنْشاءُ • واِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتيْهِ من يَشاءُ •

ثُمّ اعتَلَقَ كُلٌّ مِنّا بذَيْلِهِ • ونَلَذّذَ بِلذْةٍ من نَيْلِهِ • فأَبى قَبولَ

فِلْذَتي • وقال لستُ اَرْزَأُ تِلامِذَتي • فقلتُ له كُنْ ابازيدٍ

على شُحُوبِ سَحْنَتِك • ونُصوبِ ماءِ وَجْنَتِك • فقالَ أنا هُوَ على

نُحُولِي وتُحُولِي • وقَشَفِ مُحُولِي • فأَخَذتُ في تَثْرِيْبِهِ •

عليّ تشريقه وتغريبه • فحوّلق واسترجع • ثم انشد من قلب

موجع * نظم *

* سلّ الزمانُ عليّ عضبه * ليروعني واحدّ غربه *

* واسْتَلّ من جفني كراه مراغماً واسالَ غربه *

* واجالني في الآفاق اطوي شرقه واجوب غربه *

* فبكلّ جوٍّ طلعةٌ * في كلّ يومٍ لي وغربه *

* وكذا المغرّبُ شخصهُ * متغربٌ ونواه غربه *

ثم ولّى يجرّ عطفيه • ويخطر بيديه • ونحن بين متلفّتٍ اليه • ومتهافتٍ عليه • ثم لم نلبث ان خللنا الحبا • وتفرّقنا ايادي سبا •

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحارث بن همّام قال قفلت ذات مرّةٍ من الشام •

أَتَحُومَدِينَةَ السَّلامِ • فِي رَكْبٍ مِن بَنِي نُمَيْرٍ • وَرُفْقَةٍ أُولِي
خَيْرٍ وَمَيْرٍ • وَمَعَنا أَبُو زَيْدٍ السَّرُوجِيُّ عُقْلَةُ العَجْلانِ •
وَسَلْوَةُ الثَّكْلانِ • وَأُعْجُوبَةُ الزَّمانِ • وَالمُشارُ إِلَيهِ بِالبَنانِ
فِي البَيانِ • فَصادَفَ نُزُولُنا سِنْجارَ • أَنْ أَوْلَمَ بِهَا أَحَدُ
التُّجَّارِ • فَدَعا إِلَى مَأْدُبَتِهِ الجَفَلَى • مِن أَهْلِ الحَضارَةِ
وَالفَلا • حَتَّى سَرَتْ دَعْوَتُهُ إِلَى القافِلَةِ • وَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ
الفَرِيضَةِ وَالنافِلَةِ • فَلَمّا أَجَبْنا مُنادِيَهُ • وَحَلَلْنا نادِيَهُ • أَحْضَرَ مِن
أَطْعِمَةِ اليَدِ وَاليَدَيْنِ • ما حَلِيَ فِي الفَمِ وَحَلِيَ بِالعَيْنِ • ثُمَّ قُدِّمَ
جامٌ كَأَنَّما جُمِدَ مِنَ الهَواءِ • أَوْ جُمِعَ مِنَ الهَباءِ • أَوْ صِيغَ
مِن نُورِ الفَضاءِ • أَوْ قُشِرَ مِنَ الدُّرَّةِ البَيْضاءِ • وَقَدْ أُودِعَ
لَطائِفَ النَّعِيمِ • وَضُمِّخَ بِالطِّيبِ العَمِيمِ • وَسِيقَ إِلَيهِ شِرْبٌ مِن
تَسْنِيمٍ

تَسْلِيمٍ، وسَفَرَ عن مرأىً وسيمٍ، وأَرَجِ نسيمٍ. فلمّا اضطرمتْ بجمرةِ
الشَّهَواتِ، وترامتْ الى مَخْبَرَةِ اللَّهَواتِ، وشارفَتْ
أن تُشَنَّ على سِرْبِهِ الغاراتُ، ويُنادى عند نَهْبِهِ يا لَلثّاراتِ.
نَفَرَ ابو زيدٍ كالمجنونِ، وتباعَدَ عنه تباعُدَ الضَّبِّ
من النُّونِ، فراوَدْناهُ على أن يَعُودَ، ولا يكونَ كقُدارَ
في ثَمُودَ، فقال والّذي يَنْشُرُ الأمواتَ من الرِّجامِ،
لا عُدْتُ دونَ رَفْعِ الجامِ. فلم نَجِدْ بُدّاً من تأَلُّفِهِ، وإبرارِ
حَلْفِهِ، فأَشَلْناهُ والعقولُ معه شائلةٌ، والدُّموعُ عليه سائلةٌ.
فلمّا فاءَ الى مَجْثَمِهِ، وخَلَصَ من مأثَمِهِ، سأَلْناهُ لِمَ قامَ،
ولأَيِّ معنىً استَرْفَعَ الجامَ، فقال إنَّ الزُّجاجَ نَمّامٌ،
وإنّي آلَيْتُ مُذْ أعوامٍ، أنْ لا يَضُمَّنِي ونَمُوماً مَقامٌ. فقُلْنا

فما سَبَبُ بهينك الصَّرى . واُليتك الحَرّى . فقال كان
لى جارٌ لسانه يتعقرب . وقلبه عقرب . و لفظه شهدٌ ينقع .
وخبأه سمٌّ منقع . فملت لمجاورته . الى مجاورته . واغتررت
بهاشرته . فى معاشرته . واستهوتنى خضرة دمنته
لمنادمته . واغرتنى خدعة سمته بمنافسته . فمازجته وعندى
أنّه جارٌ مكاسرٌ . فبان أنّه عقابٌ كاسرٌ . وآنستُه على أنّه
محبٌّ مواسٌ . فوضح أنّه حبابٌ مواسٌ . ومالحته ولا أعلمُ
أنّه عند نقده . ممن يفرح بفقده . وعاقرته ولم أدرِ أنّه
بعد نزرة . ممّن يطرب لمعرّه . وكانت عندى جاريةٌ . لا يوجد
لها فى الكمال مجاريةٌ . إن سفرت خجل النيّرا ن .
وصليت القلوبُ بالنيرا ن . وإن بسمت أزرت بالجمان .

ويبيع

وبيعَ المرجانُ بالمَجّان • وإنْ رَنَتْ هَيَّجتِ البلابِلَ • وحَقَّقتْ
سحرَ بابِلَ • وإن نطقَتْ عَقَلتْ لُبَّ العاقِل • واستنزلَتِ
الأعصَمَ من المَعاقِل • وإنْ قرأتْ شَفَتِ المَفْؤُوْدَ • وأحيَتِ
المَوْءُودَ • وخِلْتَها أُوتِيَتْ من مزاميرِ آلِ داوُدَ • وإن
غَنَّتْ ظَلَّ مَعْبَدٌ لها عَبْدًا • وقيل سُحْقًا لإسحاقَ وبُعْدًا • وإنْ
زَمَرتْ أضحى زُنامٌ عندَها زنيمًا • بعدَ أنْ كان لجِيْلِه
زعيمًا • وبالإطرابِ زعيمًا • وإن رقَصَتْ أمالتِ العَمائِمَ عن
الرُّءُوسِ • وأنْسَتْك رَقْصَ الحَبَبِ في الكُؤُوس • فكنتُ أَزْدَرِي
مَعَها حُمْرَ النَّعَم • وأُحَلِّي بتَهْلِيها جِيْدَ النِّعَم • وأَحْجُب مَرآها
عن الشَّمْسِ والقَمَر • وأَزُوْدُ ذِكراها عن شَرائِعِ السَّمَر •
وأنا مع ذلك أَلِيمٌ • من أنْ تَسْرِيَ بريّاها رِيحٌ • أو يَنُمَّ

بها سطيح • أو ينمّ عليها برق مليح • فاتفق لوشك الحظ المنحوس •
ونكد الطالع المنحوس • أن أنطقتني بوصفها حميّا المدام •
عند الجار النمّام • ثم ثاب الفهم • بعد أن صرد السهم •
فأحسست الخبال والوبال • وضيعة ما أودع ذلك الغربال •
بيد أني عاهدته على كتم ما لفظته • وأن يحفظ السرّ وأحفظته •
فزعم أنه يخزن الأسرار • كما يخزن اللئيم الدينار •
وأنه لا يهتك الأستار • ولو عرض لأن يلج النار • فما غبر
على ذلك الزمان • إلا يوم أو يومان • حتى بدا للأمير تلك
المدبرة • ووالتهاذى المقدرة • أن يقصد باب قيله مجددا
عرض خيله • ومستمطرا عارض نيله • وارتاد أن
يصحبه تحفة تلائم هواه • ليقدمها بين يدي نجواه • وجعل

يبذل

يُبْذَلُ الجَعائِلُ ارْوادِه • ويُسَنّي المَراغِبَ لمن يُظْفِره بمُرادِه •

فاسْتَفَزَّ ذلك الجارُ الخَتّارُ الى بَذْلِه • وعصى في اذّراع

العارِ عَذْلَ عُذّلِه • فأتى الوالِيَ نا شِراً أُذُنَيْه • وأَبَثَّه

ما كنتُ أَسْرَرْتُه اليه • فما زال يعني الّا نسيابُ صاغِيَتِهِ الىَّ

وانثيالُ حَفَدَتِهِ عَلَيَّ • يَسُومُني ايثارَه بالدُّرَّةِ اليتيمة •

على أن أتحكَّمَ عليه في القيمة • فغَشِيَني من الغَمِّ • ما غَشِيَ

فرعونَ وجُنودَه من اليَمِّ • ولم أَزَلْ أُدافِع عنها ولا يُغْني

الدِّفاعُ • وأَسْتَشْفِع اليه ولا يُجْدِي الاستشفاعُ • وكُلّما

رَأى مِنّي ازْدِيادَ الاعتياصِ • وارتيادَ المَناصِ • تَجَرَّم

وتَضَرَّم • وخَرَّقَ عليَّ الأُرَّم • ونَفْسِي مع ذلك لا تَسْمَحُ بمفارقة

بَدْرِي • ولا بأنْ أَنْزِعَ قَلْبِي من صَدْرِي • حتى آلَ

الوعيدُ ايقاناً • والتقريعُ تراعاً • فقادني الاشفاقُ من
الحَيْن • الى أنْ تصْبغ سوادَ العَيْن • بصُفْرة العَيْن • ولم
يُحظَ الواشي بغَيْرِ الاثم والشَّيْن • فعاهدتُ اللهَ تعالى مُذْ
ذلك العَهْد • أنْ لا أُحاضِرَنّها ماً من بَعْد • والزُّجاجُ مخصوصٌ
بهذه الطِّباع الذَّميمة • وبه يُضرَبُ المَثَلُ في النَّميمة •
فقد جَرى عليه سَيْلُ يمينى • ولذلكمُ السَّبَبِ لم تَمْتَدَّ
اليه يمينى * نظم *

* فلا تَعْذُلوني بعد ما قد شَرَحتُهُ *
* على أنْ حُرِمْتُم بى التنطاف
فقد بانَ عُذْرى فى صَنيعى وانّنى *
* سأرتقُ فتقى من تليدى وطارف *

* على أن ما زوّدتكم من فكاهةٍ *

* ألذّ من الحلوا لدى كلّ عارفٍ *

قال الحارث بن همّام فقبلنا اعتذارَه * وقبّلنا عِذارَه *
وقلنا له قد ماً وقدت النّبيهةُ خبْرَ البشر * حتّى انتشر عن
حمالةِ الحطبِ ما انتشر * ثمّ سألناه عمّا أحدث جارُه
الغتّات * وتخلّله المفتاتُ * بعد أن راش له نبلَ السعاية *
وجذّم حبلَ الرّعاية * فقال أخذ في الاستخذاء والاستكانة *
والاستشفاع الىّ بذوي المكانة * وكنت حرّجتُ
على نفسي * أن لا يسترجعه أنسي * او يرجع الىّ أمسي *
فلم يكن منّي سوى الرّدّ * والإصرار على الصدّ * وهو
لا يكذبُ من النّجه * ولا يتّئبُ من وقاحة الوجه * بل يُلِظُّ

بالوسائل * ويلح في المسائل * فما أنقذني من إبرامه *
ولا أبعد عليه نيل مرامه * إلا أبيات نفث بها الصدر الموتور *
والخاطر المبتور * فإنها كانت مذخرة لشيطانه * ومسجنة
له في أوطانه * وعند انتشارها بت طلاق الحبور * ودعا
بالويل والثبور * وأيس من نشر وصلي المقبور * كما يئس
الكفار من أصحاب القبور * فناشدناه أن ينشدنا
إياها * وينشقنا رياها * فقال أجل * خلق الإنسان من
عجل * ثم أنشد لا يزويه خجل * ولا يثنيه وجل * فقال *

* ونديم محضته صدق ودي * إذ توهمته صديقا حميما *
* ثم أوليته قطيعة قال * حين ألفيته صديدا حميما *
* خلته قبل أن يجرب إلفا * ذا ذمام فبان جلفا ذميما *

وتخيرته

* وتخيّرته كليمًا فأمسى * منه قلبي بها جناه كليما *

* وتظنّيته معينًا رحيمًا * فتبيّنته لعينًا رجيما *

* وترائيته مريدًا فجلّى * عنه سبكي له مريدًا اثيما *

* وتوسّمت ان يهبّ نسيمًا * فأبى ان يهبّ الّا سموما *

* بتّ من اسعه الّذي اعجز الرّاقي سليمًا وبات منّي سليما *

* وغدا امره غداة افترقنا * مستقيمًا والجسم منّي سقيما *

* لم يكن رائعًا خصيبًا ولكن * كان بالشرّ رائعًا لي خصيما *

* قلت لمّا بلوته ليته كان عديمًا ولم يكن لي نديما *

* بغّض الصبح حين نمّ الى قلبي لانّ الصّباح يلغي نموما *

* ودعاني الى هوى اللّيل اذ كان سواد الدّجى رقيبًا كتوما *

* وكفى من يشي ولوفاه بالصّدق ان اثما فيها اتاه ولوما *

قال فلمّا سمع ربُّ المَنزِلِ تَقريظه وسَجْعَه • واستملح تعريضه

وسَبْعَه • بَوّاه مها [illegible] وصدّره على تكرِمته •

ثـم استحضر عشرَ صِحافٍ من الغَرَب • فيـها حَلْواءُ القَنْد

والضَّرَب • وقال له لا يَسْتوِى أصحابُ النّار واصحابُ الجَنّة •

ولا يَسَعُ ان يُجعَلَ البرئُ كذِى الظِّنَّة • وهذه الآنيةُ

تَتنزَّل مَنزِلةَ الابْرار • فى صَوْنِ الأسْرار • فلا تُولِها الابْعاد •

ولا تُلْحِقْ هُوْدًا بعاد • ثم أمر خادِمَه بنَقْلِـها الى مَثْواه •

ليَحْكُم فيها بما يَهْواه • فأقبَل علينا ابْو زيدٍ وقال اقْرأُوا

سُورةَ الفَتْح • وأبْشِروا باندِمالِ القَرْح • فقد جَبَرَ اللهُ

ثُكْلَكم • وسنّى أُكْلَكم • وجَمع فى ظِلِّ الحَلْواءِ شَمْلَكم •

وعَسى أنْ تَكْرَهوا شيْئاً وهو خيرٌ لكم • ولمّا همّ بالانصراف •

مالَ الى استهداءِ القِحافِ • فقال لِلآدِبِ إنّ من دلائلِ
الظَّرْفِ • سَماحةَ المُهْدِي بالطُّرَفِ • فقال كلاهما والغُلامُ •
فاحْذِفِ الكلامَ • وانْهَضْ بسَلامٍ • فوَثَبَ في الجوابِ •
وشكَرَه شُكرَ الرَّوْضِ للسَّحابِ • ثمّ اقتادَنا ابو زيدٍ الى
جِوائِه • وحَكَّمَنا في حَلوائِه • وجعَلَ يُقلِّبُ الأواني بيدِه •
ويَغُضُّ عدَدَها على عدَدِه • ثمّ قالَ لَسْتُ أدْري أشْكُرُ
ذلكَ التَّمامَ أمْ أكْفُرُ • وأتناسى فَعْلَتَه أم أذْكُرُ • فإنّه
وإن كانَ أسْلَفَ الجريرةَ • ونَمْنَمَ النَّميمةَ • فمِن غَيْبِه انْهَلَّتْ
هذِه الدِّيمةُ • وبسَيْفِه انحازَتْ لي هذه الغَنيمةُ • وقد خَطَرَ
ببالي • أن أرْجعَ الى أشبالي • وأقنعَ بما تسنّى لي •
ولا أُتْعِبَ نفْسي ولا أجمالي • وأنا أُوَدِّعُكم وداعَ مُحافِظٍ •

واستودعكم خير حافظ • ثم استوى على راحلته • راجعاً في حافرته • ولاوياً الى زافرته • فغادرنا بعد أن وخدت عنسه • وزايلنا أنسه • كشنّ غابَ صدره • أو ليلٍ أفل بدره •

المقامة التاسعة عشر النصيبية

روى الحارث بن همّام قال أمحل العراق ذات العُوَيم لاختلاف أنواء الغيم • وتحدّث الرُّكبان بريف نصيبين • وبلهنية أهلها المخصبين • فاتخذت مهريّاً • واعتقلت سمهريّاً • وسرت تلفظني أرضٌ الى أرض • ويجذبني رفعٌ من خفض • حتى بلغتها نقضاً على نقض • فلما أنخت بمغناها الخصيب • وضربت في مرعاها بنصيب • نويت أن أُلقي بها جراني • وأتخذ أهلها جيراني • الى أن تنجلي السنة

الجماد

جمان، ويتعهد أرض قومي العهاد، فوالله ما تمضمضت
مقلتي بنومها، ولا تمخضت ليلتي عن يومها، أو ألفيت أبا
زيد السروجي يجول في أرجاء نصيبين، ويخبط بها خبط
المصابين والمصيبين، وهو ينثر من فيه الدرر، ويحتلب بكفيه
الدرر، فوجدت جهادي قد حاز مغنماً، وقدحي الفذ
قد عاد توأماً، ولم أزل أتبع ظله أينما انبعث، وألتقط لفظه
كلما نفث، إلى أن عراه مرض امتد مداه، وعرقته مداه،
حتى كاد يسلبه ثوب المحيا، ويسلمه إلى أبي يحيى،
فوجدت لفوت لقياه، وانقطاع سقياه، ما يجده المبعد عن
مرامه، والمرضع عند فطامه، ثم أرجف بأن رهنه قد غلق،
ومخلب الحمام به قد علق، فقلق صحبه لإرجاف المرجفين،

وانثالوا الى عقوته موجفين * نظم *

* فكيا ترى يميني بهم شجوهم * كانهم ارتضعوا الخندريسا *

* اسالوا الغروب وعطوا الجيوب * وصكوا الخدود وشجوا الرؤوسا *

* يودون لو سالبه المنون * وغالت نفائسهم والنفوسا *

قال الراوي وكنت فيمن التف باصحابه * واغذ الى

بابه * فلما انتهينا الى فنائه * وتصدينا لاستشفاء انبائه *

برز الينا فتاه * مفترة شفتاه * فاستطلعناه طلع الشيخ في

شكاته * وكنه قوى حركاته * فقال قد كان في قبضة المرضة *

وعركة الوعكة * الى ان شفه الدنف * واستشفه التلف *

ثم من الله بتلافيه ما به * فافاق من اغمائه * فارجعوا

اداراجكم * واتضروا انزعاجكم * فكان قد غدا وراح *

وسا

وساءنا تحكّم الرّاح . فأعظمنا بشراه . واقترحنا أن نراه . فدخل مؤذننا بنا . ثم خرج آذنا لنا . فلقينا منه لقىً . ولسانا طلقاً . وجلسنا محدقين بسريره . محدّقين إلى أساريره . فقلّب طرفه في الجماعة . ثم قال اجتلوها بنت الساعة . وانشد * نظم *

* عافاني الله وشكراً له * من علّةٍ كادت تعفّيني *
* ومنّ بالبرء على أنّه * لا بدّ من حتفٍ سيبريني *
* ما يتناساني ولكنّه * إلى تقضّي الأكل ينسيني *
* إن حمّ لم يغنِ حميمٌ ولا * حيّ كليبٍ منه يحميني *
* وما أبالي أدنا يومه * أم أخّر الحين إلى حين *
* فأيّ فخرٍ في حياةٍ أرى * فيها البلى يا قوم يبليني *

قال فدعونا له بامتداد الأجل . وارتداد الوجل . ثم

قد اعينا الى القيام • لا قتناء الإبرام • فقال كلا بل البثوا بياض
يومكم عندي • اتشتغلوا بالمفاكهة وجدي • فان منا جاءتكم
قوت نفسي • ومغناطيس انسي • فتحرينا مرضاته • وتحامينا
معاصاته • ثم اقبلنا على الحديث نمخض زبده • ونلغي
زبده • الى ان حان وقت المقيل • وكلت الألسن من القال
والقيل • وكان يوما حامي الوديقة • يانع الحديقة •
فقال ان النعاس قد امال الأعناق • وراود الآماق • وهو
خصم ألد • وخطب لا يرد • فصلوا حبله بالقيلولة • واقتدوا
فيه بالآثار المنقولة • قال الراوي فاتبعنا ما قال • وقلنا وقال •
فضرب الله على الآذان • وأفرغ السنة في الأجفان •
حتى خرجنا من حكم الوجود • وصرنا بالهجود عن السجود •

ا استيقظنا إلّا والخرّقد باخ • واليومُ قد شاخ • فتذكّرْ عنا

ملوة العجّاوين • وأذّينا ما حلّ من الدّين •

م تحثحثنا للارتحال • الى مُلتقى الرّحال • فالتفت

بو زيدٍ الى شِبله • وكان على شاكلته وشكله • وقال

نِي لا خال ابا عمرة • قد اضرم فى احشائهم الجمرة •

ستدعِ ابا جامعٍ • فانّه بشرى كلّ جائعٍ • واردِفه

ابى نُعيمٍ • الصّابر على كلّ ضيمٍ • ثمّ عزّز بابى حبيبٍ •

لمحبّب الى كلّ لبيبٍ • المقلّب بين إحراقٍ وتعذيبٍ •

اهِب بابى ثقيفٍ • فحبّذا هو من اليفٍ • وهَلُمّ بابى

ونٍ • فما مثله من عونٍ • ولو استحضرت ابا جميلٍ • فجمّل

ى تجميلٍ • وحيّ هلا بأمّ القرى • المذكّرة بكسرى •

لا تنتنا س أُمَّ جابرٍ • فكم لها من ذاكرٍ • ونادِ أُمَّ الفرج • ثُمَّ افتتك بها ولا تخرج • واختم بابى زرين • فهو مسلاة كلِّ حزينٍ • وإن تقرن به أبا الغلاء • فنعم أشبهك من البُخلاء • وإيّاك واستدناء المُرجفين • قبل استقلالِ حمولِ البين • وان انتزع القومُ عن المراس • وصافحوا أبا إياس • فأطف عليهم أبا السرو • فإنّه عُنوانُ السرو • قال فقفته ابنهُ لطائفَ رموزِه • بلطافةِ تمييزِه • فطاف علينا بالطيّبات والطيّب • الى أن دنت الشمسُ بالمغيب • فلمّا أجمعنا على التوديع • قلنا له ألم ترالى هذا اليومِ البديع • كيف بدا صُبحُه مُقطِراً • ومسيه مُستنيراً • فسجد حتّى أطال •

ثم رفع راسه وقال ❁ نظم

* لا تيأسن عند النوب * من فرجة تجلو الكرب *

* فلكم سموم هب ثم جرى نسيما فانقلب *

* وسحاب مكروه تنشأ فاضمحل وما سكب *

* ودخان خطب خيف منه لها استبان له لهب *

* ولطالما طلع الأسى * وعلى تفيئته غرب *

* فاصبر إذا ما ناب روع فالزمان ابو العجب *

* وترج من روح الإله لطائفا لا تحتسب *

قال فاستملينا أبياته الغر * واليتنا لله تعالى الشكر

* وفد غداة مسرورين ببره * مغمورين ببره *

تفسير ما تضمنته هذه المقامة من الألفاظ اللغوية

وكنى طفيلية وكنايات صوفية قوله

ذاتُ العُوَيْمِ يعني به الزَّمانَ المُتَقادِم . ومِثْلُه ذاتُ الزُّمَيْن . والسَّمْهَرِيَّةُ الرِّماحُ . وفي تَسْمِيَتِها بذلك قولان . احدُهما انَّها سُمِّيَتْ به لصَلابَتِها من قولهم اسمهَرَّ الشئُ اذا اشتَدَّ . وقيل إنَّها منسوبةٌ الى سَمْهَر زوجَ رُدَيْنَةَ وكانا جميعًا يُقوِّمان الرِّماحَ فنُسِبَتْ اليهما . وقوله نفَضْنا على نَفْضٍ اى مَهْزُولًا على مهزولٍ وقوله والجِرانُ باطنُ العُنُق وقيل إنّ البِساطَ تُعْمَل منه وقوله فضَرَبَ اللهُ على الآذانِ اى أَنامَنا ومنه قوله عزَّ وجلَّ فضَرَبْنا على آذانِهم في الكَهْفِ اى أَنَمْنا هم وقيل في تفسيره مَنَعْناهم السَّمعَ وقوله تَكَرَّعْنا لصَلوةِ العَجْماوَيْن اى غَسَلْنا أكارِعَنا وهو كِنايةٌ عن الوُضوء والعَجْماوانِ صلوةُ الظُّهْر

والعصر

والعصر سُميتا بذلك لاشتراك القراءة فيهما ومنه الحديث

صلوة انّها رِعجماء وقوله هَلُمّ اى تعال وهى بمعنى

هات و بمعنى اقبل و الافصح ان يُوحّد لفظها مع المذكّر

والمونث و الاثنين والجمع وبه نطق القرآن فى قوله تعالىٰ

والقائلين لاِخوانهم هَلُمّ الينا ومن العرب من يقول

للمذكر الواحد هلمّ وللاثنين هلمّا وللجمع هلموا وللمونث

الواحدة هلُمِّي وللاثنتين هَلُمّا وللجمع هَلْمُمْن وقوله حَيّ

هَلَ اي عَجّلْ يقال حَيَّ هَلْ بفلان بتسكين اللام وفتحها

و تنوينها و باثبات النون معها و منه قول ابنِ مسعودٍ فى

عُمر رَضِيَ اللّهُ عنهما اذا ذُكِرالصّالحون فحيّ هلاً بعُمر

وفى حَيَّ هَلَ لُغاتٌ اُخرٌ اَضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا

موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغوية

واما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوتية

فابو يحيى كنية ملك الموت • وابو عمرة كنية الجوع

ويكنى ايضا ابا مالك • وابو جابر الخبز • وابو نعيم

الخبز الحوارى • وابو حبيب الجدى • وابو ثقيف

الخل • وابو عون الملح • وابو جميل البقل • وام القرى

السكباج • وام جابر الهريسة • وام الفرج الجوذابة •

وابو زين الخبيص • وابو العلاء الفالوذج • وابو

اياس الغسول • والمرجفان الطست والابريق • وابو النشر البخور

المقامة العشرون الميّافارقينيّة

حكى الحارث بن همام قال يمّمت ميّافارقين • مع رفقة

موافقين

مُوافِقِين ، لا يُمارُون في المُناجاة ، ولا يَفترقون عمّا قطع

المُداجاة ، فكنتُ بهم كمَن لم يَرِمْ عن وِجارِه ، ولا ظعَن

عن بالِيفه وجارِه ، فلمّا أنخنا بها مطايا التّسيارِ ، وانتقلنا

عن الأكوار الى الأوكار ، تواصَينا بتذكارِ الصُّحبة

وتناهَينا عن التقاطُع في الغُربة ، واتّخذنا ناديًا نعتمِرُه

طرَفَي النّهار ، ونتهادى فيه طُرَف الأخبار ، فبينا نحنُ

فيه في بعض الأيّام ، وقد انتظمْنا في سِلك التِئام

وقفَ علينا ذو مِقولٍ جَرِيّ ، وجَرسٍ جُهُورِيّ ، فحيّا تحيّةَ

نفّاثٍ في العُقَد ، ثمّ قال للأسَد والنّقَد ، ثُمّ قال * نظم *

* عندي يا قوم حديثٌ عجيبْ * فيه اعتبارٌ للّبيب الأريبْ *

* رأيتُ في رَيعانِ عُمْري أخا * بأسٍ له حدُّ الحُسامِ القَضيبْ *

ويقدم في المعرك اقدام من * يوقن ما لقدّك ولا يستريب *

فيفرج الضيق بكراتــه * حتى يرى ما كان ضنكا رحيب *

حمايا من الاقران الا انثنى * عن موقف الطعن برمح خضيب *

ولا سما يفتح مستصعبا * مستغلق الباب منيعا مهيب *

الا ونودي حين يسموله * نصر من الله وفتح قريب *

هذا وكم من ليلة باتها * يميس في برد الشباب القشيب *

يرتشف الغيد ويرشفنه * وهو لدى الكل المفدى الحبيب *

فلم يزل ينتشر ذكره * ما بين بطش وعتو يصطليب *

حتى اصابته الليالي لقى * يعانه من كان منه قريب *

قد اعجز الراقي تحليل ما * به من الداء واعيى الطبيب *

وصار رم البيض وصارمه * من بعد ما كان الحجاب المجيب *

واض

وآضَ كالمَنْكُوسِ فى خَلْقِهِ * ومَن يَعِشْ يَلْقَ دَواهِى

وها هُوَ اليومَ مُسَجًّى نَمَنْ * يَرْغَبُ فى تكفينِ مَيْتِ

ثُمّ أَعْلَنَ بالنَّحِيبِ . وبكى بُكاءَ المُحِبِّ على الحبيبِ * وا

دَمْعَتُهُ . وانفثأتْ لَوعَتُهُ . قال يا أَنْجِعَةَ الرُّوّادِ . وقُدْوَةَ الأ

واللّهِ ما نفثتُ بِبُهْتانٍ . ولا أَخبرتُكم إلا عن عِيانٍ . ولو

عصايَ سَيْرَه . ولغيتمى مُطَيْرَه . لاستأثرتُ بما دعوتُك

ولَمَا وقفتُ موقِفَ الدالِّ عليه . ولكن كيف ال

بلا جَناحٍ . وهل على مَن لا يَجِدُ مِن جُناحٍ * قال ال

وطفِقَ القومُ يأتمِرون فيما يأمُرون . ويتناجون فيما

فتوهّمَ أنّهم على صَرْفِهِ بحِرْمانِه . وخطّ البيتَه ببُرْء

تفرّطَ منه أن قال يا يلامِعَ القناعِ . ويرامِعَ البِقاعِ

الاستحياء • الذى يأباه الحياء • حتى كانكم كلفتم مشقة
شقة • او استوهبتم بلدة لا بردة • او هززتم لكسوة
البيت • لا لتكفين الميت • أف لمن لا تندى صفاته • ولا ترشح
خصاته • فلما بصرت الجماعة بذلاقته ومرارة
مذاقته • رفأه كل بنيله • واحتمل ظله خوف سيله

قال الحارث بن همام وكان هذا السائل واقفا خلفى •
ومحتجبا بظهرى عن طرفى • فلما ارضاه القوم بسيبهم •
وحق على التاسى بهم • خلعت خاتمى من خنصرى •
ولفت اليه بصرى • فاذا هو شيخنا السروجى بلا فرية •
ولا مرية • فايقنت انها اكذوبة تكذ بها • واحبولة نصبها •
الا اننى طويته على غره • وصنت شغاذ عن نره • فحصبته
بالخاتم

بالخاتم • وقلت أن صنعه لنفقة لما تم منبقال واها للذي
فما أضرم شعلتك • وأكرم نغلتك • ثم انطلق يسعى قدما
ويهرول هرولته قدما • فنزعت الى عرفان شيخه • وامتحان
دعوى حميته • فقرعت ظنبوبي • والهبت ألهوبي • حتى
أدركته على غلوة • واجتليته في خلوة • فأخذت بمجمع
أردانه • وعقته عن سنن ميدانه • وقلت والله مالك مني
ملجأ ولا منجا • أو تريني ميتك المسجى • فكشف عن
سراويله • وأشار الى غرموله • فقلت له قاتلك الله فما أعبثك
بالنهى • وأحيلك على اللهى • ثم عدت الى أصحابي عودة
الرائد الذي لا يكذب أهله • ولا يبرقش قوله • وأخبرتهم
بالذي رأيت • وما وريت ولا رأيت • فقهقهوا من كيت

وكَنَيتَ • ولعَلَّهُ انّهُ الكَ الميّت •

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارثُ بن همام • قال عُنِيتُ مُذ أحكمتُ تدبيري • وعرَفتُ قبيلي من دَبيري • بأنْ أُصغيَ إلى العِظات • وأُلغيَ الكَلِمَ المُحفِظات • لأتَحلّى بمحاسنِ الأخلاق • وأتخلّى ممّا يَسِمُ بالإخلاق • وما زِلتُ آخُذُ بهذا الأدب • وأُخمِدُ به جمرةَ الغضب • حتّى صارَ التَّطبُّعُ فيه طِباعا • والتَّكلُّفُ له هَوىً مُطاعا • فلمّا حللتُ بالرَّيّ • وقد حلَلتُ حُبا الغَيّ • وعرَفتُ الحيَّ من اللَّيّ • رأيتُ بها ذاتَ بُكرة • زُمرةً إثرَ زُمرة • وهم منتشرون انتشارَ الجراد • ومُستنّون استنانَ الجِياد • ومتواصِفون واعِظًا يقصِدونه • ويُحِلّون

ابن

ابنُ شَعُوبٍ دونه • فلم يتمالك أنْ نبى لاستماعِ موعظ

لم

واختبارِ الواعظ • أنْ آسِيَ اللاغِطَ • واحتمِلَ الضاغِطَ

فأصحبْتُ إصحابَ المطاوعةِ • وانخرطتُّ في سِلْكِ الجماعةِ •

حتّى أفضَيْنا الى نادٍ جمعَ الاميرَ والمامورَ • وحشدَ النَّبيهَ

والمغمورَ • وفي وَسَطِهَا لبسه • ووسْطِ أهلَّته • شيخٌ

قد تقوَّس واقعنسسَ • وتقنَّس وتطلَّس • وهو يصدَعُ ببراعةٍ

يَشفي الصدورَ • ويُلين الصخورَ • فسمعتُه يقول • وقد افتتنت

به العقولُ • ابنَ آدمَ ما أغراك بما يغرُّك • وأضراك

بما يضرُّك • وألهجك بما يُطغيك • وأبهجك بمن يُطريك •

تُعنّى بما يُعنّيك • وتُهمِل ما يَعنيك • وتنزِع في قوسِ تعدّيك •

وتتردّى بالحرصِ الذي يُرديك • لا بالكفافِ تقتنع •

ولا من الحرامِ تمتنع • ولا للعظاتِ تستمع • ولا بالوعيد ترتدع • دأبك أن تتقلب مع الأهواء • وتخبط خبط العشواء • وهمك أن تدأب في الاحتراث • وتجمع التراث للوراث • يعجبك التكاثر بما لديك • ولا تذكر ما بين يديك • وتسعى أبداً لغاريك • ولا تبالي ألك أم عليك • أتظن أن ستترك سدى • وأن لا تحاسب غداً • أم تحسب أن الموت يقبل الرشا • أو يميز بين الأسد والرشا • كلا والله لن يدفع المنون • مال ولا بنون • ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور • فطوبى لمن سمع ووعى • وحقق ما ادعى • ونهى النفس عن الهوى • وعلم أن الفائز من ارعوى • وأن ليس للانسان الا ما سعى • وأن سعيه

سوف

سوف يُرى. ثم انشد انشادَ وَجِلٍ • بصوتٍ زجِلٍ * نظم *

* أَعَمْرُكَ ما تُغْنِي المَغانِي و لا الغِنىٰ *

* اذا سَكَن المُثْرِي الثَّرىٰ و ثوىٰ به *

* فَجُدْ في مَراضِي اللهِ بالمالِ راضياً *

* بما تَقْتَنِي من اَجْرِهِ و ثوابِهِ *

* و بادِرْ به صَرْفَ الزَّمانِ فانَّهُ *

* بِمِخْلَبِهِ الأَشغىٰ يَغُوْلُ و نابِهِ *

* ولا تأمَنِ الدَّهرَ الخَؤُوْنَ ومَكْرَهُ *

* فكم خامِلٍ أَخنىٰ عليه ونابِهِ *

* وعاصِ هَوى النَّفْسِ الَّذي ما أَطاعَهُ *

* أُخُو ضَلَّةٍ الا هَوىٰ من عقابِهِ *

* وحافظ على تقوى الاله وخوفه *

* لتنجو مما يتقى من عقابه *

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه *

* بدمع يضاهى الوبل حال مصابه *

* ومثل لعينيك الحمام ووقعه *

* وروعة ملقاه ومطعم صابه *

* وان قصارى مسكن الحى حفرة *

* سينزلها مستنزلا عن قبابه *

* فواها لعبد ساءه سوء فعله *

* وابدى التلافى قبل اغلاق بابه *

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها * وتوبة يظهرونها *

حتى

حتّى كادت الشمسُ تزولُ • والفريضةُ تعولُ • فلمّا خشعت الأصواتُ • والتأمَ الانصاتُ • واستكنّت العبَراتُ • والعباراتُ • استصرخ مُستصرخٌ بالامير الحاضر • وجعل يجأرُ اليه من عامله الجائر • والاميرُ صاغٍ الى خصمه لاهٍ عن كشف ظلمه • فلمّا أيسَ من رَوْحه • استنهض الواعظ لنصحه • فنهض نهضة الشّمّير • وانشد معرّضا بالامير • نظا

*عجباً لراجٍ أن ينال ولايةً *

*حتّى اذا ما نال بغيته بغى *

*يسدى ويلحم في المظالم والخنا *

*في وزنها طغوا وطورا اسوّلها *

* ما ان يبالى حين يتبع الهوى *

* فيها أصلح دينه ام اوتغا *

* يا ويحه لو كان يوقن انه *

* ما حاله الا تحول لما طغا *

* أو لو تبين ما له امه من صغا *

* سمعا الى افك الوشاة لما صغا *

* فانقذ لمن اضحى الزمام بكفه *

* وتغاض ان الغى الرعاية اولغا *

و انزع المرا ازاله ان عاك لو غيه *

* وير الاجاج اذا اخماك الا *

* واخمل اذا اه ولو امقتك مسه *

* وأسالَ غَرْبَ الدَّمع منك وأفرَغا *

* فَلَيُضحِكنْكَ الدَّهرُ منه اذ انبَرا *

* عنه وشبَّ لكَيْدِهِ نارَ الوَغى *

* ولَيُنزِلَنَّ به الشَّمات اذ ابَدا *

* مُتخلِّياً من شُغلِه مُتفرِّغا *

* ولَتأوِيَنَّ له اذا ما خَدَّه *

* اَضحى على تُرْب الهَوان مُمَرَّغا *

* هذا له ولسوف يُوقَفُ مَوْقِفاً *

* فيه يُرى رَبُّ الفصاحة اَلثَغا *

* وليُحشَرَنَّ اذَلَّ من نَقْعِ الفَلا *

* ويُحاسَبَنَّ على النَّقيصة والشَّغا *

* ويواخذن بما اجتنى وبما اجتبى *

* ويطالبن بما اكتسى وبما ارتدى *

* ويناقشن على الدقائق مثل ما *

* قد كان يفعل بالورى بل ابلغا *

* حتى يعض على الولاية كفه *

* ويود لو لم يبغ منها ما بغى *

ثم قال ايها المتوشح بالولاية . المترشح للرعاية . دع الادلال بدولتك . والاغترار بصولتك . فان الدولة ريح قلب . والقدرة برق خلب . وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته . واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته . فلا تك ممن يذر الآخرة ويلغيها . ويحب العاجلة

العاجلةَ ويُبْتغيْها • ويَظلِمُ الرَّعيَّةَ ويُؤْذِيها • واذا تولَّى سعى

في الارض ليفْسِدَ فيها • فواللهِ ما يَغفُل اللهُ يا أنْ • ولاتُهْمَلُ

يا انسانُ • ولا يُلْغى الاساءةُ والاحسانُ • بل سيوضَعُ لك الميزانُ •

وكما تَدِينُ تُدانُ • قال فوَجَمَ الوالى لِما سَمِعَ • وامتُقِعَ لونُهُ

وانتُقِعَ • وجعَلَ يَتأفّفُ من الامْرة • ويُرْدِفُ الزَّفْرةَ بالزَّفْرة •

ثُم عَمَدَ الى الشَّاكي فأَشْكاه • والى المُشكُوِّ فَشَجاه • وأَلطَفَ

الواعِظَ وحَباه • وعَزَمَ عليه أنْ يَغشاه • فانْقلب عنه

المظلومُ منصورًا • والظالِمُ محصورًا • وبَرَزَ الواعِظُ يتهادَى

بين رُفْقتِهِ • ويتَباهَى بفوزِ صفْقتِهِ • واعْتقبتُه أخطو مُتقاصِرًا •

وأُرِيه لَمحًا باصِرًا • فلمَّا استشَفَّ ما أُخفِيه • وفطِن لتقلُّب

وَجْهِي فيه • قال خيرُ دَليلَيْك مَن أرْشَدَ • ثُم اقترَبَ

مِنّي وأنشدَ * نظم *

* أنا الّذي تعرفونَهُ يا حارِثُ * حِدْثُ ملوكٍ نَكِهٌ مُنافِثُ *

* أُطْرِبُ ما لا تُطْرِبُ المَثالِثُ * طوراً أخو جِدٍّ وطوراً عابِثُ *

* ما غيّرتني بَعْدَكَ الحوادِثُ * ولا التَحى عُودي خَطْبٌ كارِثُ *

* ولا فَرى نابي حَدٌّ فارِثُ * بل مِخْلَبي بكلّ صَيْدٍ ضابِثُ *

* وكُلُّ سَرْحٍ فيهِ ذِئبي عائِثُ * حتّى كأنّي للأنامِ وارِثُ *

* سامُهُم وحامُهُم ويافِثُ *

قال الحارث بن همام * فقلتُ تاللهِ إنّكَ لأبو زيد *

ولقد نُمتَ اللهِ ولا عَمْرو بنَ عُبَيْدٍ * فتَهَلَّلَ تهلُّلَ الكريم

لهذا الأمّ * وقال اسمَعْ يا ابنَ أُمّ * نظم *

* عليكَ بالصِّدْقِ ولو أنّهُ * أحرقكَ الصدقُ بنارِ الوعيد *

* وابغِ رِضا اللهِ فاَغبى الورى * مَن اَسخط المولى وارضى العبيد *

ثم إنه وَدَّع أخدانه . وانطلق يسحب أردانه . فطلبناه
مِنْ بعدُ بالرَّيِّ . واستنشرنا خبره من مدارج الطَّيِّ . فما فينا
من عرف قراره . ولا درى ايُّ الجراد عاره .

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارث بن همام قال اَوَيتُ في بعضِ الفترات .
الى سقي الفرات . فلقيتُ بها كُتّاباً ابرع من بني الفرات .
واعذب اخلاقاً من الماء الفرات . فاَلِفتُ بهم لِتَهذُّبِهم
لا لذهبهم . وكاثرتهم لأدبهم لا لمأدُبِهم . فجالستُ منهم
أضرابَ القعقاع بن شور . ووصلتُ بهم الى الكَورِ بعد
الحَور . حتّى انهم اشركوني في المرتع والمربع . واحلّوني

مُحَلّ الأَنْمُلة من الإِصْبَع • واتّخذونى اينَ أُنْسِهم عَهْدَ
الولاية والعَزْل • وخازِنَ سِرّهم فى الجِدّ والهَزْل •
فاتّفق أن نَدِبُوا فى بَعْضِ الأَوْقات • لاِستقراءِ مَزارِع
الرُّزْداقات • فاختارُوا من الجَوارِى المُنْشيات • جاريةً
حالِكةَ الشِّيات • تَحْسَبُها جامدةً وهى تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب •
وتَنْسابُ فى الحَبابِ كالحُباب • ثُمّ دَعَوْنى الى المُوافَقة •
واستدعَوْنى للمُرافَقة • فلمّا تَوَرَّكْنا على المَطِيَّة الّتى هَمّا •
وتَبطَّنّا الوَالِجَةَ الماشِيةَ على الماء • أَلْفَيْنا بها شيخًا عليه
سَحَقُ سِربالٍ • وسِبُّ بالٍ • فعافتِ الجماعةُ مَحْضَره • وعَنَّفَتْ
من أَحْضَره • وهَمَّتْ بإبرازِه من السَّفينه • لولا ما ثابَ
اليها من السَّكِينة • فلمّا لَمَح مِنّا استثقالَ ظِلّه • واستبراهَ

مِلّه • تعرّض لمنافثة تصمّت • وتجهّد لّ بعد أن عطّش
فيما شئت • فأخذنا يتطرّف فيما آلت حالُه إليه • وينتظر نصرة
المبغيّ عليه • وجلنا نحن في شجونٍ • من جدٍّ ومجونٍ •
الى أن اعترض ذكرُ الكتابتين وفضلهما • وتبيانِ
أفضلهما • فقال قائلٌ إنّ كتبة الانشاء أنبل الكُتّاب •
ومال مائلٌ الى تفضيل الحُسّاب • واحتدّ الحجاجُ •
وامتدّ اللجاجُ • واشتدّ الضجاجُ • حتّى اذا لم يبقَ للجدال
مَطرَحٌ • ولا للمراء مَسرَحٌ • قال الشيخُ لقد أكثرتم يا قوم
اللّغطَ • وأثرتم الصوابَ والغلطَ • وإنّ جليّةَ الحكم
عندي • فارتضوا بنقدي • ولا تستفتوا أحدًا بعدي
اِعلموا أنّ صناعة الانشاء أرفع • وصناعة الحساب أنفع

وقلم المكاتبة خاطب • وقلم المحاسبة حاطب • وأساطير البلاغات تنسخ لتدرس • ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس • والمنشى جهينة الأخبار • وحقيبة الأسرار • ونجي العظماء • وكبير الندماء • وتلهنه لسان الدولة • وفارس الجولة • ولقمان الحكمة • وترجمان الهمة • وهو البشير والنذير • والشفيع والسفير • به تستخلص الصياصي • وتملك النواصي • ويقتاد العاصي • ويستدنى القاصي • وصاحبه بريء من التبعات • آمن كيد السعاة • مقرظ بين الجماعات • غير معرض لنظم الجماعات • فلما انتهى في الفصل • الى هذا الفصل • لحظ من لمحات القوم انه ازدرع حبا وبغضا • وأرضى بعضا وأحفظ بعضا • فعقب كلامه بان

بأنْ قال إلّا أنّ صِناعةَ الحِساب موضوعةٌ على التَّحقيق • وصِناعةَ الإنشاءِ مَبْنِيَّةٌ على التَّلْفيق • وقَلَمُ الحاسِبِ ضابِطٌ • وقَلَمُ المُنْشِئِ خابِطٌ • وبين إتاوَةِ توظيفِ المُعامَلات • وتِلاوَةِ طَوامِيرِ السِّجِلَّات • بَوْنٌ لا يُدْرِكُه قِياسٌ • ولا يَعْتَوِرُه التِباسٌ • اذ الإتاوَةُ تَمْلأُ الأَكْياسَ • والتِّلاوةُ تُفَرِّغُ الرّاسَ • وخَراجُ الأَوارِجِ يُغْني النّاظِرَ • واستِخراجُ المَدارِجِ يُعَنّي النّاظِرَ • ثمّ إنّ الحَسَبَةَ حَفَظَةُ الأَمْوال • وحَمَلَةُ الأَثْقال • والنَّقَلَةُ الأَثْبات • والسَّفَرةُ الثِّقات • وأَعْلامُ الإنْصاف والانْتِصاف • والشُّهودُ المَقانِعُ في الأَخْلاف • عند اشْتِجارِ الرِّجال • واشْتِعارِ الجِدال • ومنهم المُسْتَوفي الّذي هو يَدُ السُّلطان • وقُطْبُ الدِّيوان • وقِسْطاسُ

الأعمال • والمهيمن على العمال • واليه المآب في السلم والهرج • وعليه المدار في المدخل والمخرج • وبه مناط الضرّ والنفع • وفي يده رباط الاعطاء والمنع • ولولا قلم الحساب • لأودت ثمرة الاكتساب • ولاتصل التغابن الى يوم الحساب • ولكان نظام المعاملات محلولاً • وجرح الظلامات مطلولاً • وجيد التناصف مغلولاً • وسيف التظالم مسلولاً • على ان يراع الانشاء متقوّل • ويراع الحساب متأوّل • والمحاسب مناقش • والمنشيء ابو براقش • ولكليهما حُمَة حين يرقى • الى ان يلقى ويرقى • واعنات فيما ينشئ • حتى يغشى ويرشى • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم • قال الحارث بن همّام فلما امتنع الاسماع • بهاراق وراع • استنشبنا • فاستراب

فاستراب • وأبى الانتساب • ولو وجد منسباً لانتساب

فحصلت من لبسه على غمّة • حتى ادّكرت بعد أمّة • فقلت

والّذي سخّر الفلك الدوّار • والفلك السيّار • إنّي لأجد

ريح ابي زيد • وإن كنت أعهده ذا رواء وأيد • فتبسّم

ضاحكاً من قولي • وقال أنا هو على استحالة حالي

وحولي • فقلت لأصحابي هذا الذي لا يفرى فريّه • ولا يبارى

عبقريّه • فخطبوا منه الودّ • وبذلوا له الوجد • فرغب

عن الألفة • ولم يرغب في التحفة • وقال أمّا بعد أن

سحقتم حقّي • لأجل سحقي • وكسفتم بالي • لإخلاق

سربالي • فما أراكم إلّا بالعين السخينة • ولا لكم منّي

إلّا صحبة السفينة • ثمّ أنشد * نظم *

* إسمع أخيّ وصيّة من ناصحٍ *

* ما شاب محض النصح منه بغشه *

* لا تعجلن بقضيّةٍ مبتوتةٍ *

* في مدح من لم تبله وخدشه *

* وقف القضيّة فيه حتّى تجتلي *

* وصفيه في حالي رضاه وبطشه *

* ويبين خلّب برقه من صدقه *

* للشائمين ووبله من طشّه *

* فهناك إن ترما يشين فواره *

* كرما وإن ترما يزين فأفشه *

* ومن استحقّ الارتقاء فرقّه *

ومن

* ومن استحطّ فحطّه في حشّه *

* واعلم بأنّ التبر في عرق الثرى *

* خاف الى ان يستثار بنبشه *

* وفضيلة الدينار يظهر سرّها *

* من حكّه لا من ملاحة نقشه *

* ومن الغباوة ان تعظّم جاهلاً *

* لصقال ملبسه ورونق رقشه *

* او ان تهين مهذّباً في نفسه *

* لدروس بزّته ورثّة فرشه *

* ولكم اخى طمرين هيب لفضله *

* ومفوّف البردين عيب لفحشه *

* وإذا الفتى لم يَغْشَ عاراً لم تَكُنْ *

* أَسمالُه الأَطمارُ فى غَرْشِه *

* ما إنْ يَضُرُّ العَضْبَ كونُ قرابه *

* خَلَقًا ولا البازِىْ حقارةُ عُشِّه *

ثم ما هَيَّمَ أن استوقفَ الملّاحَ • وصَعِدَ من السَّفِينَةِ وساحَ • نندِمَ كلٌّ مِنّا على ما فَرَّطَ فى ذاتِه • وأغضى جَفْنَه على قَذاتِه • وتعاهَدْنا على أنْ لا نَحْتَقِرَ شَخْصًا لِرَثاثةِ بُرْدِه •

وأنْ لا نَزْدَرِىَ سَيْفًا مَخْبُوًّا فى غِمْدِه •

المقامةُ الثالثةُ والعشرون البغداديّةُ

حكى الحارثُ بن همّام قالَ نَبا بى مَأْلَفُ الوَطَنِ • فى شَرْخِ الزَّمَنِ • لِخَطْبٍ خُشِىَ • وخَوْفٍ غَشِىَ • فأَرَقْتُ كأسَ

الكرى •

الكرى • ونَصَصْتُ رِكابَ السُّرى • وجُبْتُ في سَيْري وغَوْراً لم تُدَمِّنْها الخُطا • ولا اهْتَدتْ اليه القَطا • حتّى وَرَدتُّ حِمَى الخِلافة • والحَرَمُ العاصِمُ من المَخافة • فسَرَوْتُهُ اِيْجاسَ الرَّوْع واستشعارَه • وتَسَرْبَلْتُ لِباسَ الأَمْنِ وشِعارَه • وقَصرتُ هَمّي على لَذَّةٍ اَجْتَنِيها • ومُلْحةٍ اَجْتَلِيها • فبَرَزتُ يوماً الى الحريم • لِاَرُوضَ طِرْفي • واُجِيلَ في طُرَفِه طَرْفي • فاذا فُرْسانٌ مُتَتالُون • ورِجالٌ مُنْثالُون • وشيخٌ طويلُ اللِّسان • قصيرُ الطَّيْلَسان • قد لَبَّبَ فَتىً جديدَ الشَّباب • خَلَقَ الجِلْباب • فرَكَضْتُ اِثْرَ النَّظّارة • حتّى وافَيْنا بابَ الإمارة • وهُناك صاحِبُ المَعُونة مُتَرَبِّعاً في دَسْتِه • ومُرَوِّعاً بسَمْتِه • فقال له الشيخُ اَعَزَّ اللهُ الوالِيَ •

وجُعل كَعْبَـه العالِيَ • إنّي كَفَلْتُ هذا الغُلامَ نطيّاً • وَرَبَّيْتُه يتيماً • ثُمّ لم آلُهُ تعليماً • فلمّا مَهَرَ وبَهَرَ • جَرَّدَ سَيْفَ العُدْوان وشَهَرَ • ولم أَخَلْه يَلْتوي عليّ ويَتّبع • حين يَرْتوي منّي ويَلْتقِع • فقال له الغلامُ علامَ عَثَرْتَ منّي • حتّى تَنْشُرَ هذا الخِزْيَ عنّي • فواللّهِ ما سَتَرْتُ وَجْهَ بِرِّكَ • ولا هَتَكْتُ حِجابَ سِرِّكَ • ولا شَقَقْتُ عَصا أَمْرِكَ • ولا أَلْغَيْتُ تِلاوَةَ شُكْرِكَ • فقال له الشيخُ وَيْلَكَ • وأيُّ رَيْبٍ أَخْزَى من رَيْبِكَ • وهل عَيْبٌ أَفْحَشُ من عَيْبِكَ • وقد ادَّعَيْتَ سِحْرِي واسْتَلْحَقْتَه • وانتَحَلْتَ شِعْرِي واسْتَرَقْتَه • واستراقُ الشِّعْرِ عندَ الشُّعَراء • أَفْظَعُ من سَرِقَةِ البَيْضاءِ والصَّفْراءِ • وغَيْرَتُهم على بَناتِ الأَفْكار • كغَيْرَتِهم على البَناتِ الأَبْكار •

فقال

فقال الوالى للشيخ وهل حِينَ سَرِق سُلَخ • ام مُسَخ ام

فقال والَّذِى جَعَل الشِّعْرَ دِيوانَ العَرَب • وتَرْجَ

الأَدَب • ما أحدثُ سوى أَنْ بَتَرْشَمْلَ شَرحِه • و

على ثُلُثَىْ سَرْحِهِ • فقال أنشِدْ أبياتَك برُمَّتِها •

ما اختاره من جُمْلتِها • فأنشَد • نظم *

* يا خاطِبَ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ إنَّها *

* شَرَكُ الرَّدى وقَرارةُ الأَكْد

* دارٌ متى ما أَضحَكَتْ فى يَوْمِها *

* أَبْكَتْ غداً بُعْداً لها من د

... اأَظلَّ سَحابُها لم يَنْتَقِعْ *

* منه صَدىً لجَهامِه الغَرّ

* غـا رَا تُـها ما تَنْقَضِي وَا سيرُ هـا *

* لا يُفْتدَى بجـلا ئلِ الأَخطا رِ *

* كَمْ مُزْدَهِيً بغرُورِها حتىَّ بَدَا *

* مُتَمَرِّداً مُتَجاوِزاً المِقدا رِ *

* قَلَبتْ لـهُ ظَهْرَ المِجَنِّ واَوْلغتْ *

* فيه المُدَى وَنَزَتْ لأَخْذِ الثَّا رِ *

* فا رْبأْ بعُمْرِك اَن يمُرَّ مُضَيَّعاً *

* فيها سُدىً من غَيْرِما استظـها رِ *

* و اقطَعْ عَـلائِقَ حُبّها وطِلا بِـها *

* تَلْقَ الهُـدى و رفـا هَةَ الأَسْرارِ *

* وارْقُبْ اذا ما بِسالمتْ من كَيْدِها *

* حَرْبَ العِدىٰ وتوثُّبَ الغَدّارِ *

* وَاعلَمْ بأنّ خُطوبَها تفجأُ ولو *

* طالَ المَدىٰ ووَنتْ سُرَى الأقدارِ *

فقال له الوالي ثمّ ماذا صَنَع هٰذا . قال أقْدَمَ للؤْمِهِ في

الجَزاءِ . على أبياتِي السّداسيّةِ الأجزاء . فحذفَ

منها جُزْئين . ونقص من أوزانها وَزْنين . حتّى صارا الرُّزْءُ

فيها رُزْئين . فقال بيّنْ ما أخذ . ومن أينَ فَلَذ .

فقال أَرْعِني سَمْعَك . وأَخْلِ للتفهُّمِ عَنّي ذَرْعَك . حتّى

تتبيّنَ كيف أُصْلِتَ عليَّ . وتَقْدُرَ قَدْرَ اجترائِهِ إليَّ .

ثمَّ أنشدَ . وأنفاسُه تتَصَعَّد . نظم *

* نيا الدَّنيّةِ إنّها شَرَكُ الرَّدا *

* ذا رُمتَنِي ما أضحكتْ * في يومها أبكتْ غدا *

* وإذا أظلّ سحابُها * لم ينتقعْ منه صدا *

* غاراتُها ما تنقضي * وأسيرُها لا يُفتدى *

* كم مُزدهىً بغرورها * حتّى بَدا مُتمرّدا *

* قلبتْ له ظهرَ المِجنِّ * وأولغتْ فيه المُدى *

* فاربأ بعمرك أن يَمرّ * مضيَّعاً فيها سُدى *

* واقطعْ علائقَ حُبّها * وطِلابها تلقَ الهُدى *

* وارقبْ إذا ما سالمتْ * من كيدها حربَ العدا *

* واعلمْ بأنّ خُطوبها * تفجا ولو طال المدى *

فالتفتَ الوالي إلى الغلام . وقال تبّاً لك من خرّيجٍ مارقٍ . وتلميذٍ سارقٍ . فقال الفتى بَرِئتُ من الأدب وبنيه . ولحقتُ

ببن

بهن ينا ويه . ويقوّض مبانيه . إن كانت أبياته نمّت إلى
علمي . قبل أن ألّفت نظمي . وإنما اتّفق توارد الخواطر .
كما قد يقع الحافر على الحافر . قال فكأنّ الوالي
جوّز صدق زعمه . فندم على بادرة ذمّه . وظلّ يفكّر
فيما يكشف له عن الحقائق . ويميّز به الغائق من المائق .
فلم ير إلّا أخذهما بالمناضلة . ولزّهما في قرن المساجلة .
فقال لهما إن أردتما اتضاح العاطل . واتّضاح الحقّ
من الباطل . فتراسلا في النظم وتباريا . وتجاولا في
حلبة الإجازة وتجاريا . ليهلك من هلك عن بيّنة .
ويحيى من حيّ عن بيّنة . فقالا له بلسان واحد . وجواب
متوارد . قد رضينا بسبرك . فمرنا بأمرك . فقال إنّي

مُولَعٌ من أنواعِ البَلاغة بالتجنيس . وأراهُ لها كالرئيس . فأنظِما الآنَ عشرةَ أبياتٍ تُلحِمانها بوَشيِه . وتُرصِّعانها بحَلْيِه . وضمِّنا ها شَرحَ حالي . مع إلفٍ لي بديعِ الصِّفة . ألمَى الشَّفة . مليحِ التثنِّي . كثيرِ التِّيهِ والتجنِّي . مُغرىً بتناسي العَهد . وإطالةِ الصَّدّ . وإخلافِ الوَعد . وانا لهُ كالعَبد . قال فبرز الشيخُ مُجلِّياً . وتلاهُ الفتى مُصلِّياً . وتجاريا بيتاً فبيتاً على هذا النَّسَق . الى أن كمُل نظمُ الأبياتِ واتَّسَق . وهي * نظم *

* وأحوى حَوى رِقِّي برِقَّةِ لَفظِهِ *

* وغادَرَني إلفَ السُّهادِ بغَدرِهِ *

* تَصدَّى لِقَتلي بالصُّدودِ وإنَّني *

لفي

* لَفِى أَسْرِهِ مُذْ حازَ قلْبى بأسْرِهِ *

* أُصَدِّقُ منه الزُّورَ خَوْفَ ازورارِهِ *

* وأَرْضَى استماعَ الهُجْرِ خشيةَ هَجْرِهِ *

* وأَسْتعذِبُ التَّعذيبَ منه وكُلَّما *

* أَجَدَّ عَذابى جَدَّ بى حُبُّ بِرِّهِ *

* تُناسِيهِ ما بى والتَّناسِى مَذَمَّةٌ *

* وأحْفَظُ قَلْبى وهو حافِظُ سِرِّهِ *

* وأَعْجَبُ ما فيهِ التَّباهِى بِعُجْبِهِ *

* وأُكْبِرُهُ عَنْ أَنْ أفوهَ بِكِبْرِهِ *

* له مِنِّىَ المَدْحُ الَّذِى طابَ نَشْرُهُ *

* ولِىْ منه طَىُّ الوُدِّ من بعدِ نَشْرِهِ *

* ولو كان عَنْ لا ما تَجُنَّى وقد جَنَى *

* علىَّ وغَيْرِى يجتنِى رُشْدَ

* ولولا تَشَنِّيه ثَنَيتُ أعِنَّتِى *

* بِدار الى مَن اجْتلِى نُورَ بَدْرِه

* وإنِّى على تصريفِ أمْرِى وأمْرِه *

* أرَى المُرَّ حُلْوًا فى انقيادِى لأمْرِه *

فلمَّا أنْشدَاهُمَا الوالِى مُتَرا سِلَيْن * بُهِتَ إذْ كانَهما المُتعادِيَيْن * وقال أشْهَدُ بالله أنكما فَرْقَدانَسم وكَرِنْدَيْنِ فى وِعاء * وإنَّ هذا الحَدَث لَيُنْفِقُ مِمَّا آتاهُ الله * ويستغنِى بوُجْدِهِ عمَّن سِواه * فتُبْ أيُّها الشيخُ من اتِّهامه * وتُبْ الى اكرامه فقال الشيخُ هَيْهات

ان

أَنْ تُراجِعَهُ مِقَتِي * أو تُعلِّقَ بِهِ ثِقَتِي * وقد بلَوْتُ كُفْرانَهُ * للصنيع * و مُنيتُ منه بالعُقوقِ الشنيع * فاعْترضه الفتى وقال يا هذا إنَّ اللَّجاجَ شُؤْمٌ * والحَنَقَ لُؤْمٌ * وتحقيقُ الظِّنَّةِ إثمٌ * وإعْناتُ البَرِيِّ ظُلْمٌ * وهَبْني اقْترفتُ جريرةً * او اجْترحْتُ كبيرةً * اما تذْكُرُ إذْ أنْشَدتَنِي لِنَفْسِكَ * في إبّانِ أُنْسِكَ * * نظم *

* سامِحْ أخاكَ إذا خَلَطْ * منه الإصابَةَ بالغَلَطْ *

* وتَجافَ عن تعنيفِهِ * إنْ زاغَ يوماً او قَسَطْ *

* وَاحْفَظْ صنيعَكَ عندَهُ * شكَرَ الصنيعةَ أمْ غَمَطْ *

* وأَطِعْهُ إنْ عاصاكَ وهُنْ * إنْ عَزَّ وادْنُ إذا شَحَطْ *

* وَاقْنَ الوَفاءَ ولو أَخَلَّ بما اشترطتَ وما اشتَرَطْ *

* وَاعْلَمْ بأنّك إنْ طَلَبْتَ مُهَذَّباً رُمْتَ الشَّطَطْ *
* مَن ذا الذى ما ساء قطّ ومَن له الحُسْنَى فَقَطْ *
* أَوَما ترى المحبوبَ والمَكْروهَ لُزَّا فى نَمَطْ *
* كالشوك يبدو فى الغصونِ مع الجَنِيِّ المُلْتَقَطْ *
* ولَذاذةُ العُمْرِ الطَّوِيلِ يشوبُها نَغَصُ الشَّمَطْ *
* ولوِ انْتَقَدتَ بَنِى الزَّمانِ وَجَدتَ أكْثَرَهم سَقَطْ *

قال فجَعَل الشيخ يُنَضْنِضُ نَضْنَضَةَ الصِّلّ . ويُحَمْلِقُ حَمْلَقَةَ البازى المُطِلّ . ثم قال والّذى زَيَّن السماءَ بالشُّهُب . وأنزَلَ الماءَ من السُّحُب . ما رُوْغِى عن الاصطلاح . الا لِتَوَقِّى الافتضاح . فانّ هذا الغَبِيَّ اعتادَ أنْ أَمُونَه . وأُراعِىَ شُؤُونَه . وقد كان الدّهرُ يَسُحُّ فلم أكُنْ أَشِحُّ .

فاما

فأمّا الآنَ فالوَقتُ عَبوسٌ • وحَشوُ العَيشِ بُؤسٌ • حتّى أنّ

بِزّتي هذِهِ عارِيةٌ • وبَيتي لا تطورُ بهِ فارةٌ • قالَ فرَقَّ

لهما قلبُ الوالي • وأوى لهما من غِيَرِ اللّيالي •

وصَبا الى اختصاصهما بالإسعاف • وأمَرَ النظّارةَ بالانصراف •

قالَ الرّاوي وكنتُ متشوِّقًا الى مَرأى الشّيخِ

لعَلّي أعلمُ عِلمَهُ • اذ عاينتُ وَسمَهُ • ولم يَكُنِ الزّحامُ

يُسفِرُ عنهُ • ولا يُفرِجُ لي فأدنو منهُ • فلما تقوّضتِ الصّفوفُ •

وأجفلَ الوُقوفُ • توسّمتُهُ فاذا هو ابو زيدٍ والفَتى

فَتاهُ • فعَرَفتُ حينئذٍ مَغزاهُ فيما أتاهُ • وكِدتُّ

أنقضُّ عليهِ • لأستعرِفَ اليهِ • فزَجَرَني بإيماضِ طَرْفِهِ •

واستوقفني بايماءِ كفِّهِ • فلزِمتُ موقِفي • وأخّرتُ منصرَفي •

فقال الوالي ما مرامك • ولأيّما سببٍ مقامك • فابتدره الشيخ وقال انه ابني • وصاحب ملبوسي • فتبسّم عند هذا القول بنانيبسي • ورخّص في جلوسي • ثم أفاض عليهما خلعتين • ووصلهما بنصابٍ من العين • واستعهدهما ان يتعاشرا بالمعروف • الى اظلال اليوم المخوف • فنهضا من ناديه • مشيدين بشكر اياديه • وتبعتهما لأعرف مثواهما • وأتزوّد من نجواهما • فلمّا اجزنا حمى الوالي • وأفضينا الى الفضاء الخالي • اذ زكني احدهما جلاوزته • مهيباً الى حوزته • فقلت لابي زيد ما اظنه استحضرني • الا ليستخبرني • فما ذا اقول • وفي ايّ وادٍ معه اجول • فقال بيّن له غباوة قلبه • وتلعابي بلبّه •

ليعلم

لِيَعْلَمَ أَنَّ رِيْحَهُ لاقَتْ إِعْصاراً • وجَدْوَلَهُ صادَفَ تَيَّاراً •

فقلتُ أخافُ أن يَتَّقِدَ غَضَبُهُ • فيَلْفَحَكَ لَهَبُهُ • أو يَسْتَشْرِيَ

طَيْشُهُ • فيَسْرِيَ إليكَ بَطْشُهُ • فقال إِنّي أَرْحَلُ الآنَ

الى الزَّهْراء • وأَنَّى يَلْتَقِي سُهَيْلٌ والسُّها • فلمَّا حَضَرْتُ

الوالِيَ وقد خَلا مَجْلِسُهُ • وانجلى تَعَبُّسُهُ • أَخَذَ يَصِفُ

أبا زيدٍ وفَضْلَهُ • ويَذُمُّ الدَّهْرَ لَهُ • ثم قال نَشَدْتُكَ اللهَ

أَلَسْتَ • الَّذِي أَعارَهُ الدَّسْتَ • فقلتُ لا والَّذِي أَجْلَسَكَ

في هذا الدَّسْتِ • ما أنا بصاحبِ ذلكَ الدَّسْتِ • بل أنتَ

الَّذِي تَمَّ عليه الدَّسْتُ • فازْوَرَّتْ مُقْلَتاهُ • واحْمَرَّتْ

وَجْنَتاهُ • وقال واللهِ ما أَعْجَزَنِي قَطُّ نَفْثُ مُرِيبٍ • ولا تَكْشِيفُ

مَعِيبٍ • ولكِنْ ما سَمِعْتُ بأَنَّ شَخْصاً دَلَّسَ • بعدَ ما تَطَلَّسَ •

فبهذا تمّ له أن لبّس • فما كنيةُ ذلك الفريد • فقلتُ
أبو زيد • فقال إنه بأبي كيد • أليق منه بأبي زيد •
أفتدري أين سكع • ذلك اللّكع • قلتُ أشفق منك
لتعدّي طوره • فقطع عن بغداد من فوره • فقال
لا قرّب الله له نوى • ولا كلأه أين ثوى • فما زاولتُ
أشدّ من نكره • ولا ذقتُ أمرّ من مكره • ولولا
حرمةُ أدبه • لأوغلتُ في طلبه • إلى أن يقع فأوقع
به • وإنّي لأكره أن تشيع فعلتُه • بمدينة السلام • فتفتضح
بين الأنام • وتحبط مكانتي عند الإمام • وأصير ضحكة
الخاصّ والعامّ • فعاهدني على أن لا أتفوّه بما اعتمد •
فما بتّ حلّا بهذا البلد • قال الحارث بن همّام فعاهدته

معاهدة

مُعاهَدةَ مَن لا يَتناوَّل ٭ ووَنَيتُ له كما وَفى السَّمَوْأَل ٭

المقامة الرابعة والعشرون القَطِيْعِيَّة

حكى الحارثُ بن همّام قال عاشرتُ بقطيعةِ الرَّبيعِ ٭ في إبّانِ الرَّبيعِ ٭ فِتيةً وُجوهُهم أَبْلجُ من أنوارِه ٭ وأخلاقُهم أَبهجُ من أزهارِه ٭ وألفاظُهم أرَقُّ من نسيمِ أسحارِه ٭ فاجْتَلَيْتُ منهم ما يُزْرِي على الرَّبيعِ الزاهِر ٭ ويُغنِي عن رَنّاتِ المَزاهِر ٭ وكُنّا تقاسَمْنا على حِفظِ الوِداد ٭ وحَظْرِ الاستبداد ٭ وأنْ لا ينفرِدَ أَحَدُنا بالتِذاذ ٭ ولا يستأثِرَ ولو بِرَذاذ ٭ فأجْمَعْنا في يومٍ سَماذَجْنُه ٭ ونَما حُسْنُه ٭ وحَكَمَ بالاصطباحِ مُزْنُه ٭ على أنْ نلتهِيَ بالخُروج ٭ إلى بعضِ المُروج ٭ لِنَسْرَحَ

النّواظِرِ • فى ٲ الرِّيَاضِ النّواضِرِ • وتَصْقُلَ الخَواطِرِ
بشيمِ المَواطِرِ • فبرزنا ونحن كالشّهورِ عِدّةً • وكندمانَى
جَذِيمةَ مَوَدّةً • الى حَدِيقةٍ اَخَذَتْ زُخْرُفها وازّيَّنَتْ •
وتَنَوَّعَتْ اَزاهِيرُها وتَلَوّنَتْ • ومعنا الكُمَيْتُ الشَّمُوسُ •
والسُّقاةُ الشُّمُوسُ • والشّادِى الّذى يُطْرِبُ السامِعَ
ويُلْهِيهِ • ويَقْرِى كُلَّ سَمْعٍ مَا يَشْتَهِيهِ • فلمّا اطمأنَّ
بنا الجُلوسُ • ودارَتْ علينا الكُؤُوسُ • وَغَلَ علينا ذُ ٮ ٮَـرٍ •
عليه طِمْرٌ • فتجهّمْنا • تجهُّمَ الغِيدِ الشِّيبَ • ووَجَدْنا صفْوَ
يومِنا قد شِيبَ • اِلّا انّه سَلَّمَ تسليمَ اُولِى الفَهْمِ • وجَلَسَ
يفُضُّ لَطائِمَ النَّثْرِ والنَّظْمِ • ونحنُ نَزْوِى من انبساطه •
ونتموى لطىّ بساطِه • الى اَن غَنّى شادِينا المُغْرِبُ •

ومغرد

ومُغرِدُنا المُطرِبُ * نظم *

* اِلامَ سُعادُ لا تَصِلِينَ حَبلِي * ولا تأوِينَ لي ممّا أُلاقِي *

* صَبَرتُ عليكِ حتّى عِيلَ صَبرِي * وكادَتْ تَبلُغُ الرُّوحُ التَّراقِي *

* وها انا قد عَزَمتُ على انتصابٍ * أُساقِي فيه خِلِّي ما يُساقِي *

* فاِنْ وَصلًا أَلَذُّ به فوَصلٌ * واِن صَرمًا فصَرمٌ كالطَّلاقِ *

* قال فاستفهمنا العابثَ بالمَثانِي * لِمَ نَصَبَ الوصلَ الاوّلَ ورَفَع الثّانِي * فاَقسَم بتُربةِ اَبَوَيه * لقد نَطَقَ بما اختارَه سِيبَوَيه * فتَشَعَّبَتْ حينئذٍ آراءُ الجمع * في تجويزِ النَّصبِ والرَّفع * فقالتْ فِرقةٌ رَفعُهما هو الصَّواب * وقالتْ طائفةٌ لا يجوزُ فيهما الّا الانتصاب * واستبهَمَ على آخَرِينَ الجوابُ * واستَعَرَ بينهم الاصطخاب * وذلك الواغِلُ يُبدِي الابتسامَ

ذي مَعْرِفةٍ • وإنْ لم يَفُهْ ببِنْتِ شَفَةٍ • حتّى اذا اسكنتِ الزَّماجِرُ • وصَمَتَ المزجورُ والزّاجِرُ • قال يا قومِ أنا أُنبِّئُكم بتأويلِهِ • وأُميِّز صحيحَ القولِ من عليلِهِ • إنّه ليَجُوز رفعُ الوَصْلَتَين ونَصْبُهما • والمُغايرةُ في الاعراب بينهما • وذلكم بحَسَبِ اختلافِ الإضمار • والتّقديرِ المحذوفِ في هذا المِضْمارِ • قال فقُرِّط من الجماعةِ إفراطٌ في مُماراته • وانخراطٌ الى مُباراته • فقال أمّا اذا دَعوتُم نَزالِ • وتلبَّبتُم للنِّضالِ • فما كَلِمةٌ هي إنْ شئتُم حرفٌ محبوبٌ • او اسمٌ لِما فيه حرفٌ حلوبٌ • وأيُّ اسمٍ يتردَّدُ بين فَرْدٍ حازِمٍ • وجَمْعٍ مُلازِمٍ • وايّةُ هاءٍ اذا التحقَتْ إماطَتِ الثِّقَلَ • وأطلَقَتِ المُعتقَلَ • واين تدخُلُ

السبيلُ فتعزِلُ العامِلَ • من غير ان تُجامِلَ • وما منصوبٌ ابَدَا
على الظَّرْف • لا يَخفِضُه سوى حَرْف • واىُّ مُضافٍ
اَخَلَّ من عُرَى الاضافةِ بعُرْوة • واختلفَ حُكمُه بينَ
مَساءٍ وغُدْوةٍ • وما العامِلُ الّذى يتَّصِلُ آخِرُه باَوَّلِه •
ويَعمَلُ معكوسُه مِثلَ عَمَلِه • واىُّ عامِلٍ نائبُه ارحَبُ
منه وكْرَا • واَعظَمُ مَكْرَا • واَكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكرا • وفى
اىِّ موطِنٍ يَلبَسُ الذُّكْران • براقعَ النِسْوان • وتَبرُزُ
ربّاتُ الحِجال • بعمائمِ الرِّجال • واين تَجِبُ حِفْظُ
المَراتِب • على المضروب والضارِب • وما اسمٌ لا يُفهِم
الا باستضافة كَلِمتَيْن • او الاقتصارِ منه على حرفَيْن •
وفى وَضْعِه الاوّلِ التزامٌ • وفى الثانى إلزامٌ •

وما وَصْفُ انه اذا ازدُلِفَ بالنّون • نقص صاحبُه في العيون •

وتقوّم بالدّون • وخرج من الزّبون • وتعرّض للهُون •

فهذه ثنتا عشرة مسئلة وَفقَ عددِكم • وزِنة لَدَدِكم •

ولو زدتم لزدنا • ولو عُدتّم عُدنا • قال المُخبِرُ بهذه

الحكاية فورد علينا من أحاجيه اللاتي هالت لمّا

انهالت • ما حارت له الافكار وحالت • فلمّا أعجزنا

العومُ في بحره • واستسلمت تمائمنا لسحره • عدلنا من

استثقال الرؤية له الى استنزال الرّواية عنه • ومن

بَغْيِ التبرّم به الى ابتغاء التعلّم منه • فقال والّذي نزّل

النحو في الكلام • منزلة الملح في الطّعام • وحجب مطالعه

عن بصائر الطّغام • لا انلتكم مراما • ولا شفيت لكم

غراما

غَرامًا • او تُخَوِّلَنِي كُلُّ يَدٍ • ويَخْتَصَّنِي كلٌّ منكم بِيَدِهِ •
فلم يَبْقَ فى الجماعة الّا مَنْ اَذْ عن لحُكْمِهِ • ونبذ اليه
خَبْأَةَ كُمِّهِ • فلمّا حَصَّلَه تحت وِكائِهِ • اَضْرَمَ شُعْلَةَ ذَكائِهِ •
فكشف حِيْنَئِذٍ من اَسْرارِ الْغازِهِ • وبَدائِعِ اِعْجازِهِ •
ما جَلا بِهِ صَدَأَ الاَذْهان • وجَلَّى مَطْلِعَهُ بنُورِ البُرْهان •
قال الراوى فِهِمْنا • حين فَهِمْنا • وعَجِبْنا • اذ اُجِبْنا •
ونَدِمْنا • على ما نَدَّ مِنّا • واَخَذْنا نَعْتَذِرُ اليه اعتذار
الاَكْياس • ونَعْرِضُ عليه ارتضاعَ الكَأْس • فقال
مَأْرَبٌ لا حَفاوَةٌ • ومَشْرَبٌ لم يَبْقَ له عندى حَلاوَةٌ •
ثُمّ شَمَخَ باَنْفِهِ صَلَفًا • ونَأَى بجانبهِ اَنَفًا • وانشد • نظم •
• نَهانِيَ الشَّيْبُ عمّا فيه اَفْراحى •

* فكيف اجمع بين المراح والراح *

* وهل يجوز اصطباحي من معتقة *

* وقد انا ومشيب الراس اصباحي *

آليت لاخامرتني الخمر ما علقت *

* روحي بجسمي والفاظي بافصاحي *

* ولا كنست لي بكاسات السلاف يد *

* ولا اجلت قداحي بين اقداح *

ولا صرفت الى صرف مشعشعة *

* همي ولا رحت مرتاحا الى راح *

* ولا نظمت على مشمولة ابدا *

* شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاح *

* ... مشيبٌ مراحي حين خطَّ على *

* راسي فابغض به من كاتبٍ ماحٍ *

* ولاحَ يلحى على جري العنان الى *

* ملهى فسحقا له من لائحٍ لاحِ *

* ولو لهوتُ وتودي شائبٌ لخبا *

* بين المصابيح ... ... مى *

* قومٌ سجايا هُمُ توقيرُ ضيفهمُ *

* والشيبُ ضيفٌ له التوقيرُ ياصاحِ *

ثم إنَّه انساب انسيابَ الأيم • واجفلَ إجفالَ الغيم • فعلمتُ انّه سراجُ سروج • وبدرُ الادب الذي يجتابُ البروج • وكان تصارانا التحرُّقَ لبُعده • والتفرُّقَ من بعده •

تفسيرُ ما أُودِعَ هٰذه المقامةَ من

النُكت العربيّة والأحاجيّ النحويّة

امّا صَدْرُ البيت الاخير من الأُغنِيّة الّذي هو فَإِنْ وَصْلاً
أَلَذُّ به فوصلٌ بانّه نظيرُ قولِهم المَرءُ مَجْزِيٌّ بعَمَلِه إنْ خَيْراً
فخَيْرٌ وإنْ شرّاً فشرٌّ ۰ ولهذه المسلةُ أَوْدَعها سيبويه
كتابَه وجَوَّزَ في اعرابها اربعةَ اوجُهٍ ۰ احدُها وهو
اَجوَدُها اَن تنصِبَ خَيْرَنِ الاوّلَ وتَرْفَعَ الثانِيَ ۰ وتنصِبَ
شَرَّهُ الاوّلَ وتَرفَعَ الثانِيَ ۰ ويكونُ تقديرُه ان كان
عَمَلُه خَيراً فجزاءُه خَيْرٌ ۰ وان كان عملُه شَرّاً فجزاءُه شرٌّ
فينتصِبُ الاوّلُ على اَنَّه خَبَرُ كانَ ويَرتفِعُ الثاني على
انه خَبَرُ مبتدأٍ محذوفٍ وقد حَذَفْتَ في هذا الو-

كانَ

كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو إن على تقديرهما وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها ٭ والوجه الثاني ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو تجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو تجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به ٭ والوجه الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول على انه اسم كان ويرتفع خير الثاني لانه خبر مبتدإ محذوف على ما تقدم في شرح الوجه الاول وقد يجوز ان يرتفع خير الاول على انه فاعل كان

وتجعل كان المقدّرة ههنا هي التامّة التي تأتي
بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج الى خبرٍ كقوله تعالى وإن
كانَ ذُو عُسْرةٍ ٥ ويكون التقدير في المسئلة ان كان
خيرٌ فجزاءٌ ٥ خيرٌ اي ان حدث خيرٌ فجزاءٌ ٥ خيرٌ ٥ والوجهُ
الرابعُ وهو اَضعفها اَنْ ترفعَ الاوّل على ما تقدّم شرحه
في الوجهِ الثالث وتنصبَ الثاني على ما بُيِّن ذِكرُه
في الوجهِ الثاني ويكون التقدير انْ كان في عمله
خيرٌ فهو يجزى خيرًا وعلى حَسَب هذا التفسيرِ والمقدّراتِ
المجد ونات فيه يجرى اِعرابُ البيتِ الذي
عُنِيَ به ومما يُنتظم في هذا السِلك قولهم المرءُ مقتولٌ
بما قتَلَ به اِنْ سيفًا فسيفٌ واِنْ خنجرًا فخنجرٌ ٥ واما

الكلمة التي هي حرفٌ محبوبٌ او اسمٌ لما فيه حرفٌ جلوبٌ ۞

فهي نَعَم اِن اردتَ بها تصديقَ الاِخبار او العِدَةِ عندَ

السُّؤال فهي حرفٌ ۞ وان عنيتَ بها الاِبِلَ فهي اسمٌ ۞

والنَّعَم تُذكَّر وتؤنَّث وتنطلق علي الاِبِل وعلى كلِ

ما شيئةٍ فيها اِبِلٌ ۞ وفي الاِبِلِ الحَرْفُ وهي الناقةُ

الضّامِرَةُ ۞ سُمّيَت حَرْفاً تشبيهاً لها بحَرْفِ السَّيف ۞ وقيل

اِنّها الضَّخْمَةُ تشبيهاً لها بحَرْفِ الجَبَل ۞ واما الاسمُ

المُتَرَدِّد بين مُرْدِحا زِمٍ وجَمْعٍ مُلازِمٍ فهو سراويلُ ۞

قال بعضهم هو واحدٌ بجمعها سَراويلاتٌ فعلى هذا القولِ

هو فَرْدٌ وكُنِيَ عن خصيه الخصمِ بانَّه حازِمٌ ۞ وقال آخَرُونَ

بل هو جمعٌ وواحدته سِروالٌ مثل شِمْلالٍ وشَمالِيلَ فهو

على هذا القول جمعٌ ومعنى قوله ملازِم اي لا ينصرف

وانّما لم يَنْصرِفْ هذا النوعُ من الجَمْع وهو كلّ جمعٍ

ثالثهُ الفٌ بعدَها حرفٌ مُشدَّدٌ او حرفان او ثلثةٌ

اَوْسَطُها ساكِنٌ لِثقَلِهِ وتفرُّدِه دونَ غيرِه من المجموع بأنْ

لا نظيرَ له في الأسماءِ الآحاد . وقد كنى في هذه الأُحجيَّة

عمّا لا ينصرف بالملازِم . واما الهاءُ التي اذا التحقتْ

اماطَتِ الثِقَل واَطْلَقَتِ المُعْتَقَل فهي الهاءُ اللاحقةُ

بالجمع المُقدَّم ذِكْرُهُ مثلِ صَيارِفةٍ وصَيالِقةٍ فينصرفُ

هذا الجمعُ عند التحاقِ الهاءِ به لأنّها تدانيه

الى مثالِ الآحاد نحوَ رَفاهِيَةٍ وكَراهِيةٍ فخفّ بهذا

السَّبَب وصُرِفَ لهذهِ العِلّة . وقد كنى في هذه الأُحجيَّة

عما

عمّا لا ينصرف بالمُعتَقَل كما كنى في التي قبلها عمّا لا ينصرف بالملازِم ، واما السينُ التي تعزِلُ المعانِيَ من غير ان تجانِبَ منهى التى اذا دخلَتْ على الفعل المستقبل وفصلَتْ بينه وبين أنِ التي كانت قبلَ دخولها من أدَواتِ النّصب فيرتفعُ حينئذٍ الفعلُ وينتقِلُ أنْ عن كونها الناصبةَ للفعل الى أن تصيرَ المُخفّفةَ من الثقيلة ، وذلك كقوله سبحانه ، عَلِمَ أن سيكونُ منكم مَرضى ، وتقديرُه عَلِمَ أنّه سيكونُ ، واما المنصوبُ على الظّرف الذي لا يَخفِضُه سوى حرف فهو عندَ اذ لا يجُرُّه غيرُ مِنْ خاصّةً ، وقولُ العامّةِ ذهبْتُ الى عِنْدِه لحنٌ ، واما المضاف الذي أخلَّ مِنْ عُرَى الاضافة بعُروةٍ ،

وَاختلفَ حكمُه بين مَسائه وغُدوَته فهو لَدُن ولَدْن

من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما ياتى بعدها

مجرورٌ بها الا غُدوةً فان العربَ نصبتها بلدُن لكثرة

استعمالهم اياها فى الكلام ثمّ نوّنتها ايضاً لتبيّن بذلك

انّها منصوبةٌ لا انّها من نوع المجرورات التى لا تنصرف

وعند بعض النحويين انّ لدُن بمعنى عند والصّحيح

انّ بينهما فرقاً لطيفاً وهو انّ عندَ يشتمِلُ معناها على ما هو

فى مُلكتك ومُكنتك ممّا دنا منك وبعُد عنك ولدُن تختصّ

معناها بما حضرك وقرب منك وامّا العامل الذى يتّصل آخره

باوّله ويحتمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها اىْ وكلتاهما

من حروف النداء وعملهما فى الاسم المنادى سيّان

وان كانت

وإن كانت يا أجول في الكلام وأكثر في الاستعمال

وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى القريب فقط كالهمزة

وأمّا العامل الذى نائبه أرحب منه وكرًا وأعظم

مكرًا وأكثر لله تعالى ذكرًا فهو باء القسم وهذه

الباء هى أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور

فعل القسم فى قولك أقسم بالله ولدخولها أيضًا على

المضمر فى قولك بك لأفعلنّ ثم قد أبدلت الواو منها

فى القسم لأنهما جميعًا من حروف الشفة ثم لتناسب

معنييهما لأن الواو تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق

والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من

الباء أدور فى الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا ألغز بأنّها

اكثرلله تعالى ذكراثم ان الواو اكثر موطنا من الباء

لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو

تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم

وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات

العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر واما

الموطن الذى فيه يلتبس الذكر انه براتب النسوان

ويتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد

المضاف فيوفي ذلك ما بين الثلثة الى العشرة فانه

يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله

تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما والهاء

فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث مثل قائم وقائمة

وعالم

وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم
المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد تالبه *
وبرز في بزة صاحبه • واما الموضع الذي يجب فيه
حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه
الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما
او في احدهما • وذلك اذا كانا مقصورين مثل
موسى وعيسى او من اسماء الاشارة نحو ذاك وهذا
فيجب حينئذ لازالة اللبس اقرار كل منهما في رتبته
ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتاخره • واما
الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه
على حرفين فهو مثنّها وفيها تو لان احدهما انها مركبة

من مَهْ التى بمعنى اُكْفُفْ ومِنْ ما والقولُ الثانى وهو
الصحيحُ انَّ الاصلَ فيها ما تزيدت عليها ما أخرى كما
تزادُ على إن فصار لفظُها ما ما نتقُل عليهم تَوا لى كلمتين
بلفظ واحدٍ فابْدَلوا من الالِف الأولى هاء فصارتا مَهْما
ومهما من ادوات الشرط والجزاء ومتى لفظتَ بها لم يَتِمَّ
الكلامُ ولا عُقل المعنى الّا با يراد كلمتين بعدها كقولك
مهما تفعَلْ افعلْ وتكون حينئذٍ مُلتزمًا للفعل وإن
اقتصرتَ منها على حرفين وهما مَهْ التى بمعنى اكْفُفْ
تَم المعنى وكُنتَ مُلتزِمًا مَنْ خاطبْتَه أن يَكُفَّ. واما
الوصفُ الذى اذا أُردِف بالنون نَقص صاحبُه فى
العُيون وقُوِم بالدُّون وخَرَج من الزَّبوُن وتعرَّض للهُوْن

فهو

فهو ضعيفٌ • ان الحقته النونُ استحال الى ضَيفنٍ وهو الذى يتبعُ الضَّيفَ • ويتنزّل فى النقد منزلةَ الزَّيف •

المقامة الخامسة والعشرون الكرجيّة

حكى الحارثُ بن همّام قال شتوتُ بالكرج لدَينٍ أقتضيه • وأربٍ أقضيه • فبلوتُ من شتائها الكالح • وصرِّها النافح • ما عرّفنى جهدَ البلاء • وعكفَ بى على الاصطلاء • فلم أكن أزايلُ وجارى • ومستوقدَ نارى • إلّا لضرورةٍ أُدفَعُ اليها • او إقامةِ جماعةٍ أحافظُ عليها • فاضطُررتُ فى يومٍ جوُّهُ مزمهرٌّ • ودجنهُ مكفهرٌّ • الى أن برزتُ من كنانى • لمهمٍّ عنانى • فاذا شيخٌ عارى الجلدة • بادى الجردة • وقد اعتمّ بريطةٍ •

وَاسْتَقَرَّ بِغُوَيْطَةٍ • وَحَوالَيْهِ جَمْعٌ كَثِيفُ الْحَواشِي •

وَهُوَ يُنْشِدُ وَلَا يُحاشِي * نظم *

* يا قَوْمِ لا يُنْبِئُكُمْ عَنْ فَقْرِيَ *

* أَصْدَقُ مِنْ عُرْيِيْ أَوانَ الْقُرِّ *

* فاعْتَبِرُوا بِما بَدا مِنْ ضُرِّي *

* باطِنَ حالِي وَخَفِيَّ أَمْرِي *

* وَحاذِرُوا انْقِلابَ سِلْمِ الدَّهْرِ *

* فَإِنَّنِي كُنْتُ نَبِيهَ الْقَدْرِ

* آوِي إِلَى وَفْرٍ وَحَدٍّ يَفْرِي *

* تُفِيدُ صُفْرِي وَتُبِيدُ سُمْرِي

* وَتَشْتَكِي كُومِي غَداةَ أَقْرِي *

* تجرّد الدهر سيوف الغدر *

* وشنّ غارات الرزايا الغبر *

* ولم يزل ينحتني ويبري *

* حتّى عفت داري وغاض درّي *

* وبار سعري في الورى وشعري *

* وصرت نضو فاقة وعسر *

* عاري المطا مجرّدا من قشري *

* كأنّني المغزل في التعرّي *

* لا دفء لي في الصرّ والصنّبر *

* غير التضحّي واصطلاء الجمر *

* فهل خضمٌّ ورده اء غمر *

* يَسْتُرُنِي بِمُطْرَفٍ او طِمْرٍ *

* طلابَ وَجْهِ اللّٰهِ لا لِشُكْرِ *

ثم قال يا أرْبابَ الثَّراء * الرَّافلِين في الغِراء * من أوتيَ خَيْرًا فَلْيُنْفِقْ * ومن استَطاعَ أنْ يُرْزِقَ فَلْيرْزِقْ * فانَّ الدُّنيا غَدُورٌ * والدَّهْرُ عَثورٌ * والمُكْنَةُ زَوْرةُ طَيْفٍ * والفُرْصةُ مُزْنةُ صَيْفٍ * وإنِّي واللّٰهِ لطالما تَلَقَّيْتُ الشِّتاءَ بكافاتِه * ولَعَدَدْتُ الأُهَبَ له قبلَ مُوافاتِه * وها أنا اليومَ ... اسادَتِي * ساعِدي وِسادَتِي * وجِلْدَتي * بُرْدَتي * ... حَفْنَتي * جَفْنَتي * فَلْيَعْتَبِرِ العاقلُ بحالِي * ولْيُبادِرْ صَرْفَ اللَّيالِي * فإنَّ السعيدَ مَن اتَّعظَ بسواه * واستعَدَّ لِمَسْرا ه * ... يلَ له قد جَلَوْتَ علينا أدَبَك * فَأجْلُ لنا نَسَبَك * فقال

تبا

تَبًّا لِمُغْتَخِرٍ * بِعَظْمٍ نَخِرٍ * إِنَّما الفَخْرُ بالتُّقَى * والأَدَبِ

المُنْتَقَى * ثُم انشد * نظم *

* لَعَمْرُكَ ما الانسانُ إِلَّا ابنُ يَوْمِهِ *

* على ما تَجَلَّى يَوْمُهُ لا ابنُ أَمْسِهِ

* وما الفَخْرُ بالعَظْمِ الرميمِ وإِنَّما *

* فَخارُ الَّذِي يَبْغِي الفَخارَ بِنَفْسِهِ

ثُم إِنَّهُ جَلَسَ مُحْقَوقِفًا * واجرنْثَمَ مُتَقَبِّعًا * وقال اللّٰهُم

يا مَنْ غَمَرَ بِنَوالِهِ * وأَمَرَ بِسُؤالِهِ * صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ *

وأَعِنِّي على البَرْدِ وأَهْوالِهِ * وأَتِحْ لِي حُرًّا يُؤْثِرُ من خَصاصَةٍ *

ويُواسِي ولو بِقُصاصَةٍ * قال الراوي فلمّا جَلَّى عن النَفْسِ

العِصامِيَّةِ * والمُلَحِ الأَصْمَعِيَّةِ * جَعَلْتُ مَلامِحَ عَيْنِي تَعْجُمُهُ *

ومرامي لحظي ترجمه * حتى استبنت أنه أبو زيد *

وأن تعريه أحبولة لصيد * ولمحت أن عرفاني قد أدركه *

ولم يأمن أن يهتكه * فقال أقسم بالسمر * والقمر *

والزهر * والزهر * إنه لن يسترني إلا من طاب خيمه *

وأشرب ماء المروءة أديمه * فعقلت ما عناه * وإن لم يدر

القوم معناه * وساءني ما يعانيه من الرعدة *

واقشعرار الجلدة * فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي *

في الليل فراشي * فنضوتها عني * وقلت له اقبلها مني *

ما كذب أن اقترأها * وعيني تراها * ثم أنشد * ونظم *

لله من ألبسني فروة * أضحت من الرعدة لي جنة *

ألبسنيها واقيا مهجتي * وقي شر الإنس والجنة *

سيلبس

سيَلْبَسُ اليومَ ثنائِي وفي غَدٍ سيَكْتَسِي سُنْدُسَ الجنّة

قال فلمّا خَتَنَ قلوبَ الجماعة بافتنانه في البراعة

أَلقَوْا عليه من الفِراء المُغَشّاة والجِباب المُوشّاة

ما آدَهُ ثِقَلُه ولم يكَدْ يُقِلُّه فانطلق مُسْتبشِرًا بالفَرَج

مستَنْشِيًا للكَرَج وتبعتُه الى حيث ارتفعت التَّقِيّة

وبَدَتِ السَّماءُ نقيّة فقلتُ له لشدَّ ما قرَّسك البَرْدُ

فلا تتعرَّ من بعدُ فقال ويكَ ليس من العَدْل سُرعةُ العَذْل

فلا تعجَلَنَّ بلَوْمٍ هو ظُلْمٌ ولا تنقُضْ ماليس [illegible] الآن

نوَّر الشَّيبةَ وطيّبه تُربةُ طَيْبةَ ولو لم أتعرَّ لرُحتُ بالخَيْبة

وصَفِر العَيْبة ثم نزع الى الفِرار وتبرقع بالاكفهرار

وقال أما تعلمُ أن شِنْشِنَتي الانتقالُ من خَيْدٍ الى خَيْدٍ

والانعطاف من عَمْرٍو الى زيدٍ • وأراك قد عُقَقْتَنِي •

وعَقَقْتَنِي • وأثنتَني • أضعاف ما افدتَّني • فاعْفُني عافاك الله

من لَغْوِك • واسدُدْ دُونِي بابَ جِدِّك ولَهْوِك • فجَبَذْتُه

جُبْذَ التلْعابة • وجَعْجَعْتُ به للدُّعابة • وقلتُ له والله

لولم أُوارِكَ • وأُغَطِّ على عُوارِك • لما وصَلْتَ الى صِلةٍ •

ولا انقلبْتَ أكْسى من بَصَلةٍ • فجازِني عن إحْسانِي اليك •

وسَتْرِي لك وعليك • بان تَشْبَحَ لي بردِّ الفَرْوة • او تُعرِّفني

كافاتِ الشَّتْوة • فنَظَر اليَّ نَظَرَ المُتَعجِّب • وازمهرَّ

ازمهرارَ المتغضِّب • ثم قال امّا رَدُّ الفَرْوة فأبْعَدُ من

رَدِّ أَمْسِ الدابرِ • والمَيْتِ الغابرِ • واما كافاتُ

الشَّتْوة فسَتَجِباتٌ من طَبْعَ على ذِهْنِك • واُوْهِي وِعاءَ

حزنك

خَزْنِك * حَتّى أُنسيتُ ما أَنشدتُك بالدَّسْكرة * بلا بِنِ

سُكَّرة * نظم *

* جاءَ الشِّتاءُ وعندِي من حَوائِجه *

* سَبْعٌ اذا القَطْرُ عن حاجاتِنا حَبَسا *

* كِنٌّ وكِيسٌ وكانُونٌ وكاسُ طِلاً *

* بعد الكَبابِ وكُسٌّ ناعِمٌ وكِسا *

ثمّ قال لجوابٌ يَشْفِي * خيرٌ من جِلْبابٍ يُدْنِي * فاكْتَفِ

بها وَعَيْتَ وانْكَفِ * فغارَقْتُه وقد ذَهَبَتْ فَرْوتِي

لشَقْوتِي * وحَصَلتُ على الرِّعْدَة طُولَ شَتْوتِي *

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرَّقطاء

حدث الحارثُ بن هَمّام قال حَلَلْتُ سُوْقَ الأهْواز *

لابساً حُلّةَ الإعوازِ. فلبِثتُ فيها مُدّةً. أُكابِدُ شِدّةً.
وأُزَجّي أيّاماً مُسْوَدّةً. الى ان رأيتُ تمادِيَ المُقام.
من عَوادِي الانتقام. فرَمَقْتُها بعَيْنِ القالِي. وفارَقْتُها
مُفارَقةَ الطّلَلِ البالي. وظَعَنْتُ عن وَشَلِها كَمِيشَ الإزار.
راكِضاً منها الى المِياهِ الغِزار. حتّى إذا سِرْتُ منها
مَرْحلتَيْن. وبعُدتُّ سُرى لَيْلتَيْن. تراءتْ لِي خَيْمةٌ
مضروبةٌ. ونارٌ مَشْبوبةٌ. فقلتُ آتيهما لعلّي أنْقَعُ صَدًى.
او أجِدُ عَلى النّار هُدًى. فلمّا انتهيتُ الى ظِلّ الخَيْمة.
رأيتُ غِلْمةً رُوقةً. وشارةً مرموقةً. وشَيْخاً عليه بِزّةٌ
سَنِيّةٌ. ولَدَيْه فاكِهةٌ جَنِيّةٌ. فحيّيْتُه. ثُمّ تحامَيْتُه. فضَحِك
اليّ. وأحْسَنَ الرّدّ عليّ. وقال ألا تجْلِسُ الى من تَرُوق

فاكهته

فاكهته * وتشوّق مُغاكهته * فجلست لاغتنام محاضرته * لا لانتقام ما بحضرته * فحين سفر عن آدابه * وكشر عن أنيابه * عرفت انه ابوزيد بحسن مُلَحِه * وقبح مُلَحِه * فتعارفنا حينئذٍ * وخفّت بي فرحتان ساعتئذٍ * ولم أدر بأيهما أنا أشعى فرحًا * وأوفى مرحًا * أبإسفاره * من دجنّة أسفاره * أم بخصب رحاله * بعد إمحاله * وتاقت نفسي الى ان أقصّ ختم سرّه * وأبطن داعية يُسره * فقلت له من أين إيابك * والى أين انسيابك * وبِمَ امتلأت عيابك * فقال أمّا المقدم فمن طوس * واما المقصد فالى السوس * وأمّا الجدة التى أصبتها * فمن رسالة اقتضبتها * فسألته أن

يَفْرُشُنِي دِ خَالَتَهُ ويَسْرُدُ عَلَيَّ رِسَالَتَهُ • فقال دُونَ مَرَامِكَ

خَرْطُ الْقَتَادِ • او تَصْحَبَنِي الى الشَّوْسِ • فصاحبتُهُ

اليها قَهْراً • وعكفتُ بها عليه شَهْراً • وهو يُعَلِّلُنِي كَاساتِ

التعليل • ويُجَرِّعُنِي أَغِمَّةَ التَّأْمِيل • حتّى اذا خَرِجَ

صَدْرِي • وعِيلَ صَبْرِي • قلتُ له إنّه لم يَبْقَ لك عِلَّةٌ •

ولا لي تَعِلَّةٌ • وفي غدٍ أَزْجُرُ غرابَ البَيْن • وأَرْحَلُ عنك

بخُفَّيْ حُنَيْن • فقال حاشَ لله ان أُخْلِفَك • او أُخالِفَك •

وما أَرْجَأْتُ ان أُحَدِّثَك • إلّا لأُلَبِّثَك • واذا كنتَ

قد استرَبْتَ بعِدَتِي • واغراكَ ظَنُّ السُّوءِ بمُباعَدَتِي •

فأَصْغِ لقَصَصِ سِيرَتِي المُمْتَدَّة • واَصْغِها الى أَخْبارِ الفَرَجِ

بعد الشِّدَّة • فقلتُ هاتِ فما أَطْوَلَ طِيَلَك • وأَهْوَلَ

حِيَلَك

حِيَلِكَ • فقال اعلَمْ اَنَّ الدَّهْرَ العَبُوسَ • اَلْغانِيَ اِلَى طُوْسَ •

وانا يومَئِذٍ نقيرٌ وَقِيرٌ • لا فَتِيْلٌ لِي ولا نَقِيْرٌ • فَاَلْجَأَنِي

صُفْرُ اليَدَيْنِ • الى التطوُّقِ بالدَّيْنِ • فادَّنْتُ لِسُوْءِ

الاتِّفاقِ • مِمَّن هو عَسِرُ الاَخْلاقِ • ولو فَهِمْتُ تَسَنِّيَ

النَّفاقِ • فتوسَّعْتُ في الاِنْفاقِ • فما اَنْفَقْتُ حتّى بَهَظَنِي

دَيْنٌ لَزِمَنِي حَقُّهُ • ولازَمَنِي مُسْتَحِقُّهُ • فَحِرْتُ في اَمْرِي •

واَطْلَعْتُ غَرِيْمِي على عُسْرِي • فلم يُصَدِّقْ اِمْلاقِي • ولا نَزَعَ

عن اِرْهاقِي • بل جَدَّ في التقاضِي • ولَجَّ في التَّنادِي

الى القاضِي • وكُلَّما خَضَعْتُ له بالكلامِ • واسْتَنْزَلْتُ منه

بِرِفْقَ الكِرامِ • ورَغَّبْتُه في اَنْ يَنْظُرَ لِي بمُياسَرَةٍ •

او يُنْظِرَنِي الى مَيْسَرَةٍ • قال لا تَطْمَعْ في الانْظارِ • واحْتِجانِ

النضار . فنوحقك ما ترى مسالك الخلاص . او ترينى

سبائك الخلاص . فلما رأيت احتداد لدده . وان

لا مناص لى من يده . شاغبته . ثم واثبته . ليرافعنى الى

والى الجرائم . لا الى الحاكم فى المظالم . لما بلغنى

من اتصال الوالى وفضله . وتشدد القاضى وبخله .

فلما حضرنا باب امير طوس . آنست ان لا باس ولا بوس .

فاسندعيت دواة وقطا . وانشأت اليه رسالة قرطاء وهى

اخلاق سيدنا تحب . وبعقوته يلب . وقربه تحف .

ونايه تلف . ونخلته نسب . وقطيعته نصب . وغربه ذلق .

وشهبه تأتلق . وظلمه نزان . وتويم نهجه بان . وذهنه

قلب وجرب . ونعته شرق وغرب . نظم .

سيد

* سَيِّدٌ قُلَّبٌ سَبُوقٌ مُبِرٌّ * فَطِنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عَيُوفُ *

* مُخْلِفٌ مُتْلِفٌ أَغَرُّ فَرِيدٌ * نَابِهٌ فَاضِلٌ ذَكِيٌّ أَنُوفُ *

* مُغْلِقٌ إِنْ أَبَانَ طَبٌّ إِذَا نَابَ هِيَاجٌ وَجُلَّ خَطْبٌ مَخُوفُ *

مَنَاظِمُ شَرَفِهِ تَأْتَلِفُ • وَشُؤْبُوبُ حِبَائِهِ يَكِفُ • وَنَائِلُ

يَدَيْهِ فَاضٌ • وَشُحُّ قَلْبِهِ غَاضٌ • وَخِلْفُ سَخَائِهِ يُحْتَلَبُ •

وَذَهَبُ عِيَابِهِ يُحْتَرَبُ • مَنْ لَفَّ لِفَّهُ فَلَحَ وَغَلَبَ • وَتَاجِرُ بَابِهِ

جَلَبَ وَخَلَبَ • كَفَّ عَنْ هَضْمِ بَرِيٍّ • وَبَرِئَ مِنْ دَنَسِ غَوِيٍّ •

وَقَرَنَ لِيَانَهُ بِعِزٍّ • وَنَكَّبَ عَنْ مَذْهَبِ كَزٍّ • لَيْسَ بِوَثَّابٍ

عِنْدَ نُهْزَةِ شَرٍّ • بَلْ يَعِفُّ عِفَّةَ بَرٍّ * نظم

* فَلِذَا يُحَبُّ وَيُسْتَحَقُّ عِفَاتُهُ * شَغَفًا بِهِ قُلُبًا بِهِ خَلَّابُ *

* أَخْلَاقُهُ غُرٌّ تَرِفُّ وَفَوْقَهُ * فَوْقَ إِذَا تَاضَلْتَهُ غَلَّابُ *

* شُجُعٌ يَهشُّ ونُ وْتَلافِ إِنْ هَفا * خِلٌّ فليس بِحَقِّه يُرْتابُ *

* لا بها خِلٌ بل بادِلُ خِرْقٌ اذا * يَعْتَرُّ بَرْزٌ لا يَليهِ بابُ *

* إِنْ عَضَّ أَزْلٌ فَلَّ غَرْبَ عِضاضِهِ * بِهَنا بِهِ فانحَتَّ منه نابُ *

وَجَدِ يُرْبِهِنْ لَبَّ وفَطَنَ * وقَرُبَ وشَطَنَ * أَنْ أَذْعَنَ لتَقريعِ زَمَنِ *

وجا بِبِرِّ زَمِنٍ * مُذْ رَضَعَ ثَدْيَ لبانِهِ * خُصَّ بِإِفاضةِ تَهْتانِهِ *

نَعَشَ وفَرَّجَ * وضافَرَ فابْتَهَجَ * ونافَرَ فازْعَجَ * وفاءَ بِحَقٍّ أَبلَجَ *

أَتْعَبَ مَنْ سَيَلِي * وقُرِّظَ اذ هُزَّ وبُلِي * وتَوَّجَ صِفاتِهِ

بِحُبِّ عُفاتِهِ * نظم *

* فَلا خَلادَ ابْهَجِهِ * يَمْتَدُّ ظِلُّ خِصْبِهِ *

* لِأَنَّهُ بَرٌّ بِمَنْ * آنَسَ ضَوْءَ شُهْبِهِ *

* زانَ مَزاياطَرْنِهِ * بِلُبْسِ خوفِ رَبِّهِ *

فَلْيَهْنِ سَيِّدَنا فَوْزُهُ • بِمَفاخِرَ تَأَلَّتْ • وَجَلَّتْ • وَنُوَّتَه
بِصَنائِعَ تَمَّتْ • وَنَمَّتْ • وَيُلائِمُ قُرْبَ حَضْرَتِهِ • غَوْثُ رِقَّةِ
بِحَظٍّ مِن حُظْوَتِهِ • فَإِنَّهُ تَلِيدُ نَدْبٍ • وَشَرِيدُ جَدْبٍ •
وَجَرِيحُ نُوَبٍ أَثَّرَتْ • وَناظِمُ قَلائِدَ تَسَيَّرَتْ • اذا جاشَ
بِخُطْبَةٍ فلا يُوجَدُ قائِلٌ • ثُمَّ قُسٌّ ثُمَّ باقِلٌ • فَإِنْ حَبَّرَ قُلْتَ
حِبَرٌ نُهْنِهَتْ • وخِلْتَ رِياضاً قد نَمَتْ • هذا ثُمَّ شِرْبُهُ بَرْضٌ •
وقُوتُهُ تَرْضٌ • وَقَلَقُهُ غَسَقٌ • وجِلْبابُهُ خَلَقٌ • وقد تَلَقَّ
لِتَوَغُّمِ غَرِيمٍ غاشِمٍ • يَسْتَنْجِدُهُ بِحَقٍّ لازِمٍ • فَإِنْ مَنَّ سَيِّدُنا
بِكَفِّهِ • بِهِباتِ كَفِّهِ • تَوَشَّحَ بِمَجْدٍ فائِقٍ • وَباءَ بِأَجْرٍ نَكِيٍّ
مِنْ وَثائِقَ • لا خَلَتْ سَجايا خُلُقِهِ • تَرْفِدُ شائِمَ بَرْقِهِ •
بِمَنِّ رَبٍّ أَزَلِيٍّ • حَيٍّ أَبَدِيٍّ • قال فَلَمّا اسْتَشَفَّ

الاميرُ لآليها • ولمحَ السرَّ المُودَعَ فيها • اوعزَ في الحال

بقضاءِ دَيني • وفصلِ ما بين خصمي وبيني • ثم استخلصني

لمكاثرته • واختصّني بمسامرته • فلبثتُ بضعَ سنين انعمُ

في ضيافته • وارتعُ في ريفِ راتبته • حتّى اذا غمرتني

مواهبه • واطالَ ذيلي ذاهبه • تطلّعتُ الى الارتحال •

على ما ترى من حسنِ   شكرًا

لمن اتاحَ لك لقيانَ الشيخِ الكريم • وانقذك به

من ضغطةِ الغريم • فقال الحمدُ لله على سعادةِ الجدّ •

والخلوصِ من الخصمِ الالدّ • ثم قال ايُّما احبُّ اليك

ان احذيك من العطاء • ام اتحفك بالرسالةِ الرقطاء •

فقلتُ إملاءُ الرسالةِ احبُّ اليّ • فقال وهو وحقّك

اخف

أَخَفُّ عَلَيَّ • فَإِنَّ نِحْلَةَ مَا يَلِجُ فِي الآذَانِ • أَهْوَنُ

مِن نِحلةِ ما يخرُجُ من الأرْدانِ • ثم كأنّه أنِفَ واستَحْيا

فجمَعَ لي بين الرِّسالةِ والحُذْيا • فغُزْتُ منه بسهْمَيْن

ونَصَلْتُ عنه بغُنْمَيْن • وأُبْتُ الى وَطَني قريرَ العَيْن

بما حُزْتُ من الرِّسالةِ والعَيْن •

المقامة السابعة والعشرون البَدَوِيّة

حكى الحارثُ بن همّام قال مِلْتُ في رَيِّقِ زَمانيَ

الّذي غَبَرَ • الى مُجاوَرةِ أهْلِ الوَبَر • لآخُذَ أخْذَ

نُفوسِهم الأبِيَّة • وألْسِنَتِهم العَرَبِيَّة • فشمَّرْتُ تشميرَ

مَن لا يألُو جُهْدًا • وجعَلْتُ أضْرِبُ في الأرضِ غَوْرًا ونَجْدًا •

الى أنِ اقْتَنَيْتُ هَجْمَةً من الرّاغِيَة • وثُلَّةً من الثّاغِيَة •

ثُمّ أَوَيْتُ الى عَرَبٍ أَرْدافِ أَقْيالٍ • وأَبْناءِ أَقْوالٍ •

فأَوْطَنُونِي أَمْنَعَ جَنابٍ • وفَلُّوا عَنِّي حَدَّ كُلِّ نابٍ •

فما تأَوَّبَنِي عندهم هَمٌّ • ولا قَرَعَ صَفاتِي سَهْمٌ • الى

أَن أَضْلَلْتُ فِي لَيْلَةٍ مُنِيرَةِ البَدْرِ • لِقْحَةً غَزِيرَةَ الدَّرِّ •

فلم أَطِبْ نَفْسًا بإِلْغاءِ طَلَبِها • وإِلْقاءِ حَبْلِها على غارِبِ

فقدتُ فَرَسًا مِحْضارًا • واعتقلتُ لَدْنًا خَطّارًا •

وسَرَيْتُ لَيْلَتِي جَمْعاءَ • أَجُوبُ البَيْداءَ • وأَقْتَرِي كُلَّ

شَجْراءَ • ومَرْداءَ • الى أَن نَشَرَ الصُّبْحُ راياتِه • وحَيْعَلَ

الدّاعِي الى صَلوٰتِه • فنزلتُ عن مَتْنِ الرَّكُوبَةِ • لِأَداءِ

المَكْتُوبَةِ • ثُمّ جُلْتُ فِي صَهْوَتِها • وفَرَرْتُ عن شَحْوَتِها •

وسِرْتُ لا أَرَى أَثَرًا إِلَّا قَفَوْتُه • ولا نَشَزًا إِلَّا عَلَوْتُه •

ولا واديًا الّا جَزَعْتُه • ولا راكبًا الّا استطلعتُه • وجدّي

معَ ذلك يَذهبُ هَدَرًا • ولا يجدُ وِرْدُه صَدَرًا • الى

أنْ حانتْ صَكّةُ عُمَيٍّ • ولَفْحُ هَجيرٍ يُذهِلُ غَيْلانَ عن مَيٍّ •

وكانَ يومًا أطوَلَ من ظِلِّ القَناة • وأحَرَّ من دَمْعِ

المِقْلات • فأيقنتُ أنّي اِنْ لم أستكِنَّ من الوَقْدَة •

وأستجِمَّ بالرَّقْدَة • أنْ تَعنِيني اللُّغوب • وعَلِقَتْ بي شَعُوب •

فعُجْتُ الى سَرْحةٍ كَثيفةِ الأغصان • ورَيِّقةِ الأفنان •

لأغَوِّرَ تحتَها الى المُغَيْرِبان • فواللّهِ ما استَرْوَحَ نَفَسي •

ولا استراحَ فَرَسي • حتّى نظَرْتُ الى سانحٍ • في هَيْئةِ

سائحٍ • وهو يَنْتجِعُ نُجْعتي • ويَشْتَدُّ الى بُقْعتي • فكرِهتُ

مَجيئَه الى مَعاجي • واستعَذْتُ باللّه من شَرِّ كلِّ

مُغاجي * ثم ترجّيتُ أن يتصدّى مُنشِدًا * او يتبدّى مُرشِدًا * فلمّا اقترب من سَرْحتي * وكاد يحُلّ بساحتي ألفيتُه شيخنا السَّروجيَّ مُتّشِحًا بجرابه * ومُضد أُهْبةَ تَجْوابِه * فآنسني إن وَرَد * وأنساني ما شَرَد * ثُم استوضحتُه من أين أثرُه * وكيف عُجَرُه وبُجَرُه * فأنشد بديهًا * ولم يَقُل إيهًا * نظم *

* قُل لمُستطلِعٍ دَخيلةَ أمري * لكَ عِندي كَرامةٌ وعَزازه *
* أنا ما بينَ جَوْبِ أرضٍ فأرضٍ * وسُرًى في مَفازةٍ فمَفازه *
* زادِيَ الصَّيدُ والمَطِيّةُ نَعْلي * وجَهازي الجِرابُ والعُكّازه *
* فإذا ما هَبَطتُ مِصرًا فبيتي * غُرْفةُ الخانِ والنَّديمُ جُزازه *
* لَيْسَ لي ما أُساءُ إنْ فاتَ أو أحزَنُ إنْ حاوَلَ الزَّمانُ ابتِزازَه *

* غيرَ انّي ابيتُ خِلْوًا مِنَ الهمّ ونفسي عن الأسى مُنْحازَه *

* اذ تُدُّ اللمالَ مِلأَ جُفْنِي وقلبي * باردٌ من حرارةٍ وحزازه *

* لا أُبالي من أيّ كأسٍ تفوّقتُ ولا ما خَلاوهُ من مُزازه *

* لا ولا استجيزُ أنْ اجْعَلَ الذلَّ مَجازًا الى تَمنّي إجازه *

* وإن امطْلبٌ كسا حُلّةَ العارِ فبُعْدًا لِمَن يرومُ نجازه *

* ومتى اهتزَّ للدّناءة نِكْسٌ * عافَ طَبْعِي طِباعَهُ واهتزازه *

* فالمنايا ولا الدّنايا وخيرٌ * من ركوبِ الخَنا ركوبُ الجِنازه *

ثمّ رفعَ اليَّ طَرْفَه * وقال لأمرٍ ما جدعَ قصيرٌ انفَه *

فاخبرتُه خبرَنا قبْلَ البارحة * وما عاينتُه في يومي والبارحة * فقال دعِ الالتفاتَ * الى ما فاتَ * والطِّماحَ

الى ما طاحَ * ولا تأسَ على ما ذهبَ * ولو انّه وادٍ من ذهب

ولا تستمِل من مالَ عن رِيحك • واُضرِم نارَتِبا رِيحِ
ولو كان ابن بُوحك • او شقيق رُوحك • ثم قال
هل لك في ، اَنْ تعتَيل • وتتحامى القالَ والقيل • فانَّ
الابَد انَ انضاء تَعَبٍ • والهاجِرة ذاتُ لهَبٍ • ولن يُصقل
الخاطِر • ويُنشط الفاتِر • كقائلة الهواجِر • وخصوصاً
في شَهرَيْ ناجِر • فقلتُ ذاك اليك • وما اُريدُ اَن
اُشقّ عليك • فانتَمرنَ التُّرْبَ واضطَجَعَ • واظهرَ
اَنْ تدهجَعَ • وارتفقتُ علىٰ اَن اَحرُسَ • ولا اُنعُسَ •
فاخذَتني السنَةُ • لمّا برمتِ الاَلسِنَةُ • فلم اُفِق الاّ والليلُ
قد تولّجَ • والنجمُ قد تبلّجَ • ولا السّروجيّ ولا المسرَجَ •
فبِتُّ بليلةٍ نابِغيّةٍ • واَحزانِ يعقوبيّةٍ • اُساوِرُ الوجومَ •

أُسَاهِرُ النُّجُومَ •• أُنَكِّرُ تَارَةً فِي رِحْلَتِي • وَأُخْرَى
فِي رَجْعَتِي • إِلَى أَنْ وَضَحَ لِي عِنْدَ افْتِرَارِ ثَغْرِ الضَّوْءِ
فِي وَجْهِ الْجَوِّ • رَاكِبٌ يَخِدُ فِي الدَّوِّ • فَأَلْمَعْتُ إِلَيْهِ
بِثَوْبِي • وَرَجَوْتُ أَنْ يُعَرِّجَ إِلَى صَوْبِي • فَلَمْ يَعْبَأْ بِالْمَاعِي •
وَلَا أَوَى لِالْتِيَاعِي • بَلْ سَارَ عَلَى هِينَتِهِ • وَأَصْمَانِي بِسَهْمِ
إِهَانَتِهِ • فَأَوْفَضْتُ إِلَيْهِ لِأَسْتَرْدِفَهُ • وَأَحْتَمِلَ تَغَطْرُفَهُ •
فَلَمَّا أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الْأَيْنِ • وَأَجَلْتُ فِيهِ مَسْرَحَ الْعَيْنِ •
وَجَدْتُ نَاقَتِي مَطِيَّتَهُ • وَضَالَّتِي لُقَطَتَهُ • فَمَا كَذَّبْتُ
أَنْ أَنْزَيْتُهُ عَنْ سَنَامِهَا • وَجَاذَبْتُهُ طَرَفَ زِمَامِهَا • وَقُلْتُ
أَنَا صَاحِبُهَا وَمُضِلُّهَا • وَلِي رِسْلُهَا وَنَسْلُهَا • فَلَا تَكُنْ كَأَشْعَبَ
فَتَتْعَبَ وَتُتْعِبَ • فَأَخَذَ يَلْدَغُ وَيَصْئِي • وَيَتَّقِي وَلَا يَسْتَحْيِي

وَبَيْنَا هُوَ يَنْزُو وَيَلِينُ • وَيُسْتَاسِدُ وَيَسْتَكِينُ • اذْ غَشِيَنا
بوزيدٍ لابِسًا جِلْدَ النَّمِرِ • وهاجِمًا هُجومَ السَّيْلِ المُنْهَمِرِ •
فخِفْتُ واللهِ أنْ يكونَ يومُهُ كأمْسِهِ • وبَدْرُهُ مثْلَ
شَمْسِهِ • فأُلْحَقَ بالغابرين • وأُصَيَّرَ خَبَرًا بعدَ عَيْنٍ • فلم أَرَ
الّا أنْ أذكَرْتُهُ العُهودَ المَنْسِيَّةَ • والفَعْلَةَ الأَمْسِيَّةَ •
وناشَدْتُهُ اللهَ أَوَانِيَ اليومَ لِلتَّلافِي • أم لِها فيه إتْلافِي •
فقالَ معاذَ اللهِ أنْ أُجْهِزَ علىَ مَكْلُومي • أو أَصِلَ
حَرَّ وَرِيٍّ بِمَسْمُومي • بل وانيتُك لأَخْبُرَ كُنْهَ حالِك •
وأكونَ يمينًا لِشمالِك • فسكَنَ عندَ ذلك جأشي •
وانجابَ استيحاشي • وأطْلَعْتُهُ طِلْعَ اللَّقْحةِ • وتبرْقَعَ
صاحبي باللقحةِ • فنظَرَ اليه نَظَرَ لَيْثِ العريسةِ •

الى الفَرِيْسَة • ثُمّ اَشْرَعَ قِبَلَه الرُّمْحَ • واَقْسَمَ لَهُ بِمَنْ

اَنَارَ الصُّبْحَ • لَئِن لم يَنْجُ مَنْجَا الذُّبَابِ • ويَرْضَ

من الغنيمة بالاِيابِ • لَيُورِدَنَّ سِنَانَه ورِيْدَه •

ولَيَفْجَعَنَّ به وَلِيْدَه ووَدِيْدَه • فنَبَذَ زِمامَ الناقة وحاصَ •

واَفْلَتَ وله حُصاص • فقال لى ابو زيدٍ تَسَلَّمْها وتَسَنَّمْها •

فانَّها اِحْدَى الحُسْنَيَيْن • ووَيْلٌ اَهْوَنُ من وَيْلَيْن •

قال الحارث بن همّام فحِرْتُ بين لُؤْمِ ابى زيدٍ وشُكْرِه •

وزِنَةِ نَفْعِه بضُرِّه • فكانّه تَوَجَّى بذاتِ صَدْرِي •

او تَكَهَّنَ ما خامَرَ سِرِّي • فقابَلَنى بوَجْهٍ طَلِيقٍ •

واَنشَدَ بلسانٍ ذَلِقٍ * نظم *

* يا اَخِى الحامِلَ ضَيْمِى * دُوْنَ اِخْوانى و قَوْمِى

* إنْ يَكُنْ ساءَكَ أَمْسِي * فلقد سَرَّكَ يَوْمِي *

* فاغتَفِرْ ذاكَ لهذا * واطْرَحْ شُكْرِي ولَوْمِي *

ثُمَّ قال انا تَئِق . وانتَ مَئِق . فكيفَ نتَّفِق . ثُمَّ وَلَّى

يَفْرِي أَدِيمَ الأَرْض . ويَرْكُضُ طَرْفَهُ أَيَّما رَكْض .

فما عَدَوْتُ أَنِ اقْتَعدتُّ مَطِيَّتِي . وعُدْتُّ لِطِيَّتِي .

حتَّى وصَلْتُ الى جِلَّتِي . بعد اللَّتَيَّا والَّتِي .

* تفسيرُ ما أُودِعَ هٰذه المَقامةَ من *

* الأَلْفاظِ اللُّغَوِيَّة والأَمْثالِ العَرَبِيَّة *

* قوله . رَيِّقِ زمانِي يعني أوَّلَهُ ورائِقَهُ وقد يُخَفَّفُ

فيقال رَيْقٌ . قوله . لِآخُذَ إِخْذَ نفوسهم الأبيَّة يعني

أقتدِيَ بهم يقال منه أَخَذَ إِخْذَهُ وأَخْذَهُ بكسر الهمزة

وفَتْحِها • والهَجْمةُ نَحْوُ المائـةِ من الابلِ • والثَّلَّةُ القَطيعُ

من الغَنَم • والراغِيَةُ الابلُ والثاغِيةُ الشاءُ ومنه قولُهم

ما له راغِيةٌ ولا ثاغِيةٌ اى لا ناقةٌ ولا شاةٌ • وقولُه •

أَرْدانُ أَقْيالٍ اى يَخْلَعُون المُلوكَ اذا غابُوا • وقولُه

أَبْناءُ أَقْوالٍ اى فُصَحاءُ يقال للمِنْطِيقِ إِنّه ابنُ أَقْوالٍ •

وقولُه فقد ثَرَّتْ فَرَساً مِحْضاراً التّدثُّرُ الوُثوبُ على

ظَهْرِ الفَرَس • والمِحضارُ والمِحْضيرُ الشديدُ العَدْوِ مأخوذٌ

من الحُضْر • وقولُه أَقْترِي كلَّ شَجْراءَ ومَرْداءَ الاقتراءُ

تتبُّعُ الارضِ • والشَّجْراءُ ذاتُ الشَّجَر • والمَرْداءُ الخاليةُ

من النَّبات ومنه اشتقاقُ الأَمْردِ لخُلوِّ وَجْهِه من الشَّعْر

• وقولُه حَيْعَلَ الدّاعي الى صَلوتِه يَعْنِي به قولَ المُؤَذِّن

حَيَّ على الصلوٰة وحَيَّ على الفَلاح و المصدرُ منه الحَيْعلةُ.
ومثلُه من المصادر الهَيْللةُ. و الحَوْلقةُ. و البَسْملةُ. و الحَسْبلةُ.
والسَبْحَلةُ. و الجَعْلفةُ. و الحَمْدلةُ. فالهَيْللةُ حكايةُ قولِ
لا الٰهَ الّا اللّٰه. و الحَوْلقةُ حكايةُ قولِ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ الّا
بالله. و البَسْملةُ حكايةُ قولِ بِسْمِ الله. و الحَسْبلةُ حكايةُ
قولِ حَسْبُنا الله. و السَبْحلةُ حكايةُ قولِ سُبْحانَ الله. و الجَعْلفةُ
حكايةُ قولهِم جُعِلْتُ فِداك. و الحَمْدلةُ حكايةُ قولِ
الحمدُ لله. وقولُه فنزَلتُ عن مَتْنِ الرَّكوبةِ يعني
المركوبةَ يقال ناقةٌ رَكوبٌ ورَكوبةٌ وحَلوبٌ وحَلوبةٌ
وقد قُرِيَ فمنها رَكوبَتُهم. و الصَّهْوةُ مَقْعَدُ الفارس.
و الشَّجوةُ الحُظوةُ. و الجِزْعُ قَطْعُ الوادي عَرْضًا. وقولُه.

صُكَّةُ عُمَيٍّ يعنى به قائم الظَّهِيرَة وقد اختُلِفَ فى أصله فقيل كان

عُمَيٌّ رَجُلاً مِغوارًا فَغَزَا قومًا عندَ قائم الظَّهِيرَة وصَكَّهم صَكَّةً

شديدةً فصارَ مَثَلاً لكُلِّ مَنْ جاءَ ذلك الوقتَ * وقيل

المُرادُ به الظَّبْيُ لأنّه يسدَرُ فى الهواجر فيَصطكُّ بما يَسْتَقبِلُه

كاصطكاكِ الأعمى ثم صُغِّرَ الأعمى تصغيرَ الترخيم فقيل

عُمَيٌّ كما صَغَّروا أسودَ وأزهرَ فقالوا سُوَيْدٌ وزُهَيْرٌ *

وقوله * وكان يومًا أطولَ من ظِلِّ القَناة يُوصَفُ اليومُ الطَّويلُ

بظِلِّ القَناة كما يُوصَفُ اليومُ القصيرُ بإبهام القَطاة * والعَرَبُ

تَزْعُمُ أنَّ ظِلَّ الرُّمْحِ أطولُ ظِلٍّ ومنه قولُ الشاعر * نظم *

* ويومٍ كظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَه *

* دَمُ الزِّقِّ عَنّا واصطفاقُ المَزاهِرِ *

* قوله * وَأحَرُّ من دَمْعِ المِقْلاتِ وهى الّتى لا يَعِيشُ لها وَلَدٌ فدَمْعُها ابداً حارٌّ لحُزْنِها لأنّه يُقال إنَّ دَمْعَةَ الحُزْنِ حارَّةٌ ودَمْعَةَ السُّرورِ بارِدَةٌ ولهذا قيل للمدعُوِّ له أقَرَّ اللهُ عَيْنَه مأخوذٌ من القَرِّ وهو البَرْدُ وقيل للمدعُوِّ عليه أسْخَنَ اللهُ عَيْنَه مأخوذٌ من السُّخْنَةِ وهى الحرارةُ * وقيل إنَّ اقرارَ العَيْنِ مأخوذٌ من القَرارِ فكأنّه دُعاءٌ له ان يُرْزَقَ مايُقِرُّ عينَه حتى لا تَطْمَحَ الى ما لغَيْرِه وكانت الجاهليّةُ تَزْعُمُ أنَّ المِقْلاتَ اذا وَطِئَتْ على قتيلٍ شريفٍ عاشَ وَلَدُها والى هذا أشارَ بِشْرُ بن أبى حازِمٍ

فى قوله * نظم *

* تَظَلُّ مَقاليتُ النِّساءِ يَطَأْنَهُ * يَقُلْنَ ألا يُلْقَى على المَرْءِ مِيزَرُ *

وقوله

وقوله عَلِقَتْ بى شَعُوب يَعْنِى المَنِيَّةَ ولا تَدْخُل هٰذا
لاسمَ أداةُ التعريف مثل دَجْلةَ وعَرَفَةَ • وقوله
غُوِّرَ تحتَها الى المُغَيْرِبان التغويرُ النُّزولُ للقائلة كما أنَّ
التعريسَ النُّزولُ آخِرَ الليل للتهويم والاستراحةِ والمغيربان
تصغيرُ المَغْرِب وكان قياسُ تصغيره المُغَيْرِبَ إلَّا أنَّ
العَرَبَ أَلحقَتْ آخِرَه ألِفاً ونُوناً على
• وقوله مُضْطَغِناً أُهْبَةَ تَجُوا بِه الاضطغانُ أنْ يَحْمِلَ
الشَّيْءَ تحتَ حِضْنِه والاضطبانُ أن يَجْعلَه تحتَ ضِبْنِه
والضِبْنُ ما بَيْن الإبْط والكَشْحِ وكلاهما مُتَقارِبٌ وأوَّلُ
مَراتب الحَمْل الإبْطُ ثم الضِبْنُ وهو أسْفَلُ الإبْطِ ثم الحِضْن
وهو عند الجَنْبِ والتَّجْوابُ مصدرُ جابَ وجميعُ المَصادِر

التى جاءت على تفعال هى بفتح التاء الاقولهم تبيان وتلقاء لاغير وقال بعضهم وتنضال ايضا • وقوله عجرى وبجرى يريد به جميع امرى الظاهر والباطن واصل العجر العقد الناتية فى العصب والبجر العقد الناتية فى البطن • وقوله لم يقل ايها اى لم يأمرنى بالكف يقال للمستزاد ايه ولمن يستكف ايها • وقوله لامر ما جدع قصير انفه قصير هذا هو مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن عدى ابن اخت جذيمة هو الذى جدع انفه اتهاما له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظى قصير بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا الى

الى العراق فكان يأتيها بالطُّرف منه الى أن اسْتَصْحَبَ

في آخر نَوْبةِ الرّجال في الصّنادِيق وتَوصَّلَ الى قَتْلِها

والاخْذِ بثأرِ مَوْلاه منها وقِصَّتُها مَشْهورةٌ • وقوله ولو كانَ

ابنَ بُوْحٍ يَعْنِي وَلَدَ الصُّبْح اشارةً الى أنّه وُلِدَ في

باحَةِ الدّار وهي عَرْصتُها وجَمْعُها بُوْحٌ • وقيل البُوْحُ من

أسماءِ الذّكر ايضًا • وقوله في شَهرَيْ ناجِرِها شَهْرا الحَرِّ

وقيل إنّهما حَزِيْرانُ وتَموزُ وانكر ابوبكر بنُ

دُرَيْد هذا القولَ وقال هُما طلُوعُ نَجْمَيْن • وقوله

فبِتُّ بلَيْلةٍ نابغيّةٍ أوْمأ به الى قول النّابِغة • نظم •

• فبِتُّ كأنّي ساوَرَتْني ضَئيْلةٌ •

• من الرُّقْشِ في أنيابِها السّمُّ ناقِعُ •

و قوله اَلْمَعْتُ اليه بثَوْبِي يَعْنِي اَشَرْتُ يُقال منه لَمَعَ

و اَلْمَعَ بمعنىً واحدٍ • قوله يَلْدَغُ ويَصْئِي هذا مَثَلٌ يُضرب

لمن يَظْلِمُ ويَشْكُو يقال صَأَيت العقربُ تَصْئِي صِئْياً

بفتح الصاد وكسرها اذا صَوَّتَتْ • وكذلك الفَرْخُ وما

اَحْسَنَ قولَ ابن الرُّومي في هذا المعنى • نظم •

تُشكِي المُحِبَّ وتَشْكُو وهي ظالمةٌ •

• كالقَوْسِ تُصْمِي الرَّمايا وهي مِرْنانٌ •

وقوله يَنْزُو ويَلِيْنُ هذا المَثَلُ يُضرَبُ لمن يَتَعَزَّزُ ثم

يَذِلُّ ويقال اِنَّ اصله الجَدْيُ يَنْزُو وهو صغيرٌ فاذا كَبِرَ

لان • وقوله لا بِسًا جِلْدَ النَّمِرِ هذا المَثَلُ يُضْرَبُ للمُتَنَمِّرِ

التَجَرِّيْ لاَنَّ النَّمِرَ اَجْرأُ سَبُعٍ واقَلُّه احتما لاً للضَّيْمِ ومِنْ

هذا

هذا اشتقاقُ قولهم تَنَمَّر اى صار مِثْلَ النمِر * وقولُه فالحَقْ

بالقارِظَين الاصلُ فى القارِظ انّه الّذى يجْنِى القَرَظَ

وهو النّباتُ المدبوغُ بهِ والقارِظانِ المشارُ اليهما

اَحَدُهما من عَنَزَةَ و الآخَرُ من النَّمِر بن قاسطٍ وكانا خَرَجا

يَجْنِيان القَرَظَ فلم يَرْجِعا ولا عُرِفَ لهما خَبَرٌ فضُرِبَ به

المَثَلُ لكُلِّ غائبٍ لا يُرْجى اِيابُه واليهما اَشارَ

ابو ذُؤَيْبٍ فى قوله * نظم *

* وحتّى يَؤُوبَ القارِظانِ كلاهما *

* ويُنْشَرَ فى القَتْلى كُلَيْبٌ لوائِلِ *

* وقولُه اَصِلَ حَرُورِىٍّ بسَمُومِى الحَرورُ الريحُ الحارَّةُ

ليلاً والسَّمومُ الريحُ الحارَّةُ نهارًا وقد تُقامُ اِحدهُما مُقامَ

الأخرى مجازاً • وقوله لَيْثُ العَرِيسةِ يَعْنِي به مأوى السَّبُع يقال فيه عريسٌ وعريسةٌ بإثبات الهاءِ وحذفها كما يُقال غابٌ وغابةٌ وعُرينٌ وعرينةٌ فأما الغيلُ والخِيسُ فلم يُلْحِقوا بهما الهاءَ • وقوله أفلَتَ وله حُصاصٌ هذا المَثلُ يُضرَبُ لمن نجا من هَلَكةٍ أشفى عليها بعدَ ما كان يهوي فيها والحُصاصُ العَدْوُ • وقيل إنَّه الضُّراطُ كأنَّه لفَزَعِه يَعْدُو ويَضرِطُ • وقولُه وَيْلُ أهونُ من ويلَيْن هذا المَثَلُ يُضرَبُ تسليةً لمَنْ نالَه بعضُ المكروه

ومِثلُه قولُ الشاعر • نظم •

• أبا مُنذِرٍ أفنيتَ فاستبقِ بَعْضَنا •

حنانيك بعضُ الشَّرِّ أهونُ من بَعْضِ

وقوله

• وقوله انا تَئِقٌ وانت مَئِقٌ فكيف نتّفِقُ هذا المَثَل يُضْرَبُ للمُتنافيين في الخُلُق فان التَّئِقَ هو المُمْتَلِئُ غيظاً ماخوذٌ من قولهم أَتْأَقْتُ الاناءَ اذا ملأْتَهُ والمَئِقُ هو الباكي فكانّ التَّئِقَ ينزِعُ الى الشّرِ لغيْظِه والمَئِقُ يَضيقُ ذَرْعاً باحتماله ومِثْلُه قولُ الآخر انا كَلِفٌ وانت صَلِفٌ فكيف نأتَلِفُ • وقوله اطيَّتي يَعْني لقَصْدي ووِجْهَتي وقد يُقال فيه طِيَةٌ بالتخفيف • وقولُهُ بعدَ اللّتيّا والّتي اللّتيّا تصغيرُ الّتي وهو على غيرِ قياسِ التصغيرِ المُطَّرِد لان القِياسَ ان يُضَمَّ اوّلُ الاِسمِ اذا صُغِّرَ وقد اُقِرَّ هذا الاسمُ على فَتْحتِه الاَصْليّةِ عندَ تصغيرِه الّا انَّ العَرَبَ عوَّضَتْه عن ضَمّ اوّلِه بان زادَتْ الِفاً

فى آخِره وقد أُجرِيَت أسماءُ الاشارةِ عند تصغيرِها على حُكمِه فقالت فى تصغير الّذى والّتى اللّذيّا واللّتيّا وفى تصغير ذا وذاك ذيّا وذيّاك وقد اختُلِفَ فى معنى قولهم بعد اللّتيّا والّتى فقيل هما من اسماءِ الدّاهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره

المقامةُ الثامنة والعشرون السمرقندية

اخبر الحارثُ بن همّام قال استبضعتُ فى بعض أسفارى القَنْدَ · وقصدتُ به سَمَرْقَنْدَ · وكنتُ يومئذٍ قويمَ الشّطاط · جموم النّشاط · أرمى عن قوسِ المراح · الى غَرَضِ الأفراح · واستعين بماءِ الشّباب · على مَلامِحِ السّراب · فوافيتُها بُكرةَ عَرُوبةَ · بعد أن كابدتُ

الصعوبة

الصعوبة فسعيت يوما وثنيته الى ان حصل اليتم. فلما

نقلت اليه قدمي. وملكت قول عندي. عجت الى الحمام

على الاثر. فامطت عني وعثاء السفر. واخذت في غسل الجمعة

بالاثر. ثم بادرت في هيئة الخاشع. الى مسجدها

الجامع. لالحق بمن يقرب من الامام. ويقرب افضل

الانعام. فتخطيت بان جليت في الحلبة. وتخيرت

المركز لاستماع الخطبة. ولم يزل الناس يدخلون

في دين الله افواجا. ويردون فرادى وازواجا. حتى

اذا اكتظ الجامع بحفله. واطل تساوي الشخص وظله.

برز الخطيب في اهبته. متهاديا خلف عصبته. فارتقى

في منبر الدعوة. الى ان مثل بالذروة. فسلم مشيرا

باليمين • ثم جلس حتى ختم نظم الناذين • ثم قام وقال •
الحمد لله الممدوح الأسماء • المحمود الآلاء • الواسع
العطاء • المدعو لحسم اللأواء • مالك الأمم • ومصور
الرمم • ومكرم أهل السماح والكرم • ومهلك عاد
وإرم • أدرك كل سر علمه • ووسع كل مصر حلمه •
وعم كل عالم طوله • وهد كل مارد حوله • احمده
حمد موحد مسلم • وأدعوه دعاء مومل مسلم • وهو الله
لا إله إلا هو الواحد الأحد • العادل الصمد • لا ولد له
ولا والد • ولا ردء معه ولا مساعد • أرسل محمدا
للإسلام ممهدا • وللملة موطدا • ولأدلة الرسل موكدا
وللأسود والأحمر مسددا • وصل الأرحام • وعلم الأحكام •

ووسم

وَوَسَمَ الحَلالَ والحَرامَ • ورَسَمَ الإحْلالَ والإحْرامَ • كَرَّمَ اللهُ مَحَلَّهُ • وكَمَّلَ الصّلوةَ والسَّلامَ لهُ • ورَحِمَ آلَهُ الكُرَماءَ • وأهْلَهُ الرُّحَماءَ • ماهُمْ رُكامٌ • وهُمْ رُحَماءُ • وسَرَحَ سَوامٌ • وسَطا حُسامٌ • اِعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللهُ عَمَلَ الصُّلَحاءِ • واكدَحُوا لِمَعادِكُمْ كَدْحَ الأصِحّاءِ • وارْدَعُوا أهْواءَكُمْ رَدْعَ الأعْداءِ • وأعِدُّوا للرِّحْلَةِ إعْدادَ السُّعَداءِ • وادَّرِعُوا حُلَلَ الوَرَعِ • وداوُوا عِلَلَ الطَّمَعِ • وسَوُّوا أوَدَ العَمَلِ • وعاصُوا وَساوِسَ الأمَلِ • وصَوِّرُوا لأوْهامِكُمْ حُؤُولَ الأحْوالِ • وحُلُولَ الأهْوالِ • ومُساوَرَةَ الأعْلالِ • ومُصارَمَةَ المالِ والآلِ • وادَّكِرُوا الحِمامَ وسَكْرَةَ مَصْرَعِهِ • والرَّمْسَ وهَوْلَ مُطَّلَعِهِ • واللَّحْدَ و

وَحْدةٌ مَوْدَعة . والملكَ ورَوْعةً سُوا لهِ ومطلعِه .

والبحوا الدّ هرِ ولُؤمُ كَبِرِه . وسُوءِ مجالهِ ومكرِه . كم

طمسَ معالمًا . وأمرّ مطعمًا . وقطعَ عزمًا . ونزملكًا

مكرّمًا . فهُو سكُّ المسامع . وسحُّ المدامع . واكداءُ

المطامع . وإرداءُ المشبع والشامع . عمّ حكمُه

الملوكَ والرّعاع . والمسوّدَ والمطاع . والحسودَ

والحُسّاد . والإسادِ والآساد . ما مَوَّلَ إلّا مالَ . وعكسَ

الآمالَ . ولا وَصَلَ إلّا وصالَ . وكلّمَ الأوصالَ . ولا

سرَّ إلّا وساءَ . ولؤمَ وأساءَ . ولا أصحَّ إلّا ولّدَ الدّاءَ . وروّعَ

الأوِدّاءَ . اللهَ اللهَ . رعاكمُ اللهُ . الامَ مدا ومةُ اللّهو .

وسوا صلةُ السّهو . وطولُ الإصرار . وجهلُ الأصار . واطّراحُ

كلا

كَلامِ الحُكَماءِ * ومُعاماةُ إلهِ السَّماءِ * أما الهَرَمُ فحَصادُكم *

والمَدَرُ مِهادُكم * أما الحِمامُ فمُدرِكُكم * والصِّراطُ

مَسلَكُكم * أما السّاعةُ فمَوعِدُكم * والسّاهِرةُ مَورِدُكم *

أما أهوالُ الطامَّةِ لكم مُرصَدةٌ * أما دارُ العُصاةِ

الحُطَمةُ المُوصَدةُ * حارِسُهم مالِكٌ * ورُواؤُهم حالِكٌ *

وطَعامُهم السُّموم * وهَواؤُهم السَّموم * لا مالَ أسعَدَهم

ولا وَلَدَ * ولا عَدَدَ حَماهم ولا عُدَدَ * ألا رَحِمَ اللهُ امرَأً

مَلَكَ هَواه * وأمَّ مَسالِكَ هُداه * وأحكَمَ طاعةَ مَولاه *

وكَدَحَ لِرَوحِ مأواه * وعَمِلَ ما دامَ العُمرُ مُطاوِعاً * والدَّهرُ

مُوادِعاً * والصِّحّةُ كامِلةً * والسَّلامةُ حاصِلةً * وإلّا

دَهِمَه عَدَمُ المَرامِ * وحَصَرُ الكلامِ * وإلمامُ الآلامِ *

وحُموم الحِمام • وهُدُوّ الحَواسّ • ومِراس الأرماس •

آهًا لها حَسرةً أمَدُها مُوَكَّدٌ • وأمَدُها سَرمَدٌ • ومُمارِسُها

مُكمَدٌ • ما لِهَولِهِ حاسِمٌ • ولا لِسَدِّهِ راحِمٌ • ولا لهُ

مِمّا عَراهُ عاصِمٌ • ألهَمَكم اللهُ أحمَدَ الإلهام • ورَدَّ أكرمَ

رِداءِ الإكرام • وأحَلَّكم دارَ السَّلام • وأسألُه الرَّحمةَ

لكم ولأهلِ مِلّةِ الإسلام • وهو أسمَحُ الكِرام • والمُسلِّمُ

والسَّلام • قال الحارثُ بن همّام فلمّا رأيتُ الخُطبةَ

نُخبةً بلا سَقَطٍ • وعَروسًا بغير نُقَطٍ • دعاني الإعجابُ

بنَظمِها العجيب • إلى استِجلاءِ وَجهِ الخطيب • فأخذتُ

أتوسَّمُه جِدًّا • وأُقلِّبُ الطَّرفَ فيه مُجِدًّا • إلى أن

وَضَحَ لي بصِدقِ العَلامات • أنّه شيخُنا ذو المقامات •

ولم

ولم يكُنْ بُدٌّ من الصَّمْت * في ذلك الوقت * فأمسكتُ حتّى تحلَّل من النَّقل والفرْض * وحلَّ الانتشارُ في الأرض * ثم واجهتُ تلقاءه * وابتدرتُ لقاءه * فلمَّا لحظَني خفَّ في القيام * وأحفى في الإكرام * ثم استصحبني الى داره * وأوْدَعني خصائصَ أسراره * وحِينَ انتشرَ جناحُ الظَّلام * وحانَ ميْقاتُ المنام * أحضرَ أباريقَ المُدام * معكومةً بالفِدام * فقلتُ أتحسُوها أمامُ القَوْم * وأنت إمامُ القَوْم * فقال مَهْ أنا بالنَّهار خطيبٌ * وفي اللَّيْل أطيبُ * فقلتُ والله ما أدْري أأعْجَبُ من تسلِّيكَ عن أُناسِك * ومَسْقِطِ راسِك * أمْ من خطابتك مع أدْناسك * ومُدارِ كاسِك * فأشاحَ بوَجْهه

عني * ثم قال اسمع مني * نظم *

* لا تبك الغانيات ولا ادارا * ودر مع الدهر كيفما دارا *

* واتخذ الناس كلهم سكنا * ومثل الارض كلها دارا *

* واصبر على خلق من تعاشره * وداره فاللبيب من دارا *

* ولا تضع فرصة السرور فما * تدري ايوما تعيش ام دارا *

* واعلم بان المنون جائلة * وقد ادارت على الورى دارا *

* واقسمت لا تزال قانصة * ما كر عصر المحيا وما دارا *

* فكيف ترجى النجاة من شرك * لم ينج منه كسرى ولا دارا *

قال فلما اعتورتنا الكؤوس * وطربت النفوس * جرعني

اليمين الغموس * على ان تحفظ عليه الناموس * فاتبعت

مراسمه * ورعيت لي ما سه * ونزلته بين الملا منزلة الفضيل *

وسد لت

سَدَلْتُ الذَّيْلَ عَلَى مَخَازِي اللَّيْلِ * وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ

أَبُهُ وَدَأْبِي * الَى أَنْ تَهَيَّأَ إِيَابِي * فَوَدَّعْتُهُ وَهُوَ

مُصِرٌّ عَلَى التَّدْلِيسِ * وَمُسِرٌّ حَسْوَ الخَنْدَرِيسِ *

* المَقَامَةُ التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُونَ الوَاسِطِيَّةُ *

حَكَى الحَارِثُ بنُ هَمَّامٍ * قَالَ أَلجَأَنِي حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ *

الَى أَنْ أَنْتَجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ * فَقَصَدْتُهَا وَانَا لَا أَعْرِفُ بِهَا

سَكَنًا * وَلَا أَمْلِكُ فِيهَا مَسْكَنًا * وَلَمَّا حَلَلْتُهَا حُلُولَ الحُوتِ

بِالبَيْدَاءِ * وَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ * فِي اللِّمَّةِ السَّوْدَاءِ *

قَادَنِي الحَظُّ النَّاقِصُ * وَالجَدُّ النَّاكِصُ * الَى خَانٍ يَنْزِلُهُ

شُذَّاذُ الآفَاقِ * وَأَخْلَاطُ الرِّفَاقِ * وَهُوَ لِنَظَافَةِ مَكَانِهِ *

وَطَرَافَةِ سُكَّانِهِ * يُرَغِّبُ الغَرِيبَ فِي إِيطَانِهِ * وَيُنْسِيهِ

هوى أوطانه • فاستفردت منه بحجرة • ولم أناقش

في أجرة • فما كان إلا كلمح طرف • أو خطّ حرف • حتّى

سمعت جاري بيت بيت • يقول لنزيله في البيت •

قم يا بنيّ لا قعد جدّك • ولا قام ضدّك • واستصحب

ذا الوجه البدري • واللون الدرّي • والأصل

النقيّ • والجسم الشقيّ • الذي قبض ونشر • وسجن

وشهر • وسقي وفطم • وأدخل النار بعد ما لطم •

ثمّ اركض إلى السوق • ركض المشوق • فقايض به

اللاقح الملقح • المفسد المصلح • المكمد المفرّح • المعنّي

المروّح • ذا الزفير المحرق • والجنين المشرق • واللفظ

المقنع • والنيل الممتع • الذي إذا طرق • رعد وبرق •

وباح

وباحَ بالحُرَقِ * ونَفَثَ في الخِرَقِ * قال فلمّا قُبِرَتْ شِقْشِقَةُ الهادِرِ * ولم يَبْقَ الّا صَدَرُ الصّادِرِ * بَرَزَ فَتىً يَمِيسُ * وما مَعَهُ أَنِيسٌ * فرأيتُها عُضْلَةً تَلْعَبُ بالعُقولِ * وتُغْرِي بالدُّخولِ في الفُضولِ * فانطلقتُ في إثْرِ الغُلامِ لأخْبُرَ فَحْوَى الكلامِ * فلم يَزَلْ يَسْعى سَعْيَ العَفارِيتِ ويَتَفَقَّدُ نَضائِدَ الحوانيتِ * حتّى انتهى عندَ الرَّواحِ الى حِجارَةِ القَدّاحِ * فناوَلَ بائِعَها رَغيفًا * وتَناوَلَ منه حَجَرًا لَطيفًا * فعَجِبْتُ من لَطافَةِ المُرْسِلِ والمُرْسَلِ * وعلِمْتُ أنّها سَرُوجِيَّةٌ وإنْ لم أَسْأَلْ * وما كَذَبْتُ أنْ بادَرْتُ الى الخانِ * مُنْطلِقَ العِنانِ * لأنْظُرَ كُنْهَ تَهَمِي * وهَلْ قَرْطَسَ في التَّكَهُّنِ سَهْمِي * فاذا أنا في الغِراسَ

فارسٌ • وأبو زيدٍ بوصيدِ الخانِ جالسٌ • فتهادينا بُشرى

الالتقاءِ • وتقارضنا تحيّةَ الأصدقاءِ • ثمّ قال ما الّذي

نابكَ • حتّى زايلتَ جنابكَ • فقلتُ دهرٌ هاضَ • وجورٌ

فاضَ • فقال والّذي أنزلَ المطرَ من الغمامِ • وأخرجَ

الثّمرَ من الأكمامِ • لقد فسدَ الزّمانُ • وعمَّ العدوانُ •

وعُدِمَ المِعوانُ • واللّهُ المُستَـ ... ـب أفلتَّ • وعلى

أيِّ وصفَيكَ أجفلتَ • فقلتُ اتّخذتُ اللّيلَ قميصاً •

وأدلجتُ فيه خميصاً • فأطرقَ ينكتُ في الأرضِ •

ويُفكِّرُ في ارتيادِ القرضِ والغرضِ • ثمّ اهتزَّ هزّةَ

من أكثبهُ قنصٌ • أو بدتْ له فرصٌ • وقال قد علقَ

بقلبي أن تُصاهرَ من يأسو جراحكَ • ويريشُ جناحكَ •

فقلت

فقلتُ وكيف اَجْمَعُ بينَ غُلٍّ وقُلٍّ * ومَنِ الّذى يَرْغَبُ

فى ضُلِّ ابنِ ضُلٍّ * فقال انا المُشِيرُ بك واليك * والوكيل

لك وعليك * مع اَنَّ دِيْنَ القومِ جَبْرُ الكسير * وفَكُّ الاسير *

واحترامُ العشير * واستنصاحُ المُشِير * الّا اَنَّهم لو خطَبَ

يهم ابراهيمُ بنُ اَدْهَم * او جَبَلةُ بنُ الاَيْهَم *

لما زَوَّجوه الّا على خَمْسِ مِائةِ دِرْهَم * اقتداءً بما

مهَرَ الرسولُ زَوْجاتِه * وعقَدَ به اَنْكِحَةَ بَناتِه *

على انك لن تُطالَبَ بصَداقٍ * ولن تُلْجَأَ الى طَلاقٍ *

ثم انّى ساَخْطُبُ فى مَوْقِفِ عَقْدِك * ومَجْمَعِ حَشْدِك *

خُطْبَةً لم تَقْرَعْ رُتْقَ سَمْعٍ * ولا خُطِبَ بمِثْلِها فى جَمْعٍ *

قال الحارثُ بن همّام * فازْدَهانى بوَصْفِ الخُطْبةِ

المتلوّة • دون الخطبة المجلوّة • حتى قلت له قد وكلت

اليك هذا الخطب • فدبّره تدبير من طبّ لمن حبّ •

فنهض مهرولاً • ثم عاد متهلّلاً • وقال ابشر باعتاب

الدّهر • واحتلاب الدّرّ • فقد وُلّيت العقد • واُكفلت

النقد • وكان قد • ثم اخذني مواعدة اهل الخان •

واعداد حلواء الخوان • فلمّا مدّ الليل اطنابه • واغلق

كلّ ذي باب بابه • اذّن في الجماعة • ان احضروا

في هذه الساعة • فلم يبق فيهم الاّ من لبّى صوته •

وحضر بيته • فلمّا اصطفّوا لديه • واجتمع الشاهد والمشهود

عليه • جعل يرفع الاسطرلاب ويضعه • ويلحظ التقويم

ويدعه • الى ان نعس القوم • وغشي النوم • فقلت له

يا هذا

ضَعِ الفَأسَ فى الراس * وخَلِّصِ الفاسَ

فَنَظَرَ نَظرةً فى النُّجوم * ثُم انتَشطَ من عُقلةِ

الوُجوم * واَقسَمَ بالطُّور * والكِتابِ المسطور

لَيَنْكَشِفَنَّ سِرُّ هٰذا الاَمْرِ المستور * ولَيَنْتَشِرَنَّ ذِكْرُه

الىٰ يومِ النُّشور * ثُمَ اِنَّه جَثىٰ علىٰ رُكْبَتِه * واستَرْعَى

الاَسْماعَ لِخُطْبَتِهِ * وقال الحمدُ للّهِ المَلِكِ المحمود

المالِكِ الوَدود * مُصَوِّرِ كُلِّ مولودٍ * ومآلِ كُلِّ مطرودٍ

ساطِحِ المِهاد * ومُوَطِّدِ الاَطْواد * ومُرسِلِ الاَمْطار

ومُسَهِّلِ الاَوْطار * عالِمِ الاَسرار ومُدْرِكِها * ومُدَمِّرِ

الاَمْلاكِ ومُهلِكِها * ومُكَوِّرِ الدُّهورِ ومُكَرِّرِها

ومُورِدِ الاُمورِ ومُصْدِرِها * عَمَّ سَماحُه وكَ

وهطل رُكامُه وهمَل • وطاوعَ السُّؤْلَ والأمَل • وأوسعَ المُرْمِلَ والأرْمَل • أحْمَدُه حَمْداً امهد ودّاً مَداه • وأوَحِّدُه كما وَحَّدَه الأوّاه • وهو اللّهُ لا الهَ للأمَم سِواه • ولا صادِعَ لما عَدَّله وسَوّاه • أرْسَلَ مُحَمَّداً عَلَماً للإسْلام • وإماماً للحُكّام • ومُسَدِّداً للرَّعاع • ومُعَطِّلاً أحْكامَ وُدٍّ وسُواع • أعْلَمَ وعَلَّمَ • وحَكَّمَ وأحْكَمَ • وأصَّلَ الأصولَ ومَهَّدَ • وأكَّدَ الوُعودَ وأوْعَدَ • واصَلَ اللهُ له الإكْرامَ • وأوْدَعَ رُوحَه دارَ السَّلام • ورَحِمَ آلَه وأهْلَه الكِرام • ما لمَعَ آلٌ • ومَلَعَ رَأْلٌ • وطلَعَ هِلالٌ • وسُمِعَ إهْلالٌ • إعْمَلوا رَعاكُمُ اللهُ أصْلَحَ الأعْمال • واسْلُكوا مَسالِكَ الحَلال • واطَّرِحوا

الحَرامَ ودَعوة ۰ واسْمَعوا أمْرَ اللهِ وعُزْه ۰ وصِلُوا الأرْحامَ

وراعُوْها ۰ وعاصُوا الأهْواءَ واردَعُوها ۰ وصاهِرُوا

لُحَمَ الصَّلاحِ والوَرَع ۰ وصارِمُوا رَهْطَ اللَّهْوِ والطَّمَع ۰

ومُصاهِرُكم أطْهَرُ الأحْرارِ مَوْلِدًا ۰ وأسْراهم سُؤْدَدًا ۰

وأحْلاهم مَوْرِدًا ۰ وأصَحُّهم مَوْعِدًا ۰ وها هُوَ أمَّكم ۰

وحَلَّ حَرَمَكم ۰ مُمْلِكًا عَرُوسَكم المُكَرَّمَه ۰ وماهِرًا

لها كما مَهَرَ الرَّسولُ أمَّ سَلَمَة ۰ وهو أكْرَمُ صِهْرٍ أُودِعَ

الأوْلادَ ۰ ومُلِّكَ ما أرادَ ۰ وما سَهَا مُمْلِكُه ولا وَهِمَ ۰ ولا وُكِسَ

مُلاحِمُه ولا وُصِمَ ۰ أسْألُ اللهَ لكم إحْمادَ وِصالِه ۰

ودَوامَ إسْعادِه ۰ وألْهَمَ كُلًّا إصْلاحَ حالِه ۰ والإعْدادَ

لمَعادِه ۰ ولهُ الحَمْدُ السَّرْمَد ۰ والمَدْحُ لرَسُولِه مُحَمَّد ۰

فلمّا فرغ من خطبته البديعة النّظام • العريّة من الإعجام •
عقد العقد على الخمس المئين • وقال بالرّفاء
والبنين • ثم أحضر الحلواء التي كان أعدّها • وابدى
الآبدة عندها • فاقبلت إقبال الجماعة عليها • وكدتّ
أهوي بيدي اليها • فزجرني عن المواكلة • وانهضني
للمناولة • فوالله ما كان بأسرع من تصافح الأجفان
حتى خرّ القوم للأذقان • فلمّا رأيتهم كأعجاز نخل خاوية •
او صرعى بنت خابية • علمت انها إحدى
الكبر • وأمّ الغبر • فقلت له يا عديّ نفسه • وعبيد
فلسه • أأعددت للقوم حلوى • أم بلوى • فقال
ما عدا الاخبيص البنج • في صحاف الخلنج • فقلت أقسم

بمن

بهن اطلعها زهرا • وهدى بها السارين طرّا • لقد جئت شيئًا نكرا • وأبقيت لك في المخزيات ذكرا • ثم جرت فكرة في ضيور امره • وخيفة من عدوى غرّه • حتى طارت نفسي شعاعا • وأرعدت فرائصي ارتياعا • فلما رأى استطارة فرقي • واستشاطة قلقي • قال ما هذا الفكر المرمض • والروع المومض • فان يكن فكرك في أجلي • من أجلي • فانا الآن أرتع وأطفر • وأقوى منى هذه البقعة وأقفر • وكم مثلها فارقتها وهي تصفر • وإن يكن نظرا لنفسك • وحذرا من حبسك • فتناول فضالة الخبيص • وطب نفسا عن القميص • حتى تأمن المستعدى والمعدى • ويتمهد لك المقام

بَعْدِي • وإِلَّا فَالْمَغْرَمُ الْمَغْرَّ • قَبْلَ أَنْ تُسْحَبَ وتُجَرّ • ثُمَّ عَمَدَ
لاستخراجِ ما في البُيُوت • من الأكياسِ والتُّخُوت •
وجعلَ يستخلِصُ خالِصةَ كُلِّ مخزونٍ • ونُخْبةَ كُلِّ مذروعٍ
وموزونٍ • حتّى غادرَ ما أُنْقاهُ فَحَّه • كعَظْمٍ استُخْرِجَ
مُخُّه • فلمّا همَّ مَا اصطفاهُ وزَمَّ • وشَمَّرَ عن ذِراعَيْهِ
وتحزّمَ • أقبلَ على إقبالَ مَنْ لَبِسَ الصَّفاقَةَ • وخلعَ
الصَّداقةَ • وقال هَلْ لكَ في المُصاحَبةِ إلى البَطِيحَةِ •
لأَصِلَكَ بأُخْرَى مَلِيحَةٍ • فأقسمتُ له بالّذي جَعَلَه
مُبارَكًا أَيْنَما كان • ولم يجعلْه مِمَّنْ خانَ في خان •
إنّه لا قِبَلَ لي بنكاحِ حُرَّتَيْنِ • ومُعاشَرةِ ضَرَّتَيْنِ •
ثُمَّ قُلْتُ له قولَ المُتَطَبِّعِ بطِباعِه • الكائلِ له بصاعِه •

قد كفتني

قد كفتني الاولى فخرا * فاطلب آخر للاخرى * فتبسم من كلامي * ودلف لالتزامي * فلويت عنه عذاري * وابديت له ازوراري * فلما بصر بانقباضي * وتجلى له اعراضي * انشد * نظم *

* يا صارفا عني المودة والزمان له صروف *
* ومعنفي في نصح من * جاوزت تعنيف العسوف *
* لا تلحني فيما اتيت فانني بهم عروف *
* ولقد نزلت بهم فلم * ارهم يراعون الضيوف *
* وبلوتهم فوجدتهم * لما سبكتهم زيوف *
* ما فيهم الا مخيف ان تمكن او مخوف *
* لا بالنصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف *

* ثمّ وَثَبْتُ فيهم وَثْبَةَ الذئبِ الضَّرِيِّ على الخَرُوف *

* وتركتهم صَرعى كأنّهم سُقوا كأسَ الحُتوف *

* وتحكَّمت فيما اقتنوهُ يدي وهم رُغْمُ الأُنوف *

* ثمّ انثنيتُ بمَغْنَمٍ * حُلوِ المَجاني والقُطوف *

* ولطالما خلَّفتُ مَكْلومَ الحَشا خَلْفي يَطوف *

* ووَتَرْتُ أربابَ الأرائكِ والدّرائكِ والسُّجوف *

* ولكم بَلَغتُ بحيلتي * ما ليس يُبْلَغُ بالسُّيوف *

* ووَقَفْتُ في هَوْلٍ تُراعُ الأُسْدُ فيه من الوُقوف *

* ولكم سفكتُ وكم فتكتُ وكم هتكتُ حِمى أُنوف *

* وكمِ ارتكاضٍ مُوبِقٍ * لي في الذُّنوبِ وكم خُفوف *

* لكنّني أعددتُ حُسْنَ الظّنِّ بالمَوْلى الرَّؤوف *

قال

فلما انتهى الى هذا البيت لجّ فى الاستعبار ، واذ
بالاستغفار ، حتى استمال رضا قلبى المنحرف ، ورجّون
له ما يرجى للمقترف المعترف ، ثم انه غيّض دمعه
المنهلّ ، وتأبّط جرابه وانسلّ ، وقال لابنه احتمل
الباقى ، والله الواقى ، قال المخبر بهذه الحكاية
فلما رأيت انسياب الحيّة والحييّة ، وانتهاءا الدّا
الى الكيّة ، علمت ان تربّثى بالخان ، مجلبة للهوان
فصممت رحيلى ، وجمعت للرّحلة ذيلى ، وبتّ ليلتى
أسرى الى الطيب ، وأحتسب الله على الخطيب ،

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحارث بن همّام قال ارتحلت من مدينة

المنصورة الى بَلْدةِ صُوْر . فلمّا حَصَلْتُ بها ذا رفعةٍ
وخَفْضٍ . وما لكَ رَفْعٍ وخَفْضٍ . تُقْتُ الى مِصْرَ تَوْقانَ
السقيمِ الى الأُساة . والكريمِ الى المُواساة . فرَفَضْتُ
علائِقَ الاستقامة . ونَفَضْتُ عوائِقَ الإِقامة . واعروريتُ
ظَهْرَ ابنِ النَّعامة . وأجفَلْتُ نَحْوَها إجفالَ النَّعامة .
فلمّا أن حَلَلْتُها بعدَ مُعاناةِ الأَيْن . ومُداناةِ الحَيْن . كَلِفْتُ
بها كَلَفَ النَّشْوان بالاصطباح . والحَيْران بتَنَفُّسِ
الصَّباح . فبينما أنا يَوْمًا بها أَطُوْف . وتَحْتي فَرَس
قَطُوف . اذ رأيْتُ على جُرْدٍ من الخَيْل . عُصْبَةً كمصابيحِ
اللَّيل . فسأَلْتُ لانتجاعِ النُّزْهة . عن العُصْبَةِ والوِجْهة .
فقيل امّا القومُ فشُهُوْدٌ . وامّا المَقْصدُ فإمْلاكٌ مشهودٌ

فحدتني ميعةُ النَّشاط * على أن سِرتُ مع الفُرَّاط * لأفوز بحلاوةِ اللُّقاط * واحُوزَ حلواءَ السِّماط * فأفضينا بعدُ مكابدةِ العَناء * الى دارٍ فيعةِ البِناء * وسيعةِ الفِناء تشهدُ لبانيها بالثّراءِ والسّناء * فلمّا نزلنا عن صَهَوات الخيول * قدَّمنا الأقدامَ للدُّخول * رأيتُ دِهليزَها مُجلَّلاً بأنطاعٍ مُخرَّقةٍ * ومُكلَّلاً بمخارِقَ مُعلَّقةٍ * وهُناك شخصٌ على قطيفةٍ * فوق دكّةٍ لطيفةٍ * فرابَني عُنوانُ الصَّحيفةِ * ومَرأى هذه الطَّريفة * وكانني التطيُّرُ بتلك المَناحِس * الى أن عهدتُّ لذلك المجالس * فعزمتُ عليه بمُصرِّف الأقدار * ليُعرِّفني مَن ربُّ هذه الدّار * فقال مالها مالكٌ مُعيَّنٌ * ولا صاحبٌ مُبيَّنٌ * انما هو مِصطبةُ المُقيِّفين

ا لمـد روزيـن • وولـيجة المشقشقين • والمتجلورين •

لت فى نفسى ان الله على ضلة المسعى • وا محال المرعى

همت فى الحال بالرجعى • لكنى استهجنت العود من

رى • والقهقرة دون غيرى • فولجت الدار متجرعا

صص • كما يلج العصفور القفص • فاذ فيها ارائك منقوشة •

طنافس مفروشة • ونمارق مصفوفة • وسجوف

صوفة • وقد اقبل المملك يميس فى بردته • ويتبهنس

 حفدته • فحين جلس كانه ابن ماء السماء • نادى

د من قبل الاحماء • وحرمة ساسان استاذ الاستاذين •

دوة الشحاذين • لاعقد هذا العقد المبجل • فى هذا اليوم

غر المحجل • الا الذى جال وجاب • وشب فى الكدية

وشاب

وشابَ • فاعْجَبَ رَهْطَ الصَّهْرِ ما اَشارُوا اليه • واَذِنُوا في اِحْضارِ

المنصوص عليه • فبَرَزَ حينئذٍ شيخٌ قد اَمالَ المَلَوانِ قامَتَه •

• ونَوَّرَ الفَتَيانِ ثغامَتَه • فتَباشَرَتِ الجماعةُ باقْبالِهِ • وتبادَرَتْ

الى استقبالِه • فلمّا جلَسَ على زَرْبِيَّتِه • وسَكَنَتِ الضَّوْضاءُ

لهَيْبَتِه • ازْدَلَفَ الى مَسْنَدِه • ومسَحَ سَبَلَتَه بيَدِه • ثُمَّ قال الحَمْدُ

للهِ المُبْتَدِى بالاِفْضال • المُبْتَدِعِ للنَّوال • المُتَقَرَّبِ اليه

بالسُّؤال • المُؤَمَّلِ لتحقيقِ الآمال • الّذى شَرَعَ الزَّكوٰةَ فى

الأَمْوال • وزَجَرَ عن نَهْرِ السُّؤّال • ونَدَبَ الى مُواساةِ المُضطَرّ •

واَمَرَ باِطْعامِ القانِعِ والمُعْتَرّ • ووصَفَ عِبادَه المُقَرَّبِين • فى

كِتابِهِ المُبِيْن • فقال وهو اَصْدَقُ القائِلِيْن • والّذِيْن فى

اَمْوالِهم حَقٌّ معلوم • للسّائِلِ والمحروم • اَحْمَدُه على ما رَزَقَ

من طعمةٍ هنيّةٍ ۔ واعوذ به من استماع دعوةٍ بلا نيّةٍ ۔ واشهد ان
لا اله الّا الله وحده ۔ لا شريك له ۔ اله يجزى المتصدّقين
والمتصدّقات ۔ ويمحق الرّبو ويربى الصّدقات ۔ واشهد انّ
محمّداً عبده الرحيم ۔ ورسوله الكريم ۔ ابتعثه لينسخ الظّلمة
بالضّياء ۔ وينتصف للفقراء من الاغنياء ۔ فرفق صلى الله عليه
وسلّم بالمسكين ۔ وخفض جناحه للمستكين ۔ وفرض الحقوق
فى اموال المثرين ۔ وبيّن ما يجب للمقلّين على المكثرين ۔
صلّى الله عليه صلوةً تحظيه بالزّلفة ۔ وعلى اصفيائه
اهل الصّفّة ۔ امّا بعد فانّ الله تعالى شرع النّكاح
ليتعفّفوا ۔ وسنّ التّناسل لكى تتضاعفوا ۔ فقال سبحانه
لتعرفوا ۔ يا ايّها النّاس انّا خلقناكم من ذكرٍ وانثى

وجعلنا

وَجَعَلْناكُم شُعوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفوا • وهٰذا اَبُو الدَّرَّاج • وَلاَّجُ بنُ خَرَّاج • ذُو الوَجْهِ الوَقاح • والإفْكِ الصُّراح • والهَرِيرِ والصِّياح • والإبْرامِ والإلْحاح • يَخْطُبُ سَلِيطَةَ اَهْلِها • وشَرِيطَةَ بَعْلِها • قُنْبُس • بِنْتَ اَبِي العَنْبَس • لِما بَلَغَهُ من التِحافِها بِلِحافِها • واشْتِرافِها فی اِسْفافِها • وانكماشِها علیٰ مَعاشِها • وانتِعاشِها عندَ هِراشِها • وقد بَذَلَ لها من الصَّداق شَلاَّقاً وعُكَّازاً • وصِفاعاً وكُرَّازاً • فاَنْكِحُوه اِنْكاحَ مِثْلِه • وصِلُوا حَبْلَكم بِحَبْلِه • واِنْ خِفْتُم عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُم الله من فَضْلِه • اَقُولُ قَوْلِي هٰذا واَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ العظيمَ لِي ولكم • واَسْاَلُه اَن يُكَثِّرَ فِي المَصاطِبِ نَسْلَكم • ويَحْرُسَ من المَعاطِب

* ولِمَنْ يَنْزَاحُ عنها * زَفَراتٌ ونشيجُ *

* مِثْلَ ما لاقيتُ مذ زَحْزَحَنِي عَنْها العُلوجُ *

* عَبْرةٌ تهمِي وشَجْوٌ * كُلّما قَرَّ يَهِيجُ *

* وهُمومٌ كلَّ يومٍ * خَطْبُها خَطْبٌ مَرِيجُ *

* ومُساعٍ في التَّرَجّي * قاصِراتُ الخَطْوِ عُوجُ *

* لَيْتَ يَوْمِي حُمَّ لَمّا * حُمَّ لي منها الخُروجُ *

قال فلمّا بَيَّنَ بَلَدَهُ * ووَعَيْتُ ما أَنْشَدَهُ * أيقنتُ أنّه عَلَّامَتُنا أبُو زَيْدٍ * وإنْ كان الهَرَمُ قد أوثَقَه بقَيْدٍ * فبادَرْتُ إلى مُصافَحتِه * واغتَنَمْتُ مُواكَلَتَه من صَحْفَتِه * وظَلْتُ مُدَّةَ مُقامي بِبَصْرَاعَشُ إلى شَواطِه * وأَحْشُو صَدَفَتَيَّ من دُرَرِ أَلْفاظِه * إلى أن نَعَبَ بيننا غُرابُ البَيْنِ * ففارَقْتُه مُفارَقَةَ الجَفْنِ المُعَيْن

* قد استتب طبع هذا المجلد الاول *

* من المقامات الحريرية محتويا *

* على ثلثين مقامات *

* من جملة خمسين *

* حكايات *



translated "Sittings" by the learned Golius; being applicable to every "Literary Lounge," or, in other words, to every assembly whether casual or otherwise, at which literary questions might be discussed. And in fact the Muckamaute Hureeree, though a Work of imagination, may be considered as the history of a series of "Literary Lounges," held for the display of Aboo Zyde's talents, and valuable, in the highest degree, as an exact picture of existing manners, from which the marvellous is wholly excluded.

The author has never, on any occasion, availed himself of the agency of supernatural beings; and if the literary acquirements of Aboo Zyde, the hero of the Work, are somewhat highly colored, they are still human acquirements, differing, only in degree, from those of other literary men. That they are combined with a disposition eminently addicted to that sort of knavery which loves to prey on the credulity of his countrymen, and to extract pecuniary profit from every adventure, is a circumstance on which much of the interest of the work will be found to depend. To have made him the narrator of his own triumphs, would have subjected his character to the charge of egotism, and this the author has judiciously avoided, by putting the narrative into the mouth of a fictitious historian, the imaginary eye-witness of every adventure, to whom he has given the name of حَارِث بن هَمَّام. In the Muckamaute Hamadanee, the same plan had been previously adopted; and it is somewhat remarkable that Golius has mistaken ابُو الفَتْحِ الاسْكَنْدَرِي the prototype of Aboo Zyde, and عِيسَى ابنِ هِشَام the prototype of حَارِث بن هَمَّام, for two real authors, and the earliest writers of such compositions.

M. LUMSDEN.

taste, I am of opinion that the following Work may be read with considerable interest on the score of amusement, and with very great advantage to the progress of those who are desirous to master the Arabic Language. The difficulty of the style has given occasion to the labor of more than fifty Commentators, yet it seems to me that the Work, generally speaking, wants nothing to render it intelligible but an ample vocabulary of the words comprised in it, which will be furnished, with a Persian Translation, at the end of the Second Volume of the Edition now in course of publication. The accuracy of the Text will, I doubt not, be found creditable to the learned industry of Moloveеs ALLAH DAUD and JAUN ALEE, to whom I entrusted the duty of collating and correcting five Manuscript Copies, obtained for the purpose of this publication, three of which, written in Arabia, have the advantage of many marginal Notes, and are otherwise valuable for high antiquity.

OF the author ابو محمد القاسم بن علي الحريري البصري nothing appears to be certainly known, but that he was born in the year of the Higera 446, and died in the year 516 of the same Era, under the reign of مستظهر بالله, one of the Princes of the race of ABBAUS. The plan of his work was avowedly borrowed from that of a similar composition (said to be extant in this country, though I have not been able to procure a copy,) written by احمد بن حسين الهمداني, and commonly known by the name of the MUCKAMAUTE HAMADANEE, as the following Work is by the name of the MUCKAMAUTE HUREEREE. The term مقام MUCKAUM, literally "The place of standing," is properly enough

translated

THE following Work, of which a complete Edition is now perhaps for the first time issued from the Press, has maintained an unimpaired reputation among the Eastern Nations, during a period of nearly seven hundred years. A portion of it, comprising the First, Second and Third Chapters, was published, with a Latin Translation, by the elder SCHULTENS; but though his descendant, the learned correspondent of SIR WILLIAM JONES, had it in contemplation to complete the Work, I have never heard that he lived to accomplish that undertaking. Those who have read the publication of SCHULTENS, may, from that specimen, form a fair estimate of the general merits and plan of the whole composition. It consists of fifty Chapters, and every Chapter contains the relation of a detached adventure, having not the least dependance on those by which it is followed or preceded. The subjects are so various that something will be found to suit the taste of almost every reader, and those who take no delight in the most wretched Conundrums, or in the mere conquest of mechanical difficulty, will do well to pass over entirely the Chapters of Riddles, and those other Chapters in which the author has either banished more than half the letters of the Alphabet, in order to shew his dexterity in the use of the rest; or has expressed his sentiments in a manner so absurdly ingenious, as to admit of their being read from top to bottom, or vice versâ, with equal accuracy.

WITH the exception of those Chapters, certainly admired by the author's countrymen, though ill adapted to European

taste,

هذا الجلد الاول من مقامات الحريرية

محتويا على ثلثين مقاما من جملة

خمسين حكايات

OR

THE ADVENTURES

OF

ABOO ZYDE OF SUROOJ

IN

FIFTY STORIES.

WRITTEN BY THE CELEBRATED

ABOO-MOOHUMMUDIN-IL-KAUSIM-OOL-HUREEREEYO;

IN TWO VOLUMES.

VOLUME FIRST,

COMPRISING THE FIRST THIRTY STORIES COLLATED WITH EIGHT ARABIAN MANUSCRIPT COPIES, AND CORRECTED FOR THE PRESS BY

MOLOVEES ALLAH DAUD AND JAUN ALEE,

NOW EMPLOYED IN THE ARABIC AND PERSIAN DEPARTMENT OF THE COLLEGE OF FORT WILLIAM.

CALCUTTA:
PRINTED AT THE HONORABLE COMPANY'S PRESS.
1809.